كلية الدّراسات العليا

قسم اللغة العربية وآدابها

الانزياح في خطب الخلفاء والأمراء في العصر الأموي
خطباء السنة أنموذجًا
(دراسة أسلوبية)

إعداد

حسين زياد حسين عبد اللطيف

إشراف

د. بسام القواسمي

قُدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

2022م

إجازة الرسالة

الانزياح في خطب الخلفاء والأمراء في العصر الأموي

خطباء السنة أنموذجًا

(دراسة أسلوبية)

إعداد

حسين زياد عبد اللطيف

إشراف

الدّكتور بسام عبد العفو القواسمي

نوقشت هذه الرسالة يوم السبت بتاريخ 2022/05/14م، واجيزت من أعضاء لجنة المناقشة التالية أسماؤهم:

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
د. بسام عبد العفو القواسمي / مشرفاً ورئيساً	.....
د. محمود العطشان / ممتحناً خارجياً	..... محمود العطشان Mahmoud Atshan
د نسيم بني عوده / ممتحناً داخلياً	.....

الخليل- فلسطين

1443هـ -2022م

إهداء

إلى والديّ الحبيبَيْن.

إلى زوجتي الغالية.

إلى أخي الحبيب، وأخواتي العزيزات.

إهداءً مغمورًا بالمحبة والدفء والعطاء والراحة...

شكر وتقدير

انطلاقًا من توجيه نبينا –ﷺ – بمكافأة صاحب المعروف إذ قال: "مَنْ صُنعَ إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء"، فإنني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للدكتور بسَّام القواسمي على ما بذله إليَّ من جهد وما أعطاني من وقتٍ لإتمام هذا البحث فجزاه الله عني كلَّ خير، كما وأتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان للجنة المناقشة من ممتحن داخلي وممتحن خارجي فجزاهم الله خيرًا.

الانزياح في خطب الخلفاء والأمراء في العصر الأموي

(خطباء السنة أنموذجًا)

إعداد: حسين زياد حسين عبد اللطيف

إشراف الدكتور: بسام القواسمي

أستاذ البلاغة العربية في جامعة الخليل

الملخّص

مصطلح الانزياح (displacement) من المصطلحات الحديثة التي وفدت من النقاد الغربيين إلى النقاد العرب الذين تلقفونه و أخذوا يدرسونه من جميع جوانبه ويطبقونه على النثر والشعر. لما لدراسة النصوص التي تتميز بخصائص فنية وجمالية من أثر في النهوض بالدلالات وإعطائها أبعادًا جديدة.

تناول هذا البحث الانزياح نظريا من حيث مفهومه وأنواعه ووظائفه. ثم تطبيقيا عبر دراسته في خطب الخلفاء والأمراء في العصر الأموي وهم: عمر بن عبد العزيز، ومعاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، وزياد بن أبيه، وقتيبة بن مسلم الباهلي، والحجاج بن يوسف الثقفي وأبو حمزة الشاري. حيث إن النثر في تلك الفترة تمثل أكثره في الخطب التي أخذت أشكالًا متعددة منها السياسية والمواعظ والإرشاد وغيرها .

قسم هذا البحث الى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة. وقد جاء التمهيد عن مفهوم الانزياح ونشأته، بينما بدأت الفصول بمدخل نظري عن الانزياح ذاكرًا فيه التعدد الاصطلاحي للانزياح وأنواعه ووظائفه، ثم الفصل الثاني بالناحية التطبيقية على الانزياح الدلالي في الخطب والذي ضم الكناية والتعريض والتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والمجاز العقلي، ثم الانزياح المعجمي. وأما في الفصل الثالث فدرس الباحث الانزياح التركيبي في الخطب والذي ضم : الحذف والتقديم والتأخير، والالتفات. وختامًا الفصل الرابع الذي درس فيه الباحث الأساليب الإنشائية الطلبية في الخطب التي ضمت أسلوب الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء. وتبين من ذلك قدرة هؤلاء الخطباء، وإدراكهم للنواحي الفنية، والجمالية في الكلام، وقدرة توظيف الفنون البلاغية في خطبهم التي تميزت بخصائص بلاغية كثيرة.

وقد خرج البحث بنتيجة أساسية وهي أن هؤلاء الخطباء كانوا أصحاب رسائل إما سياسية، أو حربية، أو لرعاية الشؤون، أو للوعظ. وقد وظفوا موروثهم الثقافي على اختلاف أشكاله في خطبهم وكلامهم على المنابر وحشد الناس. إما لكسبهم، أو مدحهم، أو ذمهم، أو لحشدهم للمعارك، أو لنصحهم، وغيرها من أغراض الخطب.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد،

فلما كان للخطب دورٌ في حياة العرب، سخر الخطباء أنفسهم للتعبير عمّا يجول في خواطرهم، فهمّوا بتعدد الأغراض، وقد شغل الانزياح بصوره حيزًا كبيرًا في ميدان كلامهم وساحة نظمهم، ساعين بها وراء الجمال وحسن التركيب، وجادّين خلف إقناع المتلقي فيما يقولونه، خادمين بذلك قضايا نفسية اعترتهم، وقضايا اجتماعية همّتهم، وقضايا سياسية أشغلتهم، ومن هنا تنبع أهمية الدراسة، ولم يكن الاختيار بعيدًا عن الأهمية بل تواءم معها ونبع منها، فاهتمام الخطيب بجمال خطبه وتنوعها في طرائق اتباع الأساليب الجمالية التي منها الانزياح كان مدعاة للباحث للقيام بالكشف عن مواطن هذا الجمال وخاصة عند خطباء ترأسوا حقبة خصبة في الحقل البلاغي.

اعتمدت الرسالة المنهج الجمالي، مسلطةً الضوء على الانزياح بنوعيه: الدلالي والتركيبي التي اعترت على خطباء الحكام والأمراء الأمويين، وقامت الدراسة بربط المنهج الجمالي بالتحليل للوصول إلى صلب الموضوع المطروح، فكان مدعاة للغوص في بحر هؤلاء الخطباء أصحاب العقلية الفذة والقدرة التصورية المتفتحة التي صُبّت في قوالب نظمهم.

انقسم البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول فكان التمهيد عرضًا لنشوء مصطلح الانزياح وتعريفات لمجموعة من الباحثين، ووُسم الفصل الأول (مدخل نظري عن الانزياح) وحوى في مضمونه على ثلاثة مباحث، يدور الأول منها حول التعدد الاصطلاحي للانزياح، أما المبحث الثاني فتحدثتُ فيه عن أنواع الانزياح، وأما المبحث الثالث فدار حول وظيفة الانزياح، وأما الفصل الثاني فجاء متخذًا عنوان (تجليات الانزياح الدلالي في الخطب الأموية) وضمّ: الكناية والتعريض والمادة المعجمية (الترادف) والتشبيه والاستعارة والمجاز

المرسل والعقلي، وأما الفصل الثالث فخصصتُ الحديث فيه عن الانزياح التركيبي في الخطب الأموية وضمّ: التقديم والتأخير والحذف والالتفات.

وقد تمَّت دراسة نصوص الخطب لأبرز خطباء العصر الأموي وأهمهم: زياد بن أبيه وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز، ومعاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية، والحجاج بن يوسف الثقفي وقتيبة ابن مسلم الباهلي وأبو حمزة الشاري.

ونهل البحث من مصادر تباينت واختلفت في محتواها، اتحدت فيما بينها؛ لتخدم الدراسة، واحتلت كتب الأدب العربي الأهمية الكبرى في هذه المصادر، مثل: العقد الفريد لابن عبد ربه، والبيان والتبيين للجاحظ وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (العصر الأموي) لأحمد زكي صفوت، التي كانت رافدًا للرسالة يُلجأ إليها في أخذ نصوص الخطب، إضافة إلى الاستعانة بأمّات كتب البلاغية في مواضع التحليل، مثل: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والمثل السائر لابن الأثير وغيرها.

وكذلك استعانت الدراسة بكتاب عنوانه: "الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية" لأحمد ويس وبرسالة ماجستير وعنوانها "أسلوبية الانزياح في النص القرآني" لأحمد غالب النوري الخرشة، إذ ساعدا في اللجوء إلى التعرف على قضايا الانزياح وصوره في النصوص، وغيرها مما حضر ذكره في المصادر والمراجع.

وختامًا في هذا المقام أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور بسام القواسمي على استجابته الدائمة لطلب العون والإجابة على تساؤلات كانت لها الدور الفاصل في إماطة اللبس عن بعض تفاصيل هذه الدراسة.

الكمال من صفات الواحد الباسط سبحانه، والنقص في عموم البشر فإن كان الصواب فمن فضل الله وتوفيقه، وإنْ حصل النقص فمن نفسي.

واللهَ أسألُ السداد في القولِ والعمل.

تمهيد

تعدّ ظاهرة الانزياح من الظواهر المهمة في الدراسات الأسلوبية المعاصرة، وهي تقنية فنية يستخدمها الخطباء وكذلك الشعراء في التعبير عن تجاربهم، وهي ظاهرة ظهرت بجلاء عند اللغويين ونقاد الغرب المحدثين وإن اختلفوا في تسميتها.

وقد حاز موضوع الانزياح على اهتمام النقاد، فعكفوا على دراسته، ووضعوا له عدة تعريفات، إلا "أن (ريفاتير الفرنسي) هو من وسّع المصطلح وطوره، فيرى: أنه إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إذا غفل عنها شوّه النص، وإذا حللها وجد لها دلالات تميزيّة خاصة، مما يسمح بتقرير أن الكلام يعبر، والأسلوب يبرز"[1].

مفهوم الانزياح

ظهر مصطلح الانزياح في منتصف الستينيَّات من القرن العشرين على يد الكاتب الفرنسي (جان كوهين الفرنسي) الذي بلوره بمفهومه الحديث، إلا أنَّ ذلك لا يعني أن معنى المصطلح لم يكن موجودًا عند مَنْ سبقه، فهو من حيث المعنى كان معروفًا عند أُدباء العرب وشعرائهم وخطبائهم وجذوره ممتدة في العصور البلاغية والنقدية القديمة[2].

ويذهب الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض إلى أن (بول فاليري الفرنسي) أول من استعمل مصطلح الانزياح[3].

---

[1] المسدي، عبد السلام، **الأسلوبية والأسلوب**، 83.
[2] ينظر: ويس، احمد، **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية**، 16.
[3] ينظر: **قضايا الشعريات**، 48.

ويرى بعض الدارسين أن (ليو سبيتزرالنمساوي) هو الذي جاء بمصطلح الانزياح، حيث لفت انتباهه عند قراءته للروايات الفرنسية الحديثة تلك التعبيرات التي تميزت بابتعادها عن الاستخدام العام، غير أن هذه الظاهرة لم تستوقف (سبيترز) وحده، بل نجد (ثورن الأمريكي) إذْ لاحظ عند تحليله لقصائد الشعر أن الملمح الأكثر لفتًا للنظر فيها هو الأبنية غير النحوية، واستخلص (ثورن) أن الإيراد غير العادي والمغاير للنمط المتصور للغة هو ما يُميّز لغة الأدب ولغة الشعر خاصة[1].

فظهور الانزياح صاحبه مصطلحات في لغات عدة، حيث عُرف في الفرنسية (Ecart) وفي الإنجليزية (Deviation) وفي الألمانية بالمفهوم (Ab weichung). أما في العربية فقد اختلف النقاد في تسميته، فأوردوا له مصطلحات مختلفة، منها: التشويش، والخروج، والابتعاد، والشذوذ، والتشويه، والانتهاك والنشاز والاتساع، ولعل الانزياحات تكمن في الأدب المكتوب أكثر منها في الأدب الشفوي، وذلك لأن الأدب الشفوي يعتمد على وسائل أخرى، مثل: الإشارة باليدين والنبر والتعبير بحركات الوجه، بينما يبقى السلاح الوحيد للأدب المكتوب هو الانزياح[2].

ولعل الأسبق في وضع المصطلح هو (الفرنسي فاليري)، لأنه توفي قبل جان كوهين الفرنسي والنمساوي ليو سبتزر بكثير، والترجمة الأدق لكلمة الانزياح هي (Ecart)، وهي كلمة فرنسية، ولكن الانزياح ارتبط (بجان كوهن) أكثر من غيره بسبب جهوده البارزة في إظهار مصطلح الانزياح ووضع أساساته ومعياره ووصف لغته ووضع المستويات والاشكال التي تبنى عليها قاعدة الانزياح.

[1] ينظر: بودوخة، مسعود، **الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية**، 39.
[2] ينظر: سليمان، محمد، **ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان**، 35-36.

دأبَ علماء الأسلوب ومناظرو الأدب على توظيف نظرية الانزياح في دراستهم للنصوص الأدبية، حتى غدا تعريف الأسلوب عند كثير منهم بأنه "انزياح" أو "انحراف" وانتشرا بشكل واسع، إضافة لاستخدام مصطلحات عدة قد استخدمت للدلالة على معنى الانزياح منها: الانحراف والإخلال والعدول وخرق السنن[1].

وتناول (ريفاتير) حالتين أساسيتين لتحقيق الانزياح بقوله: " يكون الانزياح خرقًا للقواعد حينًا، ولجوءًا إلى ما ندر حينًا آخر، فأما في حالته الأولى، فهو من مشمولات علم البلاغة، فيقتضي إذًا تقييمًا بالاعتماد على أحكام معيارية، وأما في حالته الثانية فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات عامة، والأسلوبية خاصة"[2].

وعدَّ (جون كوهن) الأسلوبية علمًا خاصًا بالانزياح إذْ يقول: " الأسلوب هو كل ما ليس شائعًا ولا عاديًا ولا مصوغًا في قوالب مستهلكة، هو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي، فهو إذًا خطأ مراد. ويضيف جون كوهن: لابد قبل أن نعرف ما الانزياحات، لابد أن تكون لدينا القدرة على تجسيدها بعدّها مجاوزات وهذا لا يمكن أن يتم إلا من خلال المقارنة مع المستوى العادي"[3].

ويشير (كوهن) إلى أن الأسلوب غالبًا ما يُعدّ انزياحًا فرديًا، أي طريقة في الكتابة تخصُّ مؤلفًا بعينه، وقد عرّفه (شارل بالي) بكونه تحولًا فرديًّا في الكلام، كما نظر إليه (سبيتزر) على أنه تحول فردي في مقابل المستوى العادي للكلام وقد ذهبَ إلى ذلك الناقد عبد السّلام المسدي عند بحثه في تعريف الانزياح مبينًا أنه مقياس يستمدُّ تصوره من علاقته باللغة؛ لأنه خروج عليها، أي خروج عن الأصل[4].

---

[1] ينظر: ويس، أحمد، **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية**، 39.
[2] أبو العدوس، يوسف، **الأسلوبية الرؤية والتطبيق**، 93.
[3] ملوك، رابح، **النص الأدبي ومقولة الانزياح**، جامعة البويرة، المجلد2/ العدد2، 2008م، 275.
[4] ينظر: : ملوك، رابح، **النص الأدبي ومقولة الانزياح**، جامعة البويرة، المجلد2/ العدد2، 2008م، 275

لقد اختلفت نظرة النقاد إلى الانزياح، فعند (ليو سبتز) مرتبط بالأسلوب الذي يتميز فيه الكلام الأدبي عن غيره من الأنظمة أو بالعبقرية الخلاقة لدى الأديب، فالانزياح هو انحراف فردي بالنسبة إلى قاعدة ما، وعند ريفاتير، الانزياح هو خرقٌ للقواعد حينًا ولجوء إلى ما ندر من الصيغ حينًا آخر[1].

الانزياح هو ظاهرة مهمة في لغتنا العربية، وهو باب لتوسعها ووسيلة فنية جمالية عرفتها اللغة قديمًا، حيث وجدنا أنَّ العرب قديمًا استخدموا مصطلح: العدول، ولكن لم يرد مصطلح الانزياح عندهم ولعل ذلك يرجع إلى الاختلاف في منطلقاتهم وتسميتهم للظاهرة.

إنَّ الدراسة الأسلوبية تعني التحوّل للدرس اللغوي بالدرجة الأولى، والنظر إلى مستوييه الأساسيين: المستوى المألوف والمستوى الإبداعي، ثم التحرّك السريع من الأول إلى الثاني، وهذا هو مدار العمل للأسلوبيين، إذْ تجري فيه متابعة خطوط الصياغة وتحولاتها التي تتم عن وعي وقصد؛ لتصنع بناءً إبداعيًا، ويكون حضور المستوى المألوف حضورًا هامشيًا لضبط عملية القياس الكمي والكيفي، وتحديد درجة ارتفاعها أو انخفاضها.

وقد تنبه الأسلوبيون إلى أهمية الرصد في الكلام من انزياح عن النسق المألوف، وعدوه من أهم مباحث الأسلوبية التي تمكنهم من التعرف على أسلوب مؤلف النص، بل وصلت عنايتهم إلى الحد الذي جعلهم ينظرون إليه أي الانزياح على أنه الأسلوب ذاته[2].

وقد ذهب (رومان جاكبسون الروسي) في بحثه عن مفهوم الانزياح بأنه هو العمل الأدبي والشعري الذي يقوم على مبدأين هما: التعادل والتجاور، فالتعادل يضبط انتقاء الشاعرللوحات الكلامية ومن دلالاته التكرار الصوتي، وأما التجاور فهو ترتيب الوحدات اللغوية في محورها الأفقي المتعاقب، ثم إنه أكد على الحدث

[1] ينظر: بولوحواش، سعاد، **شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2011 – 2012م.، 234.

[2] ينظر: عبد المطلب، محمد، **البلاغة والأسلوبية**، 268.

اللساني المتمثل في تكرير عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة، وهما: اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثمَّ تركيبه لها تركيبًا تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال وهنا يحدث الانزياح[1]. وبعد ذلك يقر (جاكبسون) بالانزياح ويجعله الحجر الأساس في الدراسة الأدبية ويستبعد الظروف المحيطة بالكاتب من بيئة وعصر.

ويُشترط لحدوث الانزياح وجود تفاعل بين الدلالة والصوت داخل النص، فالانزياح عنده ليس مطلبًا في ذاته، بل سبيل لانفتاح النص وتعدديته[2].

ولا انزياح عند تمام حسان بل العدول؛ لأن مصطلح الانزياح يُعدّ خروجًا عن الأصل أما مصطلح العدول فيقاس عليه ويقبل من الفصيح وغيره والعدول عنده خروج عن الأصل والقاعدة ولكن هذا الخروج والمخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرًا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يُقاس عليها[3].

أصبح مقوّم اللغة حديثًا مقوّمًا ذاتيًا يدمج عناصر تفاعلية داخل الحدث الأسلوبي المنتج للخطاب الأدبي المتميز بالتواصل والإبلاغ، فكان واجبًا على الباحثين النظر في مستويات التحوّل للغة الإبداع؛ لأن اللغة تنطوي على قوة ذاتية توجه خلقها وفاعليتها بما تحمله من إيحاءات بعيدة فتكثف دلالات مهمة بنموها وشاعريتها، وهذه الفاعلية أو الشاعرية تظهر وتبرز في اختيار الكلمات وانتقائها والتراكيب والصور.

كان للتصورات الأسلوبية دورٌ في تحديد الأسلوب، وطغت في البلاغة القديمة فكرة أن الكلام يمكن تعميقه بزخرفة لغوية لها مواصفات معينة، وعليه فإنَّ إنتاج النص يعتمد على العناصر التحسينية ذات الطابع الجمالي.

---

[1] ينظر: المسدي، عبد السلام، **الأسلوبية والأسلوب**، 96.
[2] ينظر: السد، نور الدين، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، 194.
[3] ينظر: حسان، تمام، **البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، 347.

فالانزياح ظاهرة مهمة تميز اللغة الأدبية وتمنحها خصوصيتها وتوهجها، ويجعلها لغة خاصة تختلف عن اللغة العادية، وذلك عن طريق خرق القواعد اللغوية، إذن فهو فيصل جمالي وإبداعي بين الشعري واللاشعري.

وللخطابة ظهور بارز في الأدب العربي، فهي تراث تاريخي عظيم، إذ إن التراث التاريخي بحق منجم طاقات إيحائية لا ينفد لها عطاء، ولمعطياته القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس مستمرة في نفوس الناس[1]، وتتمتع الشخصيات التراثية التاريخية برصيد حيّ في الوعي الجمعي، وهي لا تعبّر عن ذوات جامدة بل إنها تصبح شفرة حرّة متفاعلة مع أجواء السياق ومتعددة الدلالة وفقًا لعدد السياقات وتنوعها[2].

والخطابة "اسم للكلام المنثور سجعًا كان أو مرسلًا، أو إلقاء الكلام المنثور مسجوعًا كان أو مرسلًا، لاستمالة المخاطبين إلى رأي أو ترغيبهم في عمل"[3].

والنصوص الأدبية تكون موضوعة للذة المشاعر وهزّها، فهي تعنى بالألفاظ والتراكيب، فالألفاظ تدلّ على معان، والتراكيب كذلك تدلّ على معان، ولكن الأديب يصبّ جهده على الألفاظ والتراكيب لأداء هذه المعاني. والأديب وإنْ عنى على نفسه بتصيّد المعاني ولكنه يتصيدها من أجل أن يصوغها في لفظ جميل وتركيب قوي، والمراد من النصوص أداء المعاني وهذا في النصوص عامة، أما النصوص الأدبية فليس الغاية منها أداء المعاني فحسب، بل إثارة القارئ والسامع وليس إعطاؤه المعنى فحسب. ولذلك تجد النصوص الأدبية تتميز بالعبارات التي تصاغ بها الأفكار وتخرج الصور، ثم العناية بالصور ثم باختيار الأفكار، فالأصل هو التعبير وهو التصوير أو إخراج الصورة والأفكار أداة أو وسيلة، والغاية من النص إثارة مشاعر السامع أو القارئ أي لإخراج الصورة الرائعة المثيرة. إن المسألة مسألة ذوق ومتى تحقق

[1] ينظر: بو عمارة، بو عيشة، **الشاعر العربي المعاصر ومثاقفة التراث**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جامعة زيان عاشور، الجزائر، 2007م، 2.
[2] ينظر: مجاهد، أحمد، **أشكال التناص الشعري**، 190.
[3] محفوظ، علي، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، 14.

الذوق تحقق فهم النص؛ لأن الفهم للنص الأدبي ليس فهمًا لمعانيه، بل هو تذوق التراكيب ويأتي من هذا التذوق فهم المعاني[1].

ويقتصر هذا البحث على الانزياحات في بعض خطب الخلفاء والأمراء الأمويين وهم: زياد بن أبيه ومعاوية ابن أبي سفيان ويزيد بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الملك بن مروان وقتيبة بن مسلم الباهلي وعمر بن عبد العزيز، وأبو حمزة الشاري.

واقتصرتُ على هؤلاء الخطباء مع وجود غيرهم؛ لأن البحث تناول خطب الخلفاء والأمراء الأمويين، فهؤلاء أشهر ما في العصر الأموي ومعروفٌ تمكنهم اللغوي والخطابي وغنى خطبهم وكلامهم بالأساليب البيانية، وخطبهم متداولة ما بين الناس وهذا ما يتطلع إليه جمهور الباحثين، والقراء والكتب والمراجع تزخر بخطبهم وكلامهم، ناهيك عن الرغبة في الوقوف على صور ظاهرة الانزياح وأبعادها الدلالية والجمالية في تعبير الخطباء، فالانزياح ظاهرة بلاغية تبرز وجوه احتراف الخطباء، وتدلل على ما وهب الله –عز وجل- اللغة العربية من إمكانيات متعددة، وقدرات فائقة في التصرف في التعبير، والتعدد في الدلالات.

[1] ينظر: النبهاني، تقي الدين، **التفكير**، 103-104

الفصل الأول: مدخل نظري عن الانزياح

المبحث الأول: التعدد الاصطلاحي للانزياح

المبحث الثاني: أنواع الانزياح

المبحث الثالث: وظائف الانزياح

المبحث الأول: التعدد الاصطلاحي للانزياح

أولًا: الانحراف

آثر الباحثون تغيير المصطلحات متأثرين بألفاظها الأجنبية وبألفاظها العربية القديمة، إلا أنَّ المعنى ظلَّ واحدًا، فوقع الانزياح عندهم على عدة مصطلحات منها: الانحراف.

وبالرغم من تعدد المصطلحات إلا أنها تتقاطع في كون الانزياح ظاهرة أسلوبية بارزة في النقد الحديث، وهي ظاهرة مقصودة، في الخطاب الأدبي النثري أو الشعري تبتعد عن النمطية، وتُخرج الخطاب عن المألوف والدلالات المعجمية، فاختيار الألفاظ وتركيبها في سياق أدبي تجعل للدال عدة دلالات يخترق به القانون اللغوي ويصبح للدلالة الأولى إمكانية تعدد المدلولات[1].

نجد أنَّ مصطلح الانزياح هو الأشهر والأبرز، يقول أحمد ويس: " وإذا كان للمرء أنْ يختار من بينها أي بين المصطلحات المتعددة للانزياح، فسنختار الانزياح؛ لأنه هو الترجمة الأدق لمصطلح (Ecart)، وإنَّ العدول والانحراف قد يحملان معانيَ أخرى بلاغية غير التي نجدها في الانزياح عند الدراسة الأسلوبية للنصوص"[2].

والناظر لتعدد المصطلحات الكثيرة للانزياح يرى جهودًا واضحةً للبلاغيين الأسلوبيين في بحوثهم تجاه مسألة الانزياح، وهذا يشير إلى تنبُّههم لأهمية الانزياح وضروريته في العمل الأسلوبي والبلاغي، فلا يمكن أن يستغني الأديب إذن عن الانزياح؛ لأنه لا يعيش معزولًا عن إدخال القيمة الجمالية وتوظيف قدراته اللغوية في النصوص التي يؤلفها، ولا يمكنه إلا أن يتأثر بها وأن يدخلها بطريقة أو بأخرى في إنتاجه؛ لأنها

[1] ينظر: السد، نور الدين، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، 24
[2] ويس، أحمد، **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية**، 46.

أصبحت جزءاً منه مضافة إلى ما عنده من إبداع. فالانزياح يظهر عندهم في مظاهر كثيرة، نلمس من خلاله تغيُّر النوع الأدبي للخطاب برمته.

وهذا ما لخصه منذر عياشي عندما قال: إنَّ الأسلوبية: "علم يدرس نظام اللغة ضمن نظام الخطاب"[1].

إن الانحراف يشكل أساس الدراسات الأسلوبية، وبحديث الدراسات الأسلوبية الحديثة عن الانزياح، تناولته على أنه انحراف الكلام عن نسقه المألوف[2].

وورد الانحراف بكونه تغييرًا في بناء الجملة ومكوناتها ولعل قلة ذيوع مصطلح "الانحراف" في عناوين الكتب والدراسات نظرًا لارتباطه في أذهان الناس بالخلل والخروج عن الخط المستقيم والقيام بأفعال مشينة، وهذا ما أراه في قلة ترديده على ألسنة الأسلوبيين وعلى عناوين الكتب.

لفظ الانحراف قد يرد في معنى الميل والابتعاد عن المعنى الفني ويرد مساويًا للخطأ، مع أن دلالاته في الحقول الأسلوبية تغيير في بناء الجملة ومكوناتها[3].

الانزياح بمفهومه العام: حدث أسلوبي يمتلك قيمة جمالية، ناتج عن فعل كلامي يبدو خارقًا لقواعد الاستعمال المعيارية المتعارف عليها، يتحدد بالاستعمال العام للغة، المشتركة بين جموع المتخاطبين بها، فهو مقياس رزين لتحديد الأسلوبية الإبداعية الدالة على عبقرية الكاتب[4].

---

[1] **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، 141.و السد، نور الدين، **الأسلوب والأسلوبية**، 7

[2] ينظر: عودة، ميس خليل، **تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي "كتاب مفتاح العلوم للسكاكي نموذجًا"**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2006م.، 47.

[3] ينظر: نظري، علي، ويونس ليئى، **ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس، مجلة دراسات الأدب المعاصر**، العدد السابع عشر، 2009م.، 89.

[4] ينظر وغسلي، يوسف،**مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية الغربية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي**،مجلة علامات، المغرب، مج16، ع64، 2006م ، ص190.

ثانيًا: الانزياح

ورد الانزياح في لسان العرب بمعنى البعد، "نزح الشيء أي بَعُدَ، ونزحت الدار إذا بعدت، ونزح البئرُ: إذا استقى ما فيها حتى ينفد، أو حتى يقلَّ ماؤها، والنزح الماء الكدر وقد نزح بفلان إذا بَعُدَ عن دياره غيبة بعيدة"[1].

لقد اختلفت ظاهرة الانزياح في مصطلحاتها ومسمياتها، وتفاوت الشيوع بين مصطلحات الانزياح من حيث الاستعمال بين الأسلوبيين والنقاد العرب، ونرى أن بعض الباحثين آثر تغيير مصطلحات الانزياح متأثرًا بألفاظها الأجنبية إلا أن المعنى ظلَّ واحدًا، فوقع عندهم تفاعل الانزياح مع النصوص الشعرية والنثرية على مصطلحات متعددة المسميات، كالعدول، والانحراف، والاتساع، أو التوسع، والتجاوز، واللحن أو خرق السنن، والمخالفة، والاختلال، والإطاحة وخيبة الانتظار والإدارة والاستدلال والتغيير والالتفات وشجاعة العربية.

يذهب موسى ربابعة إلى أن مصطلح الانزياح لا استقرار فيه وأدى ذلك إلى استخدام النقاد كلمتين متلازمتين للتدليل على ظاهرة الانزياح، كاستخدام العدول والانحراف أو الخروج والانحراف أو الفعلين تنحرف وتنزاح في الوقت نفسه[2].

وقد ذهب (جون كوهن) عند كلامه عن الانزياح مبينًا ترابط الشعر بالانزياح، فالشعر عنده انزياح عن المعيار وهذا المعيار أطلق عليه قانون اللغة، والانزياح عنده لا يكون شعريًا إلا إذا كان مخلوقًا بقاعدة وقانون[3].

---

[1] ابن منظور، مادة (نَزَحَ).
[2] ينظر: **الأسلوبية ومفاهيمها وتجلياتها**، 46.
[3] ينظر: **بنية اللغة الشعرية**، 15.

وتتأثر ظاهرة الانزياح باللغة؛ لأن اللغة هي المتسببة في حدوث الانزياحات في النصوص، فلكل شاعر أو ناثر لغته الخاصة وهذا ما يوفر النواحي الجمالية والفنية في أسلوبه، فيظهر الانزياح بشكل لغوي ودلالي خاص بكل مبدع، والانزياح بدوره يتيح للمبدع أن يتحرر من لغته وقوانينها، فيختار التراكيب اللغوية بما يريده من ألفاظ ودلالات.

أما (ريفاتير الفرنسي) فقد اعتمد في تكوين مصطلحه وصياغته في تحديد الظاهرة الأسلوبية وهي عنده انزياح عن النمط التعبيري المتعارف عليه، ويكون خرقًا للقواعد أحيانًا ولجوءًا إلى ما ندر من الصيغ حينًا آخر، فأما في حالته الأولى، فهو من مشمولات علم البلاغة، فيقتضي إذًا تقييمًا بالاعتماد على أحكامٍ معيارية، وأما في صورته الثانية، فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات عامة، والأسلوبية خاصة[1].

وفي حديثه يؤكد على مسألة المعيار الذي يتحدد من خلاله الانزياح؛ لأن المعيار يُحدث للمتلقي وظيفة المفاجأة، وتبقى مسألة الانزياح عنده نسبية، فلا مقياس ثابت لضبط الانزياح[2].

ويعرّف (جول ماروزو الفرنسي) الانزياح بقوله: "إنه اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه"[3]، لكن قد بالغ في إعطاء درجة النص قبل أن ينتقل إلى الانزياح أنه في درجة الصفر، فهو عنده خروج الكلام عن نسقه المألوف وخرق الأنماط المتواضع والمتعارف عليها وتجاوزها.

ولعل تعدد مصطلحات الانزياح يعود إلى ترجمته من أكثر من لغة، كالفرنسية والنمساوية، وميل الناس إلى استخدامه أو تركه وإشهار غيره، كالعدول مثلًا، فبات القارئ يتعامل مع مصطلحات كثيرة وكأنه يتعامل مع مصطلحات جديدة، والمصطلحات لا شك لا تتساوى في الدلالة نفسها على مفهومها.

---

[1] ينظر: المسدي، عبد السلام، **الأسلوبية والأسلوب**، 103.
[2] ينظر: السد، نور الدين، **الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث**، 182.
[3] عزام، محمد، **الأسلوبية منهجًا تقليديًا**، 31.

ثالثًا: العدول

نقول عدلَ عن الشيء يعدل عدلًا عدولًا، حاد عن الطريق وجار، وعدل إليه عدولًا رجع، وما له معدل ولا معدول، أي مصرف، وعدل الطريق مال. والعدل: أن تعدل الشيء عن وجهه، تقول: عدلتُ فلانًا عن طريقه وعدلت الدابة إلى موضع كذا[1].

لقد استُعمل مصطلح العدول وعُرّف بمصطلحات عديدة: كالخروج والتوسع والتجاوز والتحويل والالتفات، وهذه المترادفات تدل على قوة الكلام المنزاح وإقرار منزلته، واتفقت هذه المترادفات على أن العدول هو خروج على غير مقتضى الظاهر[2]، ويعرض (لاروس) حديثًا عن الانزياح بقوله: "هو حركة عدول عن الطريق، أو خط المسير"[3]، ويظن بعض الدارسين أن مصطلح العدول مصطلح بلاغي حديث خرج مع مترادفات المصطلحات المتعددة والكثيرة للانزياح، ولكنه في أصله بلاغي قديم استُعمل كثيرًا في كلام البلاغيين والنقاد، فقي معرض حديث ابن جني عن المجاز، يقول: "إنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن انعدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[4]، ويتضمن العدول الخروج عن الكلام المألوف العادي إلى مستوى فني وجمالي، فالعدول إجراء يلحق الصياغة لأغراض فنية عامّة، لم ترتبط بدايةً بتحسس مواطن الجمال[5].

وأشهر من استعمل مصطلح العدول هو المسدي، ولحقه في ذلك مجموعة من الباحثين العرب مثل: حمادي صمود، ومصطفى السعد، وتمام حسان، وعبد الله صولة، والأزهر الزناد[6].

---

[1] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: عَدَلَ.
[2] ينظر: حمرة العين، خيرة، **شعرية الانزياح "دراسة في جمال العدول"**، 8.
[3] **قاموس لاروس**، 464.
[4] **الخصائص**،2/ 267.
[5] ينظر: مراح، عبد الحفيظ، **ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقاربة أسلوبية**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005-2006م، 11.
[6] ينظر: ويس، أحمد، **الانزياح وتعدد المصطلح**، 64.

وللعدول اهتمام في الدراسات والأبحاث؛ لأنه ركنٌ أساسيٌّ في بناء جماليات النص الأدبي، إذْ هو حدثٌ بلاغيٌّ يظهر في تشكيل النص وصياغته، ويبتعد عن نظام اللغة المألوف والمستعمل، ويعدل بأسلوب الخطاب عن سنن اللغة وقواعدها الأساسية، فيُحدِثُ في النص عدولًا يمكّنه من إمتاع المتلقي وإفادته وإثارته، إذْ ينطلق العدول من لحظة التوتر التي يعيشها المبدع، ليخلق التفاعل مع النص والمخاطَب به[1].

والبلاغيون قديمًا فطنوا إلى أنَّ العدول يتم من خلال عوامل نفسية تكتنف عملية التخاطب كتشويق السامع أو التفاؤل أو التلذذ[2].

ومن الجدير ذكره، أنَّ مصطلح العدول يرد كثيرًا في حقول البلاغة والنحو كذلك، ويرد كذلك في سياقات وصيغ غير بلاغية وفنية، فمن الباحثين والدارسين مَنْ آثر إقصاءه واستبعداه، وطرح مصطلح الانزياح؛ لأنه "لا يحمل ما يحمل الانزياح من فضاء دلالي أبعد وأوسع"[3].

رابعًا: الاختيار

يؤثر المؤلف أو المبدع في نظم كلامه على اختيار الأجود في تكوين لغته داخل نصه، ضمن إمكانياته الفنية والجمالية، فيوائم السياق داخل النصوص ويختار الألفاظ والتراكيب وينتقيها؛ ليحقق غاياته المتعددة، وينشئ عمله الفني على طراز رفيع المستوى، مقبولًا لدى القرّاء والنقاد.

فلا يُتصور أن تعرف للفظ موضعًا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ بالترتيب والنظم، وأن تتوخى الترتيب في المعاني وتُعمل الفكر هناك، فإذا تمَّ ذلك اتبعت الألفاظ واتبعت آثارها، وإذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى استئناف الأفكار في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك

[1] ينظر: عاشور، سلام عبد الله، **مصطلح العدول و الانزياح عند اللسانيين العرب**، مجلة جامعة ابن رشد، العدد السادس، هولندا، 2012م.، 43.
[2] ينظر: عبد المطلب، محمد، **البلاغة والأسلوبية**، 272.
[3] اليافي، نعيم، **الانزياح والدلالة**، مجلة الفيصل، الجزائر، مج 14، ع4، 828.

بحكم أنها خدمٌ للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس هو علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق[1].

ولكي يصحَّ الاختيار عليه أن يكون فنيًّا ودلاليًّا له تعبير خاص، ولذا فإنَّ الاختيار محكوم بمستويين، فالأول: أن يتم الإتيان به من المخزون في مستواه الإخباري الذي يُقدّم الصياغة النفعية في عفوية تختلف فيه الدلالات من لفظة لأخرى، والثاني: أن يأتي الاختيار في المستوى الإبداعي الذي يخضع للمقاصد الواعية للمبدع[2].

[1] ينظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، 45.
[2] ينظر: عطية، مختار، **التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية**، 106.

المبحث الثاني: أنواع الانزياح

أولًا: الانزياح الدلالي (الاستبدالي)

ثانيًا: الانزياح التركيبي

تناول الباحثون أنواع الانزياح، وقسموه إلى قسمين: (دلالي وتركيبي)، ويحملان في طياتهما أشكال الانزياح المتعددة؛ ولأن الانزياح قائمٌ على التلاعب باللغة، أي التلاعب في محتويات الجملة أو إعادة ترتيب ألفاظها لإحراز الدلالة المطلوبة، وهذه الدلالة يكمن دورها في كل كلمة في الجملة؛ لتحقيق المراد في شروط تكوين الجملة وتحقيق الدلالة.

وهذا الانزياح "ناجم عن التركيب من خلق تراكيب لغوية مميزة قادرة على استثارة الخيال، وبعث الفكر، واستثارة الجوانب الوجدانية والعاطفية، ويتم ذلك من خلال تراكيب لغوية خارجة عن الأصول الوضعية للغة أو الاستخدامات العادية لها، وقد عرفت هذه التراكيب عمليًا في نقدنا القديم بالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، وجمعت في النقد الحديث تحت مصطلح الصورة الفنية"[1].

فما يكون فيه الانزياح متعلقًا بجوهر المادة اللغوية يسمى بالانزياح الاستبدالي، وما يتعلق بتركيب هذه مع جاراتها في السياق الذي ترِدُ فيه، سياقًا قد يطول أو قد يقصر يطلق عليه الانزياح التركيبي.[2]

ويكمن اختصاص الانزياح الدلالي في الانحرافات التي تطرأ على المعاني الموضوعة أصلًا، فتنقل المعنى من دائرته الخاصة التي تعبر عن الحقيقة إلى دائرة أوسع تمثل المجاز[3]، وعرض عبد القاهر الجرجاني حديثًا عن الانزياح الاستبدالي بقوله: "أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفًا، تدلُّ الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثمَّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا لازمًا"[4]، وتعدُّ الاستعارة عماد هذا اللون من الانزياح[5].

---

[1] عبابنة، سامي، **التفكير الأسلوبي: رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي**، 117.
[2] ينظر: ويس، أحمد، **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية**، 111.
[3] ينظر: سلوم، تامر، **الانزياح الدلالي الشعري**، 98.
[4] **أسرار البلاغة**، 22.
[5] ينظر: ويس، أحمد، **الانزياح من منظور الدراسات اللغوية**، 111.

والانزياح في الدلالة هو انزياح في المعنى، والسياق بما يحمله من خصائص لغوية يحمل بداخله خطابًا تأثيريًا ووظيفة جمالية وصبغة أسلوبية فيُظهر النص جماليته، وبالتالي من يصنع الانزياح في النص يكون عارفًا بأحوال اللغة وقادرًا على استخدامها.

والانزياح التركيبي يحدث عندما يتم الربط بين الدلالات بعضها ببعض داخل العبارة أو داخل التركيب والفقرة بطريقة معينة[1]، ويعمل على خرق القوانين المعيارية للنحو ؛لتحقيق سمات شعرية جديدة تعجز عنها اللغة في حال تمسكها بأبعادها المعيارية[2].

يعمد المبدع في هذا النوع من الانزياحات على كسر المتعارف عليه من التراكيب النحوية، فيلجأ إلى قلب أماكن التراكيب أو يحذف بعضها فيضطرب السياق ويتوتر، لتتركز المعاني على ألفاظ في البيت الشعري أو النص النثري، ويتطلب هذا الأسلوب مهارة وتمكنًا كبيرين لدى المبدع، فيجعل الدلالات تتبادل أماكنها ليسلط الضوء على ما أراده، فيعطي معاني أعمق ودلالات أوسع وتأثيرًا أقوى، يوصلها المبدع لملاحظ الانزياح، ولا يخلو هذا الأسلوب من اللجوء في بعض المواضع إلى التقديم والتأخير، وكذلك القصر، وحذف بعض التراكيب وترك بعضها[3]، ليصبَّ المتلقي اهتمامه على ما هو مذكور، ولعل هذه الأخيرة تثبت المفهوم القائل: "إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيرًا"[4].

يحمل الانزياح التركيبي في طياته انحرافًا لغويًا يخلق للقارئ دلالات عديدة يرفقها إلى السامع محملة بالبنية الدلالية التي سعى إلى إرسالها[5].

---

[1] ينظر: ويس، أحمد، **الانزياح من منظور الدراسات اللغوية**، 120.
[2] ينظر: ابن قويدر، مختار، **الانزياح من منظور شجاعة العربية**، 273.
[3] ينظر: عباس، سناء هادي، **المفارقة الشعرية (المتنبي أنموذجًا)**، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، العراق، 2004م.83.
[4] ميويك، دي، سي، **المفارقة وصفاتها**، 63.
[5] ينظر: سعدية، نعيمة، **شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي**، مجلة كلية الآداب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة محمد خيضر بمسكرة- بمسكرة- الجزائر، 2007م،4.

للانزياح شأنٌ خاص في علم الأسلوب فهو علم الانحراف، كما سمَّاه بعضهم، فيصنف اللغة إلى نوعين: لغة مثالية نمطية متعارف عليها، ولغة إبداعية مخالفة للنمط المعياري، وقد حظي الانزياح باهتمام واسع من الدراسة والتحليل، فتطرَّق الباحثون إليه تطرقًا دقيقًا فإنهم أحاطوا بالتعريف والأهمية والأنواع، وقد حددوا أنواعه واستنبطوها من وحي تعريفهم للمصطلح، والظاهر أنَّ الباحثين قد وصلوا إلى أنَّ الانزياحات الموجودة في النصوص الشعرية والنثرية تنقسم إلى قسمين: استبدالي (دلالي) وتركيبي.

أولًا: الانزياح الدلالي (الاستبدالي)

يدلنا هذا النوع من الانزياح من اسمه أنه يظهر في المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية.

1- المجاز: "المجاز مَفْعَلٌ من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عُدلَ باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وُصِفَ بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وُضِعَ فيه أولًا"[1]

إذن المجاز مأخوذ من الأصل اللغوي، وهو اجتياز الموضع إلى موضع آخر، كما يجتاز اللفظ المعنى إلى معنى آخر.

وعرّف ابن أبي الإصبع المصري المجاز بقوله: " هو عبارة عن تجوّز الحقيقة، بحيث يأتي المتكلم لاسم الموضوع لمعنى فيختصره إما بأن يجعله مفردًا بعد أن كان مركبًا، أو غير ذلك من وجوه الاختصار، أو يذكر ما هو متعلق به، أو كان من سببه لفائدة"[2].

[1] الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، 268/2.
[2] **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر**، 457.

وأورد ابن جني حديثًا عن المجاز بقوله: "ما كان بضد الحقيقة، والحقيقة ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، ويقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه"[1].

فالمجاز واقع في اللغة لا يمكن إنكاره؛ لأن أساسه حقيقة، ولا يمكن أن يكون الكلام مجازيًا إلا إذا كان له حقيقة ثابتة، فوجود المجاز في لغة العرب ظاهر وواضح، وهو يفسر تطور اللغة بتطور ألفاظها عن المعاني الجديدة، والمعاني الجديدة يلزمنا إدراك حقائقها، ولا يمكن ذلك إلا بالتعبير عنها، والمجاز خير وسيلة للتعبير عن ذلك، وما فيه من قرائن توازن بين اللفظ ومعناه.

فالعرب كثيرًا ما تستعمل المجاز، وتعده من مفاخر كلامها، فإنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات، والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع، والحقائق من جميع الألفاظ (أي الحقيقة) ثم لم يكن محالًا محضًا فهو مجاز، لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز[2].

ويُعلل ابن الأثير ذلك بقوله: لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الأصل أولى منه، حيث هو فرعٌ عليها، وثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر إليها عيانًا[3].

إن للمجاز مجالًا واسعًا فهو يحدث أثرًا فنيًا "وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه، ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار،

---

[1] **الخصائص**، 444/2.
[2] ينظر: القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، 266/1.
[3] ينظر: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،1/ 88.

والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص"[1].

والمجاز نوعان: مجاز عقلي ومجاز لغوي[2]، وفي تقسيم السكاكي نجده يقسمه إلى: "لغوي وهو ما يسمى مجازًا في المفرد، وعقلي ويسمى مجازًا في الجملة"[3].

وأقرب المجازات للانزياح هو المجاز المرسل، فهو يتميز بخاصية انزلاق الإشارة بالتجاور السياقي، وتتابع هذه الانزلاقات ووقوعها في الاتجاه نفسه، لابدَّ أن يحدث حركة تؤدي بدورها إلى وشم النص من خلال الكتابة المجازية بسمة خاصة مميزة[4].

تتضح فاعلية المجاز بعدّه من أساليب اللغة ويعبر عن سعة اللغة في تجاوز حدود الحقيقة أي تجاوز النمط التعبيري المألوف إلى الخيال؛ لأنه يحمل إشارات بلاغية أو دلالة إيحائية تضفي على اللفظ معنىً جديدًا يفوق المعنى الحقيقي بلاغةً، ويعطى تنوعًا للعلاقات الداخلية في النص.

2 الاستعارة: نالت الاستعارة اهتمام البلاغيين منذ نشأتها وحتى العصر الحديث، فعملوا على دراستها وبيان بلاغتها وأغراضها وأقسامها وبيان الهدف منها.

تقوم بعض الخطب على الصور الاستعارية التي تشكل الاستعارة عمودها في التكوين والتشكيل، واستعمالها في بنية الصورة النثرية يدل على مهارة فائقة من الخطيب وتَمكُّنٍ عالٍ في حياكة وجدانه في هيكل الصورة الفنية.

---

[1] ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، 20.
[2] ينظر: الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، 91.
[3] **مفتاح العلوم**، 362.
[4] ينظر: فضل، صلاح، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، 300.

إنَّ الاستعارة تستثير ذهن القارئ فتجعله ساعيًا متأملًا في تلك الصور الاستعارية التي ساقها المبدع.

فهي ضربٌ من أضرب المجاز لاستعمال اللفظ في غير ما وُضع له، لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة والمعنى التي نقلت إليه مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. لذا فحدّ الاستعارة أن يكون اللفظ اللغوي أصل ثم ينقل عن ذلك الأصل[1].

وقد تقيّد الاستعارة بالتحقيقية ؛لتحقق معناها حسًا أو عقلًا، التي تتناول أمرًا معلومًا يمكن أن يُنصَّ عليه ويشار إليه بالحس أو العقل، أما الحسيّ، فكقول زهير:

لَدَى أسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقذّفٌ لَهُ لِبَدٌ أظفارُه لمْ تُقلَّمِ[2]

أي لدى رجل شجاع.

أما العقلي فكقولك: أبديت نورًا وأنت تريد حجة فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس، فالمفهوم من الألفاظ ما ينوّر القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ نفسها[3].

وحقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شيء معروف لها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو بحصول المبالغة[4].

---

[1] ينظر: الجرجاني، **أسرار البلاغة**، 31. و الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 1/ 65، 171، وأحمد مطلوب، **عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده**، 147.

2 **الديوان**، 24.

[3] ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، 66/1 .

[4] ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 434/3.

ولابدّ من ثلاثة أصول في الاستعارة: مستعار وهو اللفظ المنقول، ومستعار منه وهو اللفظ، ومستعار له وهو المعنى، كقوله تعالى: "وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا"[1]، فالمستعار هو الاشتعال والمستعار منه النار والمستعار له الشيب، والجامع بينهما مشابهة ضوء النهار لبياض الشيب[2].

أما أغراضها فيوضحها العسكري في قوله: تنقل العبارة عن موضع الاستعمال في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما يكون شرحًا للمعنى، وفضل الإبانة عنه وتأكيدًا للإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو يحسن المعرض يبرز فيه[3].

وقد ذهب يحيى العلوي إلى تدقيق المفهوم وزيادة في تحديد مفهوم الاستعارة، فقال: "تصييرك الشيء للشيء وليس به، وجعلك الشيء للشيء وليس له بحيث لا يُلحظُ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكمًا"[4].

الاستعارة التصريحية: هي التي صرّح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، وأن تنقل الاسم عن المسمى الأصلي فتجعله اسمًا له على سبيل الاستعارة والمبالغة في التشبيه[5]، إذْ قال المتنبي في وصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبَلَ يمشي في البِساطِ فما درَى إلى البحر يسعى أم إلى البدرِ يرتقي[6]

فاستعار لفظة البحر والبدر للمشابهة في العطاء والرفعة، حيث قصد فيها سيف الدولة (الممدوح) وهذا على سبيل الاستعارة التصريحية.

---

[1] **مريم**، 4/19.
[2] ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 435/3. وينظر: حسين، عبد القادر، **القرآن والصورة البيانية**، 172.
[3] ينظر: **كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر**، 295.
[4] **الطراز**، 202/1.
[5] ينظر: ابن الناظم، **المصباح في المعاني والبديع والبيان**، 130. وينظر: أحمد مطلوب، **عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده**، 152.
[6] **الديوان**، 347.

الاستعارة المكنية: وتتمثل في حذف المشبه به وذكر شيء من لوازمه مع ذكر المشبه، فالاستعارة في لفظ المشبه به المحذوف، يستعار أولًا، ثمَّ يحذف ويرمز إليه بشيء من لوازمه[1].

وأن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعًا لا يبين فيه شيء يشار إليه، فيقال: هذا هو المراد بالاسم، والذي استعير له، وجعل خليفة لاسمه الأصلي وناب منابه[2].

كقوله تعالى: " الَّذِيْنَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ"[3]

شبه العهد بالحبل الذي ينقض لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين.

الاستعارة التمثيلية: لم يورد الجرجاني في كتابه مصطلح الاستعارة التمثيلية، وإنما تحدث عنها بطريقة أخرى، فقال: "وأما التمثيل الذي يكون مجازًا لمجيئك به على حد الاستعارة، فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: أراك تقدّم رجلًا وتؤخّر أخرى"[4].

لذا فهي تشبيه حالة بحالة أخرى، حذف المشبه مبالغة في التشبيه وبقي المشبه به، ومثال ذلك (أنت ترقم على الماء) حيث تقال لمن يجهد نفسه، وبقي المشبه به وهو حال من يرقم على الماء لا يستفيد من عمله شيئًا ولا يترك أي أثر على الماء[5].

وتنقسم الاستعارة التمثيلية من حيث الإفراد والتركيب إلى مفردة ومركبة، فالمفردة هي ما كان المستعار فيها لفظًا مفردًا، أما المركبة فهي ما كان مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[6].

---

[1] ينظر: ابن الناظم، **المصباح في المعاني والبديع والبيان**، 131. وينظر: عبد القادر الحسين، **القرآن والصورة البيانية**، 203.
[2] ينظر: أحمد مطلوب، **عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده**، 152.
[3] **البقرة**، 27/2.
[4] **دلائل الإعجاز**، 69.
[5] ينظر: الترك، صفاء حسن، **الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم**، 15، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2011م.
[6] ينظر: عتيق، عبد العزيز، **علم البيان**، 192.

كقوله تعالى: "رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا"[1].

حيث شبه حال المؤمنين والله يفيض عليهم بالصبر بحال الماء يصبُّ على الجسم، وكأنهم يطلبون أن يمطرهم صبرًا، فالإفراغ يفيد سعة الشيء وكثرته وانصبابه[2].

3 التشبيه: يعد التشبيه أحد الفنون التي اهتم بها البلاغيون وأعطوه عناية خاصة من كتب ودراسات، لما للتشبيه من أهمية كبيرة وما يضيفه للكلام من رونق وجمال، فللتشبيه: " علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال"[3].

وللتشبيه أغراض منها تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي وإدنائه البعيد من القريب ليفيد بيانًا، وللكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار، كما يفيد الوضوح والتأثير؛ لأن المتفنن يدرك ما بين الأشياء من صلات يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره[4].

ويأتي التشبيه على صور منها:

أ . **التشبيه المفرد:** وهو ما كان فيه كل من المشبه والمشبه به مفردًا غير مركب[5]، ويدرج تحته التشبيه المرسل والمفصل والمجمل والبليغ والمقلوب.

ب . **التشبيه التمثيلي:** وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، سواء محسوسة كانت أم عقلية. حتى يستخرج من مجموعها صور جديدة غير التي كانت عليه في حالة الإفراد[6].

---

[1] **البقرة**: 250/2.
[2] ينظر: الشريف الرضي، **تلخيص البيان**، 120.
[3] عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، 172.
[4] ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1535/3، وبدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، 146.
[2] ينظر: الحسنة، نسوة، **التشبيه في سورة الرحمن وسورة النور**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج، 2007م، 6.
[6] ينظر: حسين، عبد القادر، **القرآن والصورة البيانية**، 59. وينظر: الأنصاري، عمر بن عطية، **تشبيهات القرآن الكريم وأثرها في التفسير**، 32.

ج . التشبيه الضمني: ويفهم من المعنى ويتضمنه سياق الكلام، فيلمح منه الطرفان من المعنى، ولا تُبنى الجملة على أحد صور التشبيه المعروفة، وغالبًا ما يكون المشبه به برهانًا وتعليلًا للمشبه[1].

وهذا النوع من التشبيه أنفذ في النفوس؛ لأنه يكتفي بالتلميح ويفهم من المعنى مما يزيد من قوة تأثيره في النفس.

والتشبيه في نظر البلاغيين تتفاوت درجاته، فما استُكملت فيه أركان التشبيه فهو أقلها بلاغة، وما حذفت منه الأداة أبلغ مما ذكرت فيه الأداة والوجه، ومما حُذفا منه أبلغ مما ذُكرا فيه، كما تتوقف بلاغة التشبيه على إفادته الغرض المقصود منه ما دامت فائدته الإيضاح والبيان والتأكيد والاختصار، سواء ذكرت الأركان جميعها أم لم تذكر[2].

4 الكناية: يذكر المبدع ما يدلّل فيه على شيء آخر يجول في خاطره، فيكني عن صفة أو موصوف باللجوء إلى أسلوب الكناية الذي يتمثل في "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه، وتابعٌ له في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلًا عليه، مثال ذلك قولهم: هو كثير رماد القدر، يعنون كثير القرى، وفي المرأة نؤوم الضحا، يريدون أنها مخدومة ولها من يكفها أمرها، فقد أرادوا معنى، ثمَّ لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصّلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفَه في الوجود"[3]. ولا يكنى باللفظ عن اللفظ وإنما بالمعنى عن المعنى[4].

لذا يترك فيها التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم لينتقل منه إلى الملزوم، وسميت كناية ؛ لإخفائها وجه التصريح، ولا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلا لتوخي نكتة

---

[1] الهاشمي، أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، 239.
[2] ينظر: القزويني، **الإيضاح**، 218.
[3] الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، 66.
[4] ينظر: أحمد مطلوب، **عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده**، 158.

كالإيضاح، أو بيان حال الموصوف، أو مقدار حاله، أو التعبير عن الصعب بالسهل أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن[1]، كقوله تعالى: "وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ"[2]، وهنا الكناية عن صفة الجماع[3].

فالكناية لون من ألوان البيان، وقد عني بها البلاغيون والنقاد وعرفوا مكانتها، وهي من فنون القول التي تعد في ذاتها براعة لغوية وفنية لدى الشاعر أو الخطيب، إذْ تعد من الأركان البارزة التي يُتوصل بها لتشكيل صوره، وتضفي على تشكيله الفني مسحة فنية خاصة تمتاز بالخيال وتميل إلى الإيجاز مع البوح بالجمال والإبداع.

وأسلوب الكناية عند الجرجاني من الأساليب التي تستحق اسم البلاغة، ومن الصفات التي تجدهم يُجرُونها على اللفظ، ثم لا تعترضك شبهة، ثم لا يكون منك توقف في أنها ليست له ولكن لمعناه قولهم: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه[4]. وهذا ما يلاحظ عند الخفاجي الذي جعل الكناية أصلًا من أصول الفصاحة وشرطًا من شروط البلاغة، بل هي واجبة يؤدي العدول عنها إلى فقدان الأسلوب معنى البلاغة والفصاحة[5].

[1] ينظر: ابن الناظم، **المصباح في المعاني والبديع والبيان**، 147.
[2] **البقرة**، 222/2.
[3] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، 496/1.
[4] ينظر: **دلائل الإعجاز**، 71.
[5] ينظر: **سر الفصاحة**، 156.

ثانيًا: الانزياح التركيبي

ومن صوره:

1. التقديم والتأخير

متعلقٌ بترتيب عناصر الجملة العربية، وبالصياغة وفنون التعبير وله قيمة فنية على المستوى التركيبي الإبداعي في الجملة.

وقد خصَّ الجرجاني التقديم والتأخير وعدَّه من وجوه النظم، بقوله :"هو بابٌ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطُف لديك موقعه، ثمَّ تنظر فتجد سبب أن أراقك ولطُف عندك، أنْ قدم فيه شيء، وحوَّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[1].

وهذه الظاهرة مظهر من مظاهر شجاعة العربية؛ ففيها إقدام على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتمادًا على قرائن أخرى، ووصولًا بالعبارة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق وجمال[2]. "ولهذا فإن ظاهرة التقديم والتأخير تعدُّ دليلًا على مرونة اللغة العربية وحريتها في تغيير صياغة الجملة، والتصرف في الرتب المحفوظة لغايات وأسرار بلاغية"[3].

إنَّ إعادة ترتيب الجملة يجب أن يكون ترتيبًا مألوفًا يؤدي إلى الغرض البلاغي المنشود ؛ليتسم النص بالطابع الفني اللافت للنظر، مع إبقاء النص داخل دائرة النظام اللغوي ونجد (جون كوهين) قد أطلق على الانزياح الناتج عن التقديم والتأخير بالانزياح النحوي أو (القلب) وهو ما طبقه على لغته الفرنسية وما تحويه من خصائص خاصة بها، كما يرى أن الفرق بين الصياغات الواحدة التي لا تملك الدلالة نفسها راجع

[1] **دلائل الإعجاز**، 106.
[2] ينظر: الشاعر، صالح، **ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي**، 74.
[3] الخرشة، أحمد، **أسلوبية الانزياح في النص القرآني**، 151، 152.

إلى أنَّ بعضها مخالف للاستعمال الشائع، وربما هو تعليل صحيح ولكنه غير مكتمل، ذلك بأنَّ المخالفة وحدها غير كافية لتوليد الشاعرية، ولابد إذن من أن تكون من وراء المخالفة قيم فنية وجمالية، إذْ ليس بالضرورة أن تكون المخالفة حبًّا لتميّز أو تفرّد فحسب، والغالب أن يكون وراءها غاية فنية تعبر عن شيء أو عن معنى في النفس[1].

ويؤكد سيبويه على أهمية التقديم والتأخير بقوله: "وكأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإنْ كانا جميعًا يُهمّانِهم ويَعنيانِهم"[2]، ويؤكد على مثال في هذه الحالة بقوله: "واعلم أن تقديم الخبر على المبتدأ عربيٌّ جيّد وذلك كقولُك: تميميٌّ أنا، ورجل عبدُ اللهِ"[3]، وكما يجوّز ابن جني لذلك التقديم بقوله: "ومما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ، نحو قائمٌ أخوكَ وفي الدار صاحبُك"[4]. وأما السكاكي فيورد كلامًا عن التقديم والتأخير بقوله: "أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى، وفقًا للمقياس والقوانين المستنبطة من استقراء كلام العرب"[5].

فالتقديم والتأخير ظاهرة نحوية – بلاغية على حدٍّ سواء استنادًا على السياق الذي يرد فيه التقديم والتأخير، وهنا يحصل الانزياح مع المعاني التي يريد الأديب إيصالها ضمن قوالب فنية وبلاغية لها وقعٌ وانتباه لدى القارئ، فلا يصحّ تأليف كلام ضعيف وعدّه فصيحًا.

فالمبدع الحق هو مَنْ يمتلك القدرة على تشكيل اللفظة جماليًا بما يتجاوز إطار المألوفات، وبما يجعل التنبؤ بالذي سيسلكه أمرًا غير ممكن، ومن شأن هذا أن يجعل متلقي الشعر في انتظار دائم لتشكيل جديد، ومنه معاني ودلالات جديدة[6].

---

[1] ينظر: ويس، احمد، **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية**، 122. 124

[2] **الكتاب**، 24/1.

[3] **الكتاب**، 127/2.

[4] **الخصائص**، 382/2.

[5] **مفتاح العلوم**، 85.

[6] ينظر: ويس، أحمد، **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية**، 102.

2. الالتفات:

الالتفات عند البلاغيين هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول[1]، ويتحقق عبر آليات بنائية اعتمدت على السياق التكويني للغة في مظهرها اللفظي الذي يوصل إلى تحليل بلاغي في مظهرها التركيبي[2].

وبالمجمل الالتفات عبارة عن: " أسلوب يتم بالعدول عن صيغة إلى صيغة، كأن يعدل عن التكلم إلى الخطاب، أو عن التكلم إلى الغيبة، أو عن الخطاب إلى الغيبة وبالعكس، أو أن يعدل المتكلم عن المفرد إلى المثنى، أو عن المفرد إلى الجمع، أو عن المثنى إلى الجمع وبالعكس، لفائدة تقتضي العدول كأن يكون لتأكيده أو إزالة الشك عنه أو غير ذلك"[3]، فالالتفات يعطي النص قوةً في التأثير وعمقًا في التعبير، ووجوده في أي نص يدل على أن صاحب النص عنده البراعة والتمكُّن اللغوي في استخدام اللغة وتطويعها لخدمته.

ويتضمن الالتفات فنية التنويع في العبارة لإثارة انتباه المتلقي والاقتصاد والإيجاز في التعبير أو الإعراض عن المخاطبين، أو إفادة معنى تتضمنه العبارة التي حصل الالتفات إليها، وغيرها من فوائد الالتفات التي تسهم في تحول مجرى النص في صور متعددة تعد خاصية تعبيرية[4].

وثراء اللغة العربية ووفرة الأساليب اللغوية فيها يجعل التنوع والتعدد في العلاقات التي تربط الألفاظ ومعانيها كثيرًا وواسعًا؛ لأن هناك أعرافًا لغوية يجوز كسرها والاختلاف عنها مع المحافظة على المدلول اللغوي وسلامة توظيف الأساليب بقصد البلاغة وتنشيط السامع وتحريكه للاستماع، وإظهار براعة صاحب النص وإبداعه محدثًا خرقًا لغويًا ليكوّن الكلام البلاغي.

---

[1] ينظر: عبد المطلب، محمد، **البلاغة والأسلوبية**، 276.

[2] ينظر: هلال، عبد الناصر، **الالتفات البصري من النص إلى الخطاب**، 112.

[3] الشامي، فادي، **بلاغة الالتفات عند أبي السعود في تفسير وإرشاد العقل السليم**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 2008م، 51.

[4] ينظر: بولوحواش، سعاد، **شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2011 – 2012م، 40.

والنصوص الأدبية تتطلب التفنن والتنويع في أساليب الكلام في ظل سماح اللغة للمبدع أن يظهر نصه وجماله وينجح في تأدية غرضه ومراده.

3. الحذف:

وهو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها أو جزء من الكلام بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام[1].

فالحذف يدور حول القطع والإسقاط بشروط.

والعرب لا يحذفون ما لا دلالة عليه ولا صلة إليه؛ لأن الحذف مناف لغرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام وفائدته تقليل الكلام والتقريب إلى الإفهام[2].

وقد صرّح النحويون بذلك، فقال ابن مالك في ألفيته[3]:

وحذفُ ما يُعلم جائزٌ كما تقول زيدٌ بعد مَن عندكما

وفي جواب كيف زيدٌ قلْ دنفْ فزيدٌ استُغنى عنه إذْ عُرفْ

وسمّاه ابن جني في باب شجاعة العربية وقال: "الحذف للاختصار والإيجاز، فاعرف ذلك مذهبًا للعرب"[4].

[1] ينظر: الرماني والخطابي والجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، 76.
[2] ينظر: السلمي، عبد العزيز، **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**،2.
[3] **متن الألفية**، 10.
[4] **الخصائص**، 289/1.

والحذف خلاف الأصل، فإذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى؛ لأن الأصل عدم التغيير، وإذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته، كان الحمل على قلته أولى[1].

وعدَّ علماء البلاغة الحذف أحد أقسام الإيجاز، فقالوا: هو ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه[2]. ويكون بحذف مالا يخلّ بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، بلْ لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام من علو بلاغته، ولصار إلى شيء مسترذل، ولكان مبطلًا لما يظهر عليه الكلام من الطلاوة والحسن والرقة[3].

ونوّه الجرجاني بقيمة أسلوب الحذف ووصفه: "أما الإيجاز بالحذف فإنه بابٌ عجيب الأمر شبيه بالسحر، وذلك أن ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون مبينًا إذا لم تبيّن"[4].

والحذف في موضعه دليل الفصاحة والبلاغة عند العرب، إذْ يحذفون فضول الكلام فتعبّر بذلك المعاني القليلة عن المعاني الكثيرة[5]. وفرّق الزركشي بين الإيجاز والحذف بقوله: "شرط الحذف أن يكون ثم مقدر، بخلاف الإيجاز فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه"[6].

---

[1] ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 104/3.
[5] ينظر: ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، 2/ 178. وينظر: مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، 205.
[3] ينظر: طبانة، بدوي، **معجم البلاغة العربية**، 155.
[4] **دلائل الإعجاز**، 146.
[5] ينظر: الخفاجي، ابن سنان، **سر الفصاحة**، 205.
[6] **البرهان في علوم القرآن**، 103/3.

المبحث الثالث: وظائف الانزياح

أولًا: المفاجأة

ثانيًا: تحديد القواعد اللغوية

أولًا: المفاجأة

لقد حقق الانزياح انتشارًا واسعًا في الدراسات النظرية والتطبيقية العربية بعدّه مفهومًا إجرائيًا في تحليل الخطاب الأدبي الشعري والنثري.

إن مظاهر التطور الدلالي ثلاثة: تخصيص الدلالة، وتعميم الدلالة، وتغيير مجال استعمال الكلمة، أي أن معنى الكلمة يحدث فيه تضييق أو اتساع أو انتقال. فهناك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص، وهناك اتساع في الحالة العكسية أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام، وهناك الانتقال الدلالي من معنى إلى معنى آخر بينهما قرينة وهو ما يطلق عليه النحاة التجوُّز أو الانتقال المجازي[1].

وعلم الأسلوب علم جديد يقنن لدراسة النص الأدبي عبر مجالات واسعة، وآفاق رحبة، حيث يدرس النص على ثلاثة مستويات لغوية وهي: التركيب والدلالة والصوت، أي أنه يدرس النص على مستوياته التعبيرية كافة، من أدناها وأبسطها إلى أبعدها وأعقدها، وهو يدرس دلالات الكلمات والجمل، وطريقة تركيبها، كما أنه يدرس المعنى الكلي للنص، بل إنه يطمح إلى ما هو أكثر من ذلك، وهو خواص الأسلوب العامة عند أديب، أو في إطار نوع أدبي، أو مدرسة أدبية، وهو يؤكد على أن وظيفة علم الأسلوب الأدبي هي استخدام مفاهيم علم اللغة العام لمعرفة الخصائص الجمالية التي يتميز بها النص الأدبي[2].

[1] ينظر: عبد التواب، رمضان، **التطور اللغوي ومظاهره وعلله وقوانينه**، 114-115
[2] ينظر: سليمان، فتح الله، **الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، 6-7.

من وظائف الانزياح إثراء اللغة وكيف أن اللفظ الواحد يستخدم للدلالة على معنيين وقد يتعداهما إلى معانٍ كثيرة ومتعددة، ويكسب النص جمالية وشعرية فيصل بالنص إلى المستوى الإبداعي، والانتقال باللغة من التداول إلى الخلق والتميز... عن طريق توظيف عناصر اللغة... وتميُّز اللغة الشعرية والنثرية يمنحها خصوصية تختلف عن اللغة العادية.

وخلاصة القول إن الانزياح مسألة مهمة وبارزة في لغتنا العربية، فهي وسيلة ممكنة في توسيع اللغة، وتحمل هذه الوسيلة الفنون والجمال.

يقول الزمخشري: " الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"[1]، وفي مقام آخر يبين بلاغة العدول (الانزياح): وهو فنّ من الكلام جزل، فيه هزّ وتحريك من السامع... وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الآذان للاستماع، ويستهش الأنفس للقبول[2].

ويرى ابن الأثير أنّ (العدول) هو توسعٌ في الكلام وهذا التوسع مطلوب وهو سبب صالح[3].

ولا يستطيع أحد إنكار أن محاولة إدراك الأسلوب على أنه انحراف عن المعيار الموجود خارج النص، وعلى أنه انحراف مقصود من المؤلف لأغراض جمالية محددة تبدو مقبولة في النظرة الأولى على الأقل[4].

---

[1] **الكشاف**: 14/1

[2] **الكشاف**: 89/1

[3] ينظر: **المثل السائر**: 64/2.

[4] ينظر: شبلنر: **علم اللغة والدراسات الأدبية**، 54.

وعليه فإن الانزياح مقوم مهم لتحديد جمالية النص الشعري من خلال تجاوزه العادات الكتابية والقوانين المعجمية، وبذلك يكون الانفلات من سلطة المألوف والمعتاد عليه ؛لتحقيق هدف جمالي على مستوى البناء والدلالة، ولذلك عدّه رومان جاكبسون انحرافًا بقوله " لتأتي أولى وظائف الشعرية في البحث عن انحراف النص عن مساره العادي لتحقيق وظيفة جمالية"[1].

والانزياح مفتاح الدخول إلى النص وكشف مفاصله ؛لأن "الذي يساعد على الدخول إلى عالم القصيدة ليس هو معرفة غرضها، بل هو إضاءتها وكشف أسرارها اللغوية، وتفسير نظام بنائها وإدراك العلاقات فيها"[2].

لقد منح حقل اللسانيات الانزياح منطلقًا في تحديد موضوعه ومضمونه، ففرقت بين اللغة بوصفها ثباتًا ونظامًا يجمع، والكلام بما فيه استعمال شخصي محسوس قائم على التفرُّد والتغيُّر والحركة، ومن هذا التميُّز أصبحت شعرية النص تنتمي إلى مجال الكلام الأدبي، لا إلى الكلام الاعتيادي العام[3].

وعدَّ علماء الأسلوب الانزياح حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ؛ لأن الكتابة الفنية تُلزم الكاتب على مفاجأة القارئ بين حين وآخر بعبارات تثير الانتباه حتى لا تقل حماسته[4].

والانزياح يخلق الشاعرية داخل النص الأدبي، ويؤثر في المتلقي (المخاطب) –القارئ والسامع- بفضل الجمالية وعنصر المفاجأة، فيعطيه شعورًا بالمتعة والجمال وشد الانتباه وتوسيع مخيلة القارئ[5].

---

[1] جاد، عزت محمد، **نظرية المصطلح النقدي**، 274.
[2] عبد اللطيف، محمد حسانة، **منهج في التحليل النصي للقصيدة**، 19.
[3] ينظر: ناظم، حسن، **مفاهيم شعرية**، 71. واليافي، نعيم، **أطياف الوجه الواحد**، 93.
[4] ينظر: أبو العدوس، يوسف، **الأسلوبية الرؤية والتطبيق**، 185.
[5] ينظر: العطية، أيوب، **الأسلوبية في النقد الأدبي المعاصر**، 112.

"وبهذا تكون ظاهرة الانزياح ذات أبعاد دلالية إيحائية تثير الدهشة والمفاجأة، ولذلك يصبح حضوره في النص قادرًا على جعل لغته لغة متوهجة ومثيرة"[1].

ويثير الانزياح الذهول والغرابة، حيث يصف الجاحظ ذلك بقوله: "الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع"[2].

ويرتبط الانزياح بجمالية اللغة إذ تحدث اللغة الإشارات والإيحاءات التي لا تظهر في الكلمات ولكنها تختبئ في مسارها[3].

واللغة أداة ووسيلة للتواصل بين البشر وللغة وظيفتان أساسيتان "الوظيفة التواصلية والوظيفة الجمالية، والانزياح هو من أوليات الوظيفة الجمالية"[4].

إن الأثر الجمالي للانزياح يولد دهشة يفاجَئ القارئ بها بما لا يتوقعه من التراكيب اللغوية، فالقارئ في طبيعته الملل والسآمة، فلابدَّ بين الحين والآخر أن يمتلك المؤلف القدرة على خلق الإثارة بوساطة عنصر المفاجأة وهذه المفاجأة تكون بالتمسك بظاهرة الانزياح[5].

وعلى المؤلف إقحام القارئ داخل دائرة الإبداع، وبوساطة الانزياح يكمن الدور الجوهري لتحقيق الدلالة ومنه البلاغة بالإضافة إلى تحقيق التفنن في استخدام التراكيب[6].

---

[1] ربايعة، موسى، **الأسلوبية مفاهيمها وتجالياتها**، 58.
[2] **البيان والتبيين**، 1/ 93.
[3] ينظر: الغذامي، عبد الله، **الخطيئة والتكفيرمن البنيوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق**، 22.
[4] بو لحواش، سعاد، **شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن**، رسالة ماجستير، 219.
[5] ينظر: بودوخة، مسعود، **الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية**، 20.
[6] ينظر: هلال، ماهر مهدي، **رؤى بلاغية في النقد والأسلوبية**، 111.

الانزياح هو دخول في حرية الكلام وإبداعياته، وإن عنصر المفاجأة ومفهومها مرتبط بالمتلقي ارتباطًا حتميًا، فهو يدور في فلك الإبداع ودائرته ؛لأن المتلقي هو مَن يُوجَّه إليه النص وهو الذي يصدر الحكم على النص بقيمته بحيوية الأسلوب وامتلاك النص والوصول إلى حيز الدهشة والمفاجأة.

فعملية الانزياح جاءت لإخراج اللغة من دائرة المعاني المعجمية والمعيارية المحددة إلى دائرة النشاط الإنساني الحي إذْ تسهم في "خلق إمكانيات جديدة للتعبير والكشف عن علاقات لغوية جديدة تصطدم مع ما تربى عليه الذوق"[1].

وتقوم ظاهرة الانزياح على تقوية صلة المتلقي مع النص "ويتولد عند القارئ إحساس بالدهشة والمفاجأة في المنتظر واللامتوقع، وإنَّ هذا الإحساس يأسر القارئ ويشكِّل لديه لذة وطرفة وغرابة يمكن أن تكون أساسية في اللغة الشعرية التي تبتعد عن المباشرة والتقريرية"[2].

ومن هنا تبرز فاعلية الانزياح ووظيفته الجمالية.

ثانيًا: تحديد القواعد اللغوية

والانزياح يخرق نظام اللغة وينتهك قواعدها، ضمن معايير متعارف عليها بين متحدثي اللغة العربية، وكلما ارتقى المؤلف وهو يبدع في إنشاء النص وبنائه زادت الانزياحات وكثرت، فيعاد تشكيل الكلام وفق قواعد جديدة تخرق المعيار محافظة على سلامة فهم القارئ للنص.

"إن التركيب اللغوي في أدائه الفني قد ينزاح عن النمط التقليدي بأن تضمن بعض الملامح التي يتفرد بها عمَّا سواه، ولا ينبغي أن ننظر إلى تلك الانزياحات على أنها رخص شعرية أو ابتداع فردي، وإنما هي الدقة في استعمال المادة اللغوية المتوفرة ومن ثم توظيفها الذكي للإمكانات الكامنة في اللغة"[1].

[1] ربايعة، موسى، **الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها**، 58.
[2] ربايعة، موسى، **الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها**، 56

فالانزياح هو التلاعب باللغة أي التلاعب في محتويات الجملة، وإعادة ترتيب ألفاظها المنقولة بمعانيها الأصلية سعيًا وراء إحراز الدلالة المطلوبة، تلك الدلالة التي تستدعي أن تمثل كل كلمة في الجملة دورًا في تتمة المراد لا باستيفاء هذه الكلمات شروط البناء فحسب، وإنما بتفاعلها في هذا البناء، فتستقر حيث يتطلب المعنى وتستدعي الدلالة[2].

"فليس الغرض بنظم الكلم، أن توالتْ ألفاظها في النطق، بلْ أن تناسقت دلالتها وتلاقتْ معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل"[3]. فالانزياح يقفز على قوانين اللغة وضوابطها، ويراعي في الوقت نفسه قواعد اللغة وقوانينها، فيعطيها جمالًا. والصور التي ينسجها الانزياح تُوافق الكلام في أصله بالخروج عن قواعد اللغة المتعارف عليها؛ لأن الكلام بحاجة للانزياح حتى يظهر ويتميز وفيه تجديد للعطاء الفني في الأساليب البلاغية المتعددة.

إن المبدع يستعمل الانزياح كي يعكس قدرته فيستخدم اللغة ويفجر طاقاتها ويوسع من دلالاتها، ليولّد أساليب وتراكيب جديدة لم تكن دارجة أو شائعة في الاستعمال، فيشكل اللغة بما تقتضيه حاجته، غير ناظرٍ ولا آبهٍ بالحدود والدلالات الوضعية، فهو يعمد إلى الانتقال مما هو ممكن إلى ما هو غير ممكن بوساطة استخدامه الخاص للغة[4].

وبتحديد الانزياح للقواعد اللغوية فإن عناصر النص تتظافر وكذلك مستوياته، إذ إنه لا يمكن أن يتحقق للمستوى الصوتي جماليته وبعده الوظيفي إلا باقترانه بالبعد الدلالي وكذلك مع المستوى التركيبي، ويمكن للانزياحات الدلالية والتركيبية أن تكشف عن مستوى النص.

---

[1] عيد، رجاء، **البحث الأسلوبي معاصرة وتراث**، 148.
[2] عطية، مختار، **التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية**، 59.
[3] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، 42.
[4] ينظر: السد، نور الدين، **الأسلوبية وتحليل الخطاب في النقد العربي الحديث**، 106.

الفصل الثاني : تجليات الانزياح الدلالي في الخطب الأموية

المبحث الأول: الكناية

المبحث الثاني: التعريض

المبحث الثالث: الاستعارة

المبحث الرابع: التشبيه

المبحث الخامس: المجاز المرسل

المبحث السادس: المجاز العقلي

المبحث السابع: الانزياح المعجمي

المبحث الأول: الكناية

ينتقي الأديب ألفاظًا في خطابه، وفي هذا الخطاب إما أن تكون بعض الألفاظ حقيقية أو مجازية، وهنا يأتي دور المحلل أو الباحث في تصنيف الألفاظ ودراسة العمق البلاغي، فقد يعطي الأديب أو الخطيب ألفاظًا معينة في سياق واسع يريد من خلاله أن يذهب بالمحلل أو الباحث إلى تحديد العنصر البلاغي، فيُحيله إلى الكنايات مثلًا، وهي تحمل ثنائيات للمعنى والقصد من حيث التركيب، وتنتج لنا دلالة لها علاقة بما في تصور السامع أو القارئ من دلالات قريبة مما ارتضاه الأديب أو الخطيب.

عندما يعبر الأديب بالأسلوب الكنائي في خطابه فإنه يغيّب المكنى عنه مثلًا ويجعل السامعين ينشدون المعاني الثانية المرادة التي تشفُّ عنها الكلمات والجمل بعيدًا عن المعاني المباشرة أو السطحية، ويكون اللفظ الحامل للكناية فيه انزياح دلالي واضح يسهل على القارئ أو السامع التوصل إليه؛ لأن الكناية تبحث في المعاني لا في الألفاظ؛ ولأنها تتجاوز المعاني الظاهرة إلى المقصودة.

استوقفتني نماذج متعددة من الكنايات في **الخطب الأموية** لتوضيح ما فيها من انزياح دلالي، وما في ذلك من جمال الصور البيانية التي تأسر العقول وتشحذ الأذهان لما فيها من جماليات ومحسنات، ويحاول الباحث كشف اللثام عن المعنى الغائب؛ ليتوصل إلى المقصود برياضة ذهنية تُسفر عن الإعجاب والتذوق بأسلوب أدبي رفيع المستوى، والنص يفسر أدبيّة الكناية التي تمثل مرتبة وسطى بين المرتبتين الحقيقة والمجاز الذي يتخطى المعنى الحقيقي إلى المجازي، وأبدأ الغوص في خطب **عمر بن عبد العزيز**:

ومنها، قوله في إحدى خطبه: "أيها الناس، **أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم** وأصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق في الموت"[1]

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 180/4.

وقد جاءت هذه الكناية في سياق الطلب بالنداء والأمر، وهي إصلاح السرائر، وجاءت صياغة الطلب والأمر في كلامه حائلةً إلى نتيجة وهي "تصلح لكم علانيتكم" وهي النتيجة المطلوبة والمرادة والمترتبة على إصلاح السريرة، فالعمل الصالح في العلانية يدل على استقامة السريرة وصحتها والعكس صحيح، فما بالك إذا كانت السريرة أفضل من العلانية!

والناظر في دقة الطلب وهو إصلاح السريرة، يجد أن **عمر بن عبد العزيز** قد اختار لفظة تحمل في طياتها معنى خرج عن الدلالة المعجمية إلى دلالات أخرى أعمق.

والسرائر كناية عن الضمائر، أو ما يخفيه الإنسان في قلبه من نوايا وعقائد أي ما يستره الإنسان في قلبه من أقوال وأعمال، والسريرة لا تُكشف إلا إذا كشفته العلانية، فإذا كان السر في القلب، فأعمال الإنسان تعكسه وتظهره في العلانية.

فالصياغة تهدف إلى المبالغة في إصلاح ما في الصدور، ففيها كتم النوايا، حيث كنى عن خفاء ما في القلوب والصدور بالسرائر، ولو أتى بلفظ القلوب لكان لفظًا عاديًا يقترب من السذاجة ولا يحتاج إلى طول تأملٍ وعمقٍ في البحث، فمن صفات المكني عنه وأحواله أنه مستور في سر لا ينكشف، وهذا هو الانزياح الدلالي بعينه، والذي يترك القارئ أو السامع أن يسرح في ذهنه إلى معانٍ أخرى قريبة من اللفظ الموضوع ما ينوب عنه في الدلالة عليه.

وأفاد **عمر بن عبد العزيز** من الكلام المعجز: (يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ)[1]، جاء في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: "نَصَّ عَلَى الصُّدُورِ هُنَا، مَعَ أَنَّ الْمُرَادَ الْقُلُوبُ؛ لِأَنَّهَا هِيَ مُنَاطُ الْعَمَلِ وَمَعْقِدُ النِّيَّةِ. وَالْعَقِيدَةُ وَصِحَّةُ الْأَعْمَالِ كُلُّهَا مَدَارُهَا عَلَى النِّيَّةِ، وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: خَصَّصَ الْقَلْبَ بِالذِّكْرِ؛ لأَنَّهُ مَحَلٌّ لِأُصُولِ الْأَعْمَالِ"[2].

[1] **الطارق**، 9/86.
[2] الشنقيطي، محمد الأمين، 68/9.

وقوله: " وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، **فإنه هادم اللذات"**[1].

وصيغة هادم اللذات فيها تناص ديني مأخوذ من حديث النبي -ﷺ-: "أكثروا من ذكر هادم اللذات"[2].

وجاء في شرح الحديث: "إما لِأَن ذكره يزهد فِيهَا أَو لِأَنَّهُ إِذا جَاءَ مَا يبْقى من لذائذ الدُّنْيَا شَيْئًا"[3].

وهنا قد رسم لنا صورة حاضرة في الذهن وموعظة بليغة في اللفظ وهي "هادم اللذات"، فهدم اللذات يخفي ما وراءه من دلالات وإيحاءات، فقد عمد **عمر بن عبد العزيز** الانزياح عن الكلام المألوف المباشر وهو الموت للتعبير الصارخ واللافت للذهن وهو "هادم اللذات" فاستعار كلمة هادم وكلمة اللذات وربطهما ببعضهما، وكلمة "هادم" مناسبة "للذات" وترابط الكلمتين فيه تطابق لما يفعله الموت بالإنسان، فالهدم مرتبط بالمحو والإزالة واللذة مرتبطة بالطيب والسرور إما بطعام، أو مال، أو نوم، أو متاع، أو منفعة، ولكنه هنا الموت.

وبهذا التناص من الحديث الشريف استطاع **عمر بن عبد العزيز** أن يحدث المبالغة في الألفاظ ويذكر صفات للمكنى عنه، وهو الموت بهدم لذّات الإنسان ونِعَمه وأن ينبّه القارئ إلى معانٍ بشكل أوسع تؤدي به إلى المكنى به ويؤثر في خلق جو نفسي.

فالوظيفة الجمالية في حدّها تسعى إلى إشباع نوع من الجمال لا يكتفي بأن يقوم على الشكل، أو المظهر الخارجي، أو التكرار المُمل، وإنما يقوم على الإمتاع الفني[4].

وقوله:" أَيهَا النَّاس، إِنَّه قد كَانَ قبلي **وُلَاة تجترون مَوَدَّتهمْ** بِأَن تدفعوا بذلك ظلمهم عَنْكُم يَا أَيهَا النَّاس"[5].

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 204/2.
[2] ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، 47/2.
[3] السندي، نور الدين، **حاشية السندي على سنن النسائي**، 4/4.
[4] ينظر: التطاوي، عبد الله، **الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد**، 272.
[5] ابن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، 41.

والمراد بتجترون أي تنجذبون، وهي كناية على النفاق والتملق وخشية الولاة ودفع الأذى الذي قد يأتي منهم، فرسم **عمر بن عبد العزيز** صورة الاجترار، وهو كناية عن الجذب، أي أن بعضًا من الرعية كانوا يتملقون ويجترون مودة الولاة الذين حكموا قبل حكم **عمر بن عبد العزيز**، وهنا تحذير مخفي ونهيٌ مضمر لترك هذا الفعل وهو المداراة والمداهنة طمعًا في مودة الولاة من أجل رضاهم وتجنب أذاهم، وطلب السلامة منهم واتقاء شرورهم.

واستعمل عمر كلمة "تجترون" وما فيها من زيادة في مبنى الكلمة وما تحمل قوة تعبيرية مؤثرة وآثرها على التملق أو النفاق أو التودد الزائد والملاطفة المصطنعة، واستطاع بهذه الكناية أن يعطي الحالة الطبيعية في علاقة الرعية مع ولاتهم وحكامهم، عن طريق تحذيره إياهم أن يقعوا في هذا الفعل المرفوض؛ لأن الرعية يجب أن تكون كريمة وشريفة لا أن تخشى الولاة أكثر من خشيتها لله تعالى، فهو أتبع الكناية بقوله: "بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم"، فكانت الكناية في موضعها وحسن اختيارها وخلقت نوعًا من التحذير والترهيب من الوقوع في هذا الفعل الشنيع وهو التملق والتكلف والتمثيل الكاذب أمام الولاة والحكام.

وقوله: "لست بِخَيْرِكُمْ وَإِنَّمَا أَنا رجل مِنْكُم **أَلا وَإِنِّي أثقلكم حملا** يَا أَيهَا النَّاس، إن أفضل الْعِبَادَة أَدَاء الْفَرَائِض وَاجْتنَاب الْمَحَارِم أَقُول قولي هَذَا وَأَسْتَغْفِر الله الْعَظِيم لي وَلكم"[1]

لقد خطَّ **عمر بن عبد العزيز** لنا صورة عن أعباء الحكم والمسؤولية ورعاية الناس وسياستهم، وأعطانا صفة عن التحمل والمشاق المُكلَّف بها شرعًا. وكأنّ المسؤولية أثقالٌ محسوسة تُثقل كاهل الخليفة، ويرنو إلى الوقت الذي يزيح عنه أعباء الحكم، وفيها كناية خفية أخرى بعدم الطمع بالحكم والرغبة فيه.

وقد اكتفى عمر بن عبد العزيز بوصف أعباء الحكم بالحمل الثقيل والصعب، ولم يعطنا كامل واجباته ومسؤولياته كإقامة العدل وتوزيع الأموال وحفظها وإقامة الحدود وإطلاق الجيوش لنشر الإسلام، بل أعطانا

[1] ابن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، 40.

صفة عن حمله الثقيل وهو تكليف من الله –تعالى- مراقَبٌ منه ومحاسب عليه يوم القيامة يؤديه بأمانة على الوجه الأمثل.

والحمل الثقيل بحاجة إلى رجل يمتلك طاقة وقدرة، و"الطَّاقَة: هِيَ اسْم لمقدار مَا يُمكن الْإِنْسَان أَن يَفْعَله بِمَشَقَّة، وَذَلِكَ تَشْبِيهه بالطوق الْمُحِيط بالشَّيْء، فَقَوله تَعَالَى: (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ)[1] لَيْسَ مَعْنَاهُ مَا لَا قدرَة لنا بِهِ بل مَا يصعب علينا"[2].

وقوله: " يا أيها الناس: إنه من يقدّر له رزق برأس جبل، أو بحضيض أرض يأته، **فأجملوا في الطلب**"[3].

كناية عن التأدب وتحرّي الحلال والحرام في طلب الرزق والطيبات، وهذا التعبير جاء على صيغة الأمر وفيه توجيه للطالب لرزقه بأن يتأدب في طلبه، بأن يطلب الحلال لا الحرام، أن يطلب الطيّب لا الخبيث، ودعاء العبد لربه أن يرزقه يجب أن يكون جميلًا مقبولًا عند الله وهو المجيب. وفيه كناية عن أن المكتوب من رزق العبد لا محالة أن يصيبه ولو كان مصدره بعيدًا عنه.

وقوله: "إن الدنيا ليست بدار قرار، دارٌ كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن، فكم عامر موثَّق عما قليل يخرب؟! وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن؟! **فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة** بأحسن ما يحضركم من النُّقلة"[4]

فالمراد بالرحلة الطريق إلى الموت ووداع الدنيا من غير رجعة والانتقال للقبر ثم انتظار يوم القيامة والجزاء، ولكن **عمر بن عبد العزيز** آثر الانزياح عن مدلول الموت وكنى عنه بدلالة أخرى تقودنا إلى المكنى عنه.

---

[1] **البقرة**، 286/2.
[2] الحنفي، أبو البقاء، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، 586.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 205/2.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 205/2.

وهو السفر والانتقال من حال إلى حال، أو من مكان لآخر، والرحلة ترمز إلى أن المرتحل في نهاية المطاف لابدّ أن يعود إلى الاستقرار والخلود إلى المكان الذي يقيم فيه، والمرتحل بحاجة إلى أن يتزود لرحلته بما يُريّحه وهنا العمل الصالح، والرحلة نقيض الإقامة والاستقرار والثبات ونقيض طبيعة الدنيا؛ لأنها لا تبقى على حال، فالموت شيءٌ معلوم ومتوقع لدى بني الإنسان، وهو نهاية الإنسان في الحياة الدنيا. وكأن الإنسان من بداية وجوده على الأرض مسافر في رحلة تطول أو تقصر ليصل في نهاية المطاف إلى دار القرار والخلود.

ولقد أعطى الانزياح هنا قيمة للمعنى البعيد، وكي تفهم المعنى المحدد للكلمة يجب أن تفهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًا[1]. وهنا تكمن أهمية الانزياح "وما يتميز به من وضوح الدلالة والقدرة الفائقة على التعبير عن المعاني المختلفة"[2].

وقوله: "إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا منافس، وبها **قرير عين**"[3].

وهي كناية عن السرور والفرح والحبور، و"قُرَّةُ العَيْن: ما تَقَرُّ به: أي تبرد، نقيض سُخْنَتها؛ لأنها تسخن عند البكاء"[4].

"ورجلٌ قريرُ العين، وقد قرَّت عينه تَقِرُّ وتَقَرُّ: نقيض سخنت. وأقر الله عينَه، أي أعطاه حتَّى تَقَرَّ فلا تطمح إلى من هو فوقه. ويقال: حتَّى تبرد ولا تسخن. فللسرور دمعةٌ حلوة باردة، وللحزن دمعة ملح حارَّةٌ"[5].

[1] ينظر: إبراهيم، رجب عبد الجواد، **دراسات في الدلالة والمعجم**، 97.
[2] هلال، ماهر مهدي، **رؤى بلاغية في النقد والأسلوبية**، 111.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 205/2.
[4] الحميري، نشوان، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، 531/8.
[5] ينظر: الجوهري ، **الصحاح**، مادة (قرر).

ولا يخفى التناص القرآني المستمد من قوله تعالى: (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ)[1].

نجح عمر بن عبد العزيز في انزياحه في بنية الكناية، وحقق تلاعبًا فنيًا في اللغة، "فالانزياح هو التلاعب باللغة، ونعني بذلك اللعب في محتويات الجملة، وإعادة ترتيب ألفاظها المنقولة بمعانيها الأصلية سعيًا وراء إحراز الدلالة المطلوبة، تلك الدلالة التي تستدعي أن تمثل كل كلمة في الجملة دورًا في تتمة المراد، لا باستيفاء الكلمات شروط البناء فحسب، وإنما بتفاعلها في هذا البناء، فتستقر حيث يتطلب المعنى وتستدعي الدلالة"[2].

وقوله: "أيها الناس، **فلا يطولن عليكم الأمد** ولا يبعُدنَّ عنكم يوم "[3].

والأمد كناية عن طول البقاء، وعدم الانقطاع والاغترار بطول الدهر والبقاء فيه، وقد جاء كلام **عمر بن عبد العزيز** في خطبته في معرض حديثه عن الموت ويوم القيامة، محذرًا رعيته من الانخداع بالدنيا، فالأمد مرتبط بمدة البقاء، وإذا سيطر طول البقاء وسيطرت الغفلة على عقل الإنسان يحسب نفسه أنه يريد المكوث طويلًا في الدنيا، فجمع عمر بن عبد العزيز بين الأمد وصيغة النهي وهي "لا يطولن" فأحدث بُعدًا داخليًا، فالقواعد هي التي تجعل الكلمة تكتسب دلالة معينة من خلالها، "الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدًا مؤقتًا، والسياق هو الذي يفرض قيمة دلالية واحدة يعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها، والسياق أيضًا هو الذي يخلّص الكلمة من الدلالة الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية"[4].

وقوله: "أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي، **وتظهر عورتي**"[5].

---

[1] **القصص**، 9/28.
[2] عطية، مختار، **التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية**، 59.
[3] ابن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، 42.
[4] نهر، هادي، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، 216.
[5] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 143/2.

والعورة كناية عن السوءة وأصلها العيب والفساد والفاحشة[1] وكل ما يُستحيا منه وهي ما لا سترة عليه.

يحذّر الخليفة عمر بن عبد العزيز نفسه أن يأمرها بفعل ما نهى الناس عن فعله، فتكون النتيجة إظهارًا لعورته أي عيبه، فيصبح مكشوفًا غير مستور سواء في الدنيا أمام الناس وفي الآخرة أمام الله –تعالى-.

وهكذا أسهم الانزياح الكنائي بالمدلول المجازي في تجسيد المعنى ورسوخه في النفس، واللغة لا تكتسب مدلولاتها إلا في السياق الكلي الذي يأخذ معناه في واقعه بذاته، وبذا يكون قد قدّم جديدًا في ميدان الدراسة اللغوية؛ لأنه يبين عن السياق الذي يكشف لنا ما في التركيب من نسيج متشعب من الصور[2].

وقوله: " قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وباشر التراب، وواجه الحساب، **غنيًا عما ترك، فقيرًا إلى ما قدّم**"[3].

ففي الجملتين الأخيرتين كناية عن الزهد والتقصير، فالمؤمن قبل موته يعرف الله جيدًا، ويعرف أنه سيكون مغادرًا للدنيا دون ممتلكاته وأشيائه، فيكون غنيًا مستغنيًا عنها، فما عند الله خيرٌ وأبقى، ويكون عارفًا طبيعة الدنيا وزوالها وفنائها، قاطعًا اتصاله بالدنيا. **(فقيرًا إلى ما قدّم فيها)**: كناية عن شفقة حاله وتقصيره في حق الله، حاله، كحال الفقير المعدم الذي لا حول له ولا قوة، بحاجة إلى شفقة الله ورحمته، طامعًا في نجاته طالبًا رحمة الله أن يدخله الجنة.

وهكذا أبدع الخليفة عمر بن عبد العزيز في الكناية المعبرة عن أحوال المؤمن بعد موته، حيث أبرز حالة الزاهد والمقصر أمام الله مستعملًا ثنائية الطباق في ذلك، جامعًا بين حالتين بعد أن راعى المطابقة ووضوح الدلالة وأكسب الكلام حسنًا.

وقوله: "ولا أحد منكم إلا ووددت أن يده مع يدي **ولحمتي** الذين يلونني، حتى يستوي عيشنا وعيشكم "[1]

[1] ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: (عور).
[2] ينظر: بلعيد، صالح، **التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**، 246.
[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 82/2.

واللحمة هنا كناية عن شدة القرابة، حيث فُرضت عليها دلالة خاصة ومعينة غير اللحمة المرتبطة بالدم والذبح والسلخ، واختلفت دلالة الكلمة نتيجة اختلاف السياق اللغوي، فكل سياق لغوي تركيبي يعطي دلالة محددة، وبالتالي نصل إلى حقيقة لغوية وهي معاني الكلمات تؤخذ من معاني الجمل المركبة فيها.

وسياق الموقف الذي جاءت فيه كلمة **"لحمتي"** حدّد لنا معنى اللفظ وكنايته، حيث سبقت كلمة " لحمتي" بـ**"يده مع يدي"**.

واليد مع اليد كناية عن الوحدة والقوة والقرب وعدم الفرقة، فيتمنى الخليفة أن يقترب الشعب من الخليفة، والخليفة من الشعب، فقوة الخليفة من قوة الشعب وقوة الشعب مستمدة من قوة الخليفة، فعندما تلتصق أيادي الشعب بحاكمها يلزم من ذلك الاقتراب والمحبة والمودة.

قال عبد القاهر الجرجاني: "وكما أنَّ الصفةَ، إذا لم تأتِكَ مُصَرَّحاً بذِكْرِها، مكْشوفاً عن وجهها، ولكنْ مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألْطَفَ لمكانها؛ كذلك إثباتُك الصفةَ للشيء تُثْبِتُها له إذا لم تُلْقِهِ إلى السامع صَريحاً، وجئتَ إليه مِنْ جانبِ التعريضِ والكناية، والرمز والإشارة، كان له مِن الفَضْل والمزيةِ، ومن الحُسْنِ والرونقِ، ما لا يَقلُّ قليلُه، ولا يُجْهَلُ موضِعُ الفضيلةِ فيه"[2].

وتستعمل اللغة العربية من لفظة "اللُّحمة" في التعبير عن معنى القرابة، ولعل فيما عبّر به العرب عن بعض أشكال جماعاتهم بالبطن والفخذ ما يصور ذلك الإحساس الذي كان يحسه العربي بتلك الصلة "الجسدية" التي تربطه بجماعته[3].

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 183/4.
[2] **دلائل الإعجاز**، 306.
[3] ينظر: خليف، يوسف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، 104.

ومن **الانزياح الكنائي** ما جاء في خطب **زياد بن أبيه**، قوله:

"العجب من ابن **آكلة الأكباد وقاتلة أسد** الله ومظهر الخلاف ومسرّ النفاق "[1].

وآكلة الأكباد كناية عن موصوف وهي هند بنت عتبة.

وقصد بابن آكلة الأكباد "معاوية وأمه التي لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب-رضي الله عنه-"[2]، وكناية آكلة الأكباد فيها تمييز وعلامة محددة لهند بنت عتبة، فعند ذكر حادثة أكل كبد حمزة في معركة أحد ينتقل الذهن إلى ذلك بلا وساطة، "والكناية عن موصوف تعرف بذكر الصفة مباشرة"[3] أي رمزٌ يأتي على شكل صورة فيها إشارة للمكنى عنه. وجمع الكبد على أكباد كناية رمزية عن أن كبد حمزة - رضي الله عنه – يعادل أكباد مجموعة من الرجال، فهو أمة برجل، ولا تخفى المبالغة في هذا الطرح البلاغي.

وقوله: "وقاتلة **أسد الله**" وهي كناية عن موصوف وهو حمزة بن عبد المطلب –رضي الله عنه-.

ويرتبط حمزة بالأسد بعلاقة بين مدلولين بينهما تلازم، حيث إن أسد الله كان يقال لحمزة بن عبد المطلب لتقدم قدمه في الحرب وشدة إقدامه على أعداء رسول الله ﷺ، وقال حمزة يوم معركة بدر: أنا أسد الله وأسد رسوله[4]، فهذا تشبيه بليغ ولفظ الأسد مجاز يراد به الشجاعة "فالكناية تقوم على طرفين أحدهما حاضر هو اللفظ الذي تنطلق منه سلسلة التوليد، والآخر غائب وهو المدلول "المكني عنه"، وبينهما وسائط تقل وتكثر حسب المسافة الفاصلة بين الطرفين"[5].

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 267/2.
[2] ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 332/1.
[3] الهاشمي، أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، 288.
[4] ينظر: الثعالبي، أبو منصور، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، 21.
[5] الزناد، الأزهر، **دروس في البلاغة العربية**، 87.

وقوله في رده على معاوية بن أبي سفيان: "كتب إليّ **يرعد ويبرق** عن سحابة جفل لا ماء فيها"[1].

وهذا تعبير مجازي، إذْ إنّ ألفاظه خرجت عن الحقيقة، والرعد والبرق لدى الإنسان كناية عن الغضب والتهديد والوعيد. لما في وميض البرق الذي يسلب الرؤية ويخلق الصواعق، والرعد بصوته المرعب المهول يخيف سامعيه، فلم يفرد الرعد أو البرق، فعطف جملتين متلازمتين ليوظف حاستي السمع والبصر لتعميق التهديد وتوكيده، إذ استمد **زياد بن أبيه** صورته من عمل الحواس وفعلها، فأخذها ورتبها وكوّنها وفقًا لما يتصوره من معانٍ ودلالات، "فالأديب البارع حين يستخدم الكلمات الحسية وبشتى أنواعها وألوانها لا يقصد أن يمثّل بها صورة لحشد معين من المحسوسات بل الحقيقة أنه يقصد تمثيل تصوّر ذهني معين، له دلالته وقيمته الشعرية أو النثرية الخاصة، وكل ما للألفاظ الحسية في ذاتها من قيمة هنا هو أنها وسيلة لتنشيط الحواس وإلهابها"[2]. ولو قدّم جملة يبرق على يرعد لوُفّق أكثر؛ لأن رؤية البرق تسبق سماع صوت الرعد، وإنْ كان منشؤهما في زمن واحد ولكن سرعة الضوء تسبق سرعة الصوت.

وهذا التعبير المجازي يذكرنا بتعريف ابن الأثير للكناية "إنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز، والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره"[3]. وبالنظر في السياق العام في خطبة **زياد بن أبيه** نلحظ الشدة في الكلام والخطاب، فالصياغة تهدف إلى تهويل الأمور وتكبيرها؛ لأن رسالة معاوية كانت تحمل التهديد، ونص رسالته: "**أمس عبد، واليوم أمير!** خطة ما ارتقاها مثلك يا ابن سمية، وإذا أتاك كتابي هذا، خذ الناس بالطاعة والبيعة، وأسرع الإجابة "[4].

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 266/2.**
[2] ينظر: إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر**، 132.
[3] **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، 52/3.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 266/2.

فقوله: "أمس عبد واليوم أمير" كناية عن تغير الحال من الوضاعة إلى السيادة، فجميع الجمل في هذه الخطبة تحمل في طياتها مدلولًا كنائيًا واحدًا وهو الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.

وقوله: " كلا، ولكن ذهب إلى غير مذهب وقعقع لمن **رَوِيَ بين صواعق تهامة"**[1]

وهي كناية عن الترعرع والمنشأ، وتهدف الصياغة إلى تشكيل صورة عن الولادة والترعرع في تهامة، فكلمة "روي" تحيلنا إلى معانٍ كنائية عميقة بحاجة إلى إنعام وإدراك وتدبّر، ومن المعاني الكنائية: ربا وشبَّ وكَبُرَ وانتقل من حال إلى حال وقَوِيَ، فالنبات حين يُزرع في الأرض ويسقى بالماء ويرتوي يكبر ويرتفع، وحالها كحال الإنسان، والعلاقة التي تربط الدلالة الأولى بالدلالة الثانية هي علاقة اللزوم، فالخطيب عبّر بالملزوم وهو "رَوِيَ"، وأراد اللازم وهو النشأة والترعرع، وهذا التعبير أفاد المبالغة في كيفية إيصال المعنى للمتلقي وبيان مقدار الصفة في الموصوف.

وقوله: "والله لو أذن لي فيه أو ندبني إليه، **لأرينه الكواكب نهارًا"**

وهي كناية عن التهديد بالعقاب والحرب وبالمكر وهذا المثل .

ونجد زياد بن أبيه قد عكس وخالف الطبيعة وبالغ في التهديد، حيث وظّف الكواكب التي نراها في الليل ووضعها في سياق مجازي، وهو رؤية الكواكب في النهار! وهنا قد حقق أهدافًا ومقاصدَ أفاد من خلالها المبالغة في المعنى، يقولون: أراني فلان النجوم في النهار إذا أراه شدة المكر، وأناله من المكر ما لم يعهد به ذكرًا، فهو يُضرب في التهديد والوعيد، وكأنه يقول: لأفعلنّ بك العجب العجاب، والكناية بنية ثنائية الإنتاج، حيث تكون في مواجهة إنتاج صياغي له إنتاج دلالي موازٍ له تمامًا بحكم المواضعة، لكن يتم تجاوزه بالنظر في المستوى العميق لحركة الذهن التي تمتلك قدرة الربط بين اللوازم والملزومات، فإذا لم يتحقق هذا

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 2/267**

التجاوز، فإن المنتج الصياغي يظلّ في دائرة الحقيقة، والصياغة لم تنتج معناها فحسب، بل أنتجت لازمًا مرافقًا لها، كما لا يمكن أن تستقل بها دائرة المجاز لعدم وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الوضعي[1].

فالصور الموحية لا تتأتى بمجرد حشد المدركات الحسية ووصفها دون الإضفاء الذاتي عليها، وإنما تتطلب نوعًا من العلاقة الجدلية بين الذات المبدعة ومدركاتها الحسية، فنحذف منها أشياء ونحمّلها أشياء أخرى، ويعاد تركيب تلك المدركات في صور مغايرة لكل أشكالها المألوفة[2].

وقوله: "أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، **وسدّت مسامعه الشهوات** واختار الفانية على الباقية"[3].

وهي كناية عن الغفلة، أي أغلقت الشهوات أذنيه، فبات غافلًا ناسيًا.

وهذه الصورة تحمل قيمة في التعبير الكنائي تتمثل في غرق الإنسان في شهواته حتى إن الشهوات سدت مسامعه، وكأن الشهوات أفقدته حاستي السمع والبصر.

لقد عمد **زياد بن أبيه** إلى التعبير عن معانيه بكنايات عميقة، وقصد من خلال كنايته معانيَ كثيرة، وحقق أهدافًا أخرى، وأعطانا صورة بصرية أدركناها بعميلة سد الشهوات لأذني الغافل، أي أن الشهوات عدّها كالحاجز أو الستار الذي يسدّ ويُغلق الأبواب أمام دخول العبر والذكر وتليين القلوب والغافل يُعرض ولا يعتبر، والذكر والموعظات تصل إلى القلب عن طريق حاسة السمع، فما جاء في الخطبة عبّر عن إغلاق الأذنين وأراد الخطيب أن يجسد الذي ينجرف وراء شهواته في صورة الغافل ودواعي غفلته، وهذا التحول أفاد المبالغة في تأدية المعنى المؤدي إلى تحقير أهل البصرة المغموسين بالشهوات واتباع الضلال.

وقوله: "**الكلام** اليوم **والجمع** غدًا، **والمشورة** بعد ذلك إن شاء الله"[4].

---

[1] ينظر: عبد المطلب، محمد، **البلاغة العربية قراءة أخرى**، 188.
[2] ينظر: كندي، محمد علي، **الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث**، 29.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 271/2.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 267/2.

وظهرت الكناية في قوله عن الاستعداد للمواجهة، وجمال الأسلوب الكنائي ظهر في التحضير والاستعداد بالقول؛ لأن شرارة الحرب أولها الكلام، وفي قوله: الجمع غدًا دلالة على دور الأفعال لا الأقوال؛ لأن الأفعال تسبقها الأقوال غالبًا ويسبقها التخطيط والتهديد والوعيد.

وقوله: لما شهدت الشهود **لزياد بن أبيه** قام في أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

" **فالحمد لله الذي رفع منا ما وضع الناس**، وحفظ منا ما ضيّعوا، فأما عبيد فإنما هو والد مبرور، أو كافل مشكور"[1].

واشتملت هذه الجملة على ثنائيات متقابلة في الكناية، ففي (رفع) وهي من الرفعة كناية عن العزة والمكانة، وفي (وضع) وهي من الوضيع كناية عن الذل والإهانة.

وظهرت الكناية في فعلين الرفع والوضع، وفيهما تعبيرات دلالية واضحة فالرفع هو الارتفاع والعلو وكلها دلالات على المنزلة المرموقة وصاحبها في عزة وسؤدد، والوضع عكس الرفع فالدلالات عكسية وهي الانخفاض والمنزلة المنحطة وفي ذلك تعبيرات عن الذل والانخفاض في القيمة، فاستطاع زياد بمهارته أن ينقلنا إلى مشهدين متقابلين في ثنائيات التعبير شاكرًا الله –تعالى- على أن حباه الله بالمكانة العلية بدلًا من الانكسار والوضاعة المهانة التي يعيشها أهل البصرة.

وقوله حين قدم البصرة "غرة جمادى الأولى سنة 45هـ" واليًا لمعاوية بن أبي سفيان، وضم إليه خراسان وسجستان، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر؛ فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها، حيث قال:

" فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم، كُنُوسًا في مكانسِ الرّيب حرامٌ عليَّ الطعام والشراب، **حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا"**[2].

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 202/4.

[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 41/2.

فقوله: **"حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا"**

كناية عن الإبادة والإفناء، وهنا عبر بلفظ (أسويها) وهذا لفظ يحمل دلالة تعبيرية قوية وصارمة يؤكد فيها على قوته الخطابية، والاستواء يكون بالأرض على شكل الهدم والإحراق، فأراد بتعبيره هذا الإبادة الكاملة بالهدم والإحراق أي إزالة معالم الحياة وإرجاع الأرض كما كانت قبل أن يكون هنالك بناء وعمار ووجود.

وقوله: **" فكفوا عني أيديكم وألسنتكم،** أكف عنكم يدي ولساني. ولا تظهر على أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا **ضربت عنقه** وقد كانت بيني وبين أقوام أحن فجعلت ذلك **دبر أذني وتحت قدمي،** فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا، ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته. إني والله لو علمت أن أحدكم قد قتله السلّ من بغضي **لم أكشف له قناعًا، ولم أهتك له سترًا،** حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره. فاستأنفوا أموركم، وأرعوا على أنفسكم، فرب مسوء بقدومنا سنسرّه ومسرور بقدومنا سنسوؤه**"**[1]

فقوله: **فكفوا عني أيديكم وألسنتكم:** كناية عن عدم الاعتداء بالفعل والقول، فاليد تكمن فيها القوة وهي أداة البطش والاعتداء والضرب، واللسان أداة التطاول بالقول، وعليه قول النبي ﷺ: **"**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**"**[2] وهذا الحديث فيه تعريض بنفي صفة الإسلام عن المؤذي.

والمعنى الكنائي اللازم للمعنى الأصلي انتفاء الإسلام عن المؤذي مطلقًا، وهو المعنى المقصود من اللفظ، ويشير بسياقه إلى نفي الإسلام عن المؤذي والكف عنه بأشكال الأذى المحصورة باليد واللسان، فكف الأذى باليد واللسان واجب.

وقوله: **"إلا ضربت عنقه"** : كناية عن القتل وإزهاق الأرواح، فالعنق موضع القتل.

وقوله: **"فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي"**: كناية عن الإهمال وعدم الاكترات والإهانة.

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 24/2.
[2] النووي، **شرح النووي على مسلم**، 10/2.

وقوله: **"لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعًا ولم أهتك له سترًا"**

كناية عن عدم الرحمة والشفقة.

وقد وظف الخطيب أسلوب المقابلة والعكس والتبديل ليقوي الكناية بقوله: **"فربّ مسوء بقدومنا سنسرّه، ومسرور بقدومنا سنسوؤه"**.

وقوله لما مات معاوية "سنة 60هـ" خرج الضحاك بن قيس الفهري -وكان صاحب شرطته- حتى صعد المنبر، وأكفان معاوية على يديه تلوح؛ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

"إن معاوية كان **عمود العرب، وحد العرب،** قطع الله -عَزَّ وَجَلَّ- به الفتنة "[1].

في قوله: **(عمود العرب)** كناية عن السيادة، وفي قوله: **(وحد العرب)** كناية عن الشجاعة ومجهوده الكبير في عملية جمع الكلمة ولمّ شمل الأمة، وهذه أمور لا يفعلها إلا الشجعان، آراؤهم سديدة وكلمتهم مسموعة وخبرتهم في الحكم طويلة.، والحدّ يكون لشفرة السيف القاتل، فالتقدير وحدّ سيف العرب.

ولفظ عمود آتية من العمادة أي السيادة والقيادة، وعميد القوم: سيّدهم الذي يعتمدون عليه في الأمور، إذا حَزَبَهُمْ أمرٌ فزعوا إليه وإلى رأيه[2]. وكأنه متأثرٌ بقول الخنساء في تمجيد صخر بسيادته على قومه، وأنه عظيم المكانة، بقولها[3]:

طَويلَ النِجادِ رَفيعَ **العِمادِ** سادَ عَشيرَتَهُ أَمرَدا

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 279/2.
[2] ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، مادة: (عمد).
[3] **الديوان**، 101.

وفي خطب **قتيبة بن مسلم الباهلي**[1]، قوله: "إن الله أحلكم هذا **المحل** ليعزّ دينه ويذبَّ بكم عن الحرمات، ويزيد بكم المال استفاضه، والعدو وقمًا، ووعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق، وكتاب ناطق"[2]

وكنى بالمحل عن أرض المعركة، وفيه يحدث القتال. ولقد انزاح قتيبة عن الكلام المباشر وهو أرض المعركة واستبدله بالمحل، وربط المحل بإعزاز الدين وهنا دليل يخصّ أرض المعركة وهو معروف معلوم، أي ساحات القتال والانتصار على أعداء الله، وهذا المحل لا يتحمل أكثر مما ذكرناه. وهنا أشبع الخطيب الدال بالمدلول؛ لأن الكناية تسمح بتعدد الدلالات.

إن التعدد لا يكون في إرداة الاستعمال بل يكون في كيفية الإفادة، واللفظ لا يستعمل إلا في موضعه، وقد يستعمل في اللفظ في معنى ما، ويكون قصده التوصل لمعانٍ كثيرة[3].

وقوله: " فأبلوا لله بلاء حسنًا تستوجبون به الثواب، مع **الذب عن أحسابكم**"[4]

فالذبّ عن الأحساب: كناية عن الحماية والدفاع عن المآثر والقَدْر. وكانت العرب تعتزّ بأحسابها وتفتخر وتفدي هذه الأصول – لها من الحساسية البالغة – بالأرواح والمهج.

ونجد لفظ الذب ملازمًا للمعنى الحقيقي، والمعنى الحقيقي متعدد الدلالات حسب سياقه العام وهو المدافعة والمضاربة والمحافظة عن الحسب.

وهذا ما يقودنا إلى مستويات وعي الخطيب "لمستويات النظام اللغوي وعيًا دقيقًا وإدراك الأثر المعنوي لكل منها في البنية الدلالية للغة، بصورة لافتة تثير الإعجاب"[5].

---

[1] والي خراسان كلها عشر سنين، كان شجاعًا ذا رأي وجازمًا، فاتح سمرقند وبخارى وخوارزم، ينظر: الذهبي، شمس الدين، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 2/157.

[2] الطبري، **تاريخ الطبري**، 424/6.

[3] ينظر: السبكي، أحمد، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، 238/4.

[4] صفوت، أحمد زكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 307/2.

[5] نهر، هادي، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، 234.

وقوله مقتبسًا، من قوله تعالى: "وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا"[1].

إحاطة الله كناية عن القدرة الإلهية والإلمام والشمول ونفي العجز، وصفة الإحاطة لله وحده وهو القائل (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)[2]، فصفة الإحاطة التامة الكاملة حصرها الله في نفسه فقط، وأما إحاطة البشر فهي صفة قاصرة محدودة ومؤقتة.

وقوله: " لا أعزَّ الله من نصرتم، **والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنها، يا أهل السافلة**، ولا أقول أهل العالية. **يا أوباش الصدقة، جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب**. يا معشر بكر بن وائل، **يا أهل النفخ والكذب والبخل**... حتى إذا جمعتكم كما يُجمع قَزَع الخريف **قلتم: كيت وكيت، أما والله إني لابن أبيه وأخو أخيه...** يا أهل خراسان **انسبوني تجدوني عراقيّ الأم، عراقيّ الأب، عراقي المولد، عراقي الهوى والرأي والدين**، وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من المن والعافية، قد فتح الله لكم البلاد، وآمن سبلكم؛ **فالظعينة تخرج من مروٍ إلى بَلْخ بغير جِوار**، فاحمدوا الله على النعمة، وسلوه الشكر والمزيد"[3].

فقوله: **" والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنها"**: كناية عن منتهى الضعف والهوان والجبن، وقد لمّح قتيبة بالتحدي والشرط، وهذا من جميل الانزياح الكنائي.

واستخدم الباهلي أسلوب الكناية عن النسبة بقوله: يا أهل السافلة، وبقوله: يا أهل النفخ والكذب والبخل، فأسند السفالة والنفخ والكذب والبخل للأهل وأراد المخاطبين بطريقة لاذعة في الإهانة والذم والتحقير، فهم إلى هذه الصفات ألصق من غيرهم.

وقوله: **" يا أوباش الصدقة"**: كناية عن فضل الآخرين عليهم، فهم يعيشون بفضل صدقات الناس عليهم، ينتظرون مَن يمنُّ عليهم بالمال والعون.

---

[1] **الفتح**، 83/48.
[2] **البقرة**، 146/2.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 309/2.

وقوله: **"جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب"**: كناية عن شدة ضعفهم، وقد أسند الجمع له وعقد تشبيهًا لحاله مع أهل خراسان بالإبل التي تحتاج إلى سائس وجامع لها، وهي إبل الصدقة التي يخرج أصحاب الجمال والنوق صدقات عنها، فيجمعونها للصدقات عن طريق ذبحها فتكون حالتها ضعيفة، وهذا ما فعله قتيبة بن مسلم بأهل خراسان، وفي هذه الكناية دلالات على الإذلال كذلك.

وقوله: **"قلتم كيت وكيت"** كناية عن كل قول ساقط، فاعتمد على الاختصار والإيجاز في الكلام، وهذا من مبررات استخدام الأسلوب الكنائي.

وقوله: **" أما والله إني لابن أبيه":** كناية عن الأصالة ونقاء النسب. وقوله**: "وأخو أخيه"**: كناية عن أنه صاحب نخوة وشهامة.

وقوله: **" انسبوني تجدوني عراقيّ الأم، عراقيّ الأب، عراقي المولد، عراقي الهوى والرأي والدين"**

كناية عن الاعتزاز بوطنه وانتمائه إليه كما يفتخر بدينه، ورجاحة عقله.

وقوله: **" فالظعينة تخرج من مروٍ إلى بَلْخ بغير جِوار"**

وهي كناية عن المرأة التي في هودجها. "وأصل الظّعينة: الهودج. وسمّيت المرأة ظعينة لكونها فيه"[1]. وهنا سلك الخطيب الأسلوب الانزياحي باتباع المجاز المرسل وعلاقته الحالية.

والْمَرْأَة لَا تسمّى ظَعِينَة حَتَّى تكون فِي هَوْدَج؛ لِأَنَّهَا تَظْعن إِذا ظعن زَوجهَا وتقيم بإقامته، وَيُقَالُ الظَّعِينَةُ الْهَوْدَجُ وَسَوَاءٌ كَانَ فِيهِ امْرَأَةٌ أَمْ لَا، وهي فِي الْأَصْلِ وَصْفٌ لِلْمَرْأَةِ فِي هَوْدَجِهَا، ثُمَّ سُمِّيَتْ بِهَذَا الِاسْمِ وَإِنْ كَانَتْ فِي بَيْتِهَا؛ لِأَنَّهَا تَصِيرُ مَظْعُونَةً[2].

[1] الداني، أبو عمرو، **الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من الكلام**، 79.
[2] ينظر: الحموي، أبو العباس، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، 385/2. وينظر: الأزدي، أبو بكر، **جمهرة اللغة**، 931/2.

وهذا يذكرنا بالسياق الثقافي في تحديد المدلول ويقصد بهذا السياق المحيط الاجتماعي والثقافي الذي تستعمل فيه الكلمة لذلك؛ فالثقافة لها دور مهم في تحديد المدلول، ويدعى هذا المعنى بالمعنى الثقافي فهو سياق يحدد درجة المحيط الذي تعيش بداخله الوحدات المستعملة، وغالبًا ما يكون المحيط الاجتماعي، واختلاف البيئات الثقافية في المجتمع تؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة لأخرى[1].

وقوله: "وكان وكيع رجلًا عظيم الكبر، **في أنفه خنزوانة، وفي رأسه نعرة؛ وإنما أنفه في أسلوب،** ومن عظم كبرُه اشتد عجبُه، ومن أُعْجِبَ برأيه لم يشاور كفيًّا، ولم يؤامر نصيحًا."[2].

والكناية في (**أنفه خنزوانة**) تدل على الكبر، و(**في رأسه نعرة**) أي ركب رأسه وفيه نعرة أي كبر وهي كناية عن نسبة، وفي (أنفه في أسلوب) كناية عن طوله، وقد تزاحمت الأمثال على صيغة أفعل في أربعة عشر مثلًا في خطبته، حيث قال: (أسمع من فَرَس، وأبصر من عقاب، وأهدى من قطاة، وأحذر من عقعق، وأشد إقدامًا من الأسد، وأوثب من الفهد، وأحقد من جمل، وأروغ من ثعلب، وأغدر من ذئب، وأسخى من لافظة، وأشح من صبي، وأجمع من ذرة، وأحرس من كلب، وأصبر من ضب)، وذلك ليصل إلى ما يريد من المعاني وشدة المبالغات.

وقد أورد المقابلة لتساند الكناية في خطبته، مثل قوله: (والخطأ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة، وإن كانت الجماعة لا تخطئ والفرقة لا تصيب).

وقوله: "من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم **فلينبذه،** وإن كان في فيه **فليلفظه،** وإن كان في صدره **فلينفثه**"[3]

[1] ينظر: لوصيف، صونيا وكرميش، سارة، **الانزياح الدلالي في الألفاظ العربية (معجم العين نموذجًا)**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011، 72.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 313/2.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 313/2.**

اتفقت الجمل بالمعنى واختلفت في الألفاظ وجميعها كناية عن إهمال ابن خازم وعدم التعامل معه في تجارة أو أكل أو فكر، فالنبذ واللفظ والنفث جمعت جميع أشكال المقاطعة سواء في بيع وشراء أو طعام وشراب أو أفكار وآراء.

وقوله في كلماته الحكيمة: **"والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة، وإن كانت الجماعة لا تخطئ، والفرقة لا تصيب، ومن تكبر على عدوه حقره، وإذا حقره تهاون بأمره، ومن تهاون بخصمه ووثق بفضل قوته قل احتراسه، ومن قل احتراسه كثر عثاره..."**[1].

جميع هذه الجمل تصلح أن تكون أمثالًا وتعبر عن المعنى الواحد فاختار بها الكناية عن ذم الكبرياء وأهله وتعدد الجمل بألفاظ مختلفة هنا للتأكيد وإشارة إلى أنه أحاط باللغة وأسرارها وأنه صاحب حكمة وأفادته تجارب الحياة، وكأن لسان حاله يقول: إنكم لا تمتثلون بهذه الصفات فعليكم الأخذ بها، وأشم بها رائحة النصح والإرشاد.

وفي خطب يزيد بن معاوية، قوله: " إن معاوية كان حبلًا من حبال الله، **مدّه ما شاء أن يمدّه، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه،** وكان دون من قبله وهو خير ممن بعده، ولا أزكّيه عند ربه، **وقد صار إليه** فإن يعف عنه فبرحمته، وإن يعاقبه فبذنبه، وقد وليت الأمر بعده، ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم. وعلى رسلكم إذا كره الله أمرا غيرّه"[2].

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 312/2.**
[2] ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، 260/2.

فقوله: **"مدّه ما شاء أن يمدّه، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه"**

كناية عن الموت ونهاية حياة الإنسان. ومن شاء كناية عن الله -عزّ وجلّ- الذي بيده المشيئة وتصريف الأمور، وإسناد الحبال إلى الله –تعالى- إسناد تشريف ويصور لنا مدة حياته بالحبل الذي له طرفان بداية ونهاية ولابدّ من الوصول إلى النهاية وهي الموت المحقق.

وقد أورد المقابلة المقوية للكناية في خطبته بقوله: "وكان دون من قبله، وهو خيرٌ ممن بعده"، وكذلك الطباق بقوله: "وقد صار إليه فإن، **يعف** عنه فبرحمته، وإنْ **يعاقبه** فبذنبه"، طباق بين (يعف ويعاقب).

وفي قوله: "وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، **اصطفاه لوحيه**، واختاره لرسالته"[1].

و" اصطفاه لوحيه": هي كناية عن الرضا عنه، وعليه قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)[2]. أي أن الله اختاره وانتخبه وفضّله ورفعه.

والاصطفاء يُقال: اصطفاه، أي اختاره، قال الفراء: أي اختارهم باختيار منه لهم. وقال الزجاج: اختارهم باختيار النبوة. وقال تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)[3].

ووردت المقابلة في الخطبة بقوله: "وحلل فيه الحلال، وحرّم فيه الحرام".

وقول يزيد: ثم إني أحذركم الدنيا، فإنها **حلوة خضرة**، حفت بالشهوات"[4]

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 177/4.
[2] **آل عمران**، 33/3.
[3] **فاطر**، 32/35.
[4] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**،178/2..

(حلوة خضرة): كناية عن الطمع وحب الدنيا والتهافت إليها، وهذا اقتباس من قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: " إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ"[1].

فالحلاوة متعلقة بالطعم والخضرة متعلقة بالنظر وإن النفس تشتهي منها الأشياء الحلوة واللون الأخضر كخضرة المكان والشجر.

وفي خطب **عبد الملك بن مروان**، قوله: " أيها الناس، إن الله حد حدودًا، وفرض فروضًا، فما زلتم تزدادون في الذنب، ونزداد في العقوبة حتى اجتمعنا نحن وأنتم **عند السيف**"[2].

والاجتماع عند السيف انزياح كنائي عن العقوبات والقصاص وإظهار العداوة. والسيف رمز لتنفيذ العقوبة وهو الآلة الحادة للقطع وتنفيذ القصاص.

وقوله: " ارموا بأبصاركم نحو أهل المعصية، واجعلوا سلفكم لمن غبر منكم عظة، ولا تكونوا أغفالا من حسن الاعتبار، **فتنزل بكم جائحة السطوات**، وتجوس خلالكم بوادر النقمات، **وتطأ رقابكم بثقلها العقوبة**، فتجعلكم همدا رفاتا، وتشتمل عليكم **بطون الأرض** أمواتًا، **فإياي من قول قائل، ورشقة جاهل**، فإنما بيني وبينكم أن أسمع النغوة، **فأصمم تصميم الحسام المطرور**، وأصول صيال الحنق الموتور، وإنما هي **المصافحة والمكافحة**، بظبات السيوف وأسنة الرماح، والمعاودة لكم بسوء الصباح، فتاب تائب، وهدل خائب، والتوب مقبول، والإحسان مبذول، لمن عرف رشده، وأبر حظه، فانظروا لأنفسكم، وأقبلوا على حظوظكم، **وليكن أهل الطاعة يدًا على أهل الجهل من سفهائكم**، واستديموا النعمة التي ابتدأتكم برغيد عيشها، ونفيس زينتها، فإنك من ذلك بين فضيلتين: عاجل الخفض والدعة، وآجل الجزاء والمثوبة، عصمكم

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، 298/4.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 192/2.

الله من الشيطان وفتنته ونزغه، وأمدكم بحسن معونته وحفظه، انهضوا رحمكم الله إلى قبض أعطياتكم، غير مقطوعة عنكم، ولا مكدرة عليكم"[1].

فقوله: **"فتنزل بكم جائحة السطوات"**

كناية عن شدة البطش وحلول المصائب والأخذ بالعنف، والجائحة هي الشِدَّةُ التي تَجْتاحُ المالَ من سَنَةٍ أو فِتْنَةٍ يقال: جاحَتْهم الجائحة واجتاحتهم وجاح الله ماله وأجاحه، بمعنى أهلكه بالجائحة[2].

وقوله: **" وتطأ رقابكم بثقلها العقوبة"** كناية عن الإهانة بجعل الرقاب مساوية للأرض التي توطأ بالأرجل والأقدام.

و"بطون الأرض" كناية عن القبور. ولفظ بطون الأرض أبلغ من التصريح بالقبر، حيث زاد الخطيب في إثبات المعنى، فجعله أشد وقعًا في النفس. حيث انزاح من المادي إلى المادي لعلاقة مكانية بينهما، أدركناها من نوع الخطاب الذي تضمنه النص، ومكان الكلام وزمانه أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وقوله: **" فإياي من قول قائل"** كناية عن الكلام الساقط كالغيبة والنميمة.

وقوله: **"ورشقة جاهل"** كناية عن الكلام غير الموزون.

وقوله: "فأصمم تصميم الحسام المطرور، وأصول صيال **الحنق الموتور"** والحنق الموتور كناية عن الثأر.

ونلاحظ أن معاني الكلمات نأخذها من معاني الجمل المركبة فيها، وقد عبّر بالحنق عن الثأر، والثأر يكون دفينًا ومخبوءًا لوقت ما، أي يكون مؤجلًا لحين تنفيذه.

---

[1] القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، 262/1.
[2] ينظر: الجوهري، **الصحاح**، مادة: (جوح).

وزاوج ما بين الكناية والتشبيه بكلام واحد، كما ورد في قوله: "فأصمم تصميم الحسام المطرور، وأصول صيال الحنق الموتور".

وهناك كلمات إذا دخلت ساحة الاستعمال دخلت فضاء البلاغة، ووجدت لتلك المعاني معانيَ ثانية على المعنى المستهدف والمقصود الذي يقصد المتكلم إثباته أو نفيه[1].

والحنق مرتبط بالموتور ومثله: "حَدِيثُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمة "أَنَا الْمَوْتُورُ الثَّائر"[2] أَيْ صاحِب الوتْر، الطَّالبُ بالثَّأر"[3]. والحَنَقُ هُوَ شِدَّةُ الاغْتِيَاظِ مَعَ الحِقْدِ، ثُمَّ الاخْتِلاَطُ وهُوَ أَشَدُّ الغَضَب"[4].

وقوله: "وإنما هي **المصافحة والمكافحة**"، والمصافحة كناية عن السلم والصلح، والمكافحة كناية عن الحرب والقتال.

وقد جمع بين مقابلة حالتين متناقضتين قبل تحديد مصير الحرب، وكنى عنهما بالمصافحة التي تدل على السلام وإزالة الخلافات والأحقاد ومقابلة الوجه بالوجه بالمسامحة، وبالمكافحة التي تدل على المخاصمة في الحرب وتصفية حسابات الخلاف بالضرب والقتال بالسيف.

وقوله: " **وليكن أهل الطاعة يدًا على أهل الجهل من سفهائكم**" كناية عن إصلاح الفاسد والوقوف بجانبه حتى يصلح اعوجاجه.

ومن الثنائيات المتقابلة قوله: " أيها الناس، إن الحرب صعبة مرّة، وإن السلم أمن ومسرّة؛ ألا وقد زبنتنا الحرب وزبناها وألفتنا وألفناها، **فنحن بنوها وهي أمنا**. أيها الناس، استقيموا على سبيل الهدى، ودعوا الأهواء المضلة، والبدع المردية، ولست أراكم تزدادون بعد الوصاة إلا استجراء، ولن أزداد بعد الإعذار

---

[1] ينظر: أحمد، عطية، **معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني بين التنظير والتطبيق**، 145.
[2] الشيباني، أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، 23/ 338.
[3] ابن الأثير، مجد الدين، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 148/5.
[4] الثعالبي، أبو منصور، **فقه اللغة وسر العربية**، 130.

والحجة عليكم إلا عقوبة، وقد التقينا نحن وأنتم عند السيف، فمن شاء فليتحرك أو يتقهقر وما مثلي ومثلكم إلا كما قال صيفي بن الأسلت الأنصاري[1]:

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترة يصلى بنار كريم غير غدار

أنا النذير لكم مني مجاهرة كي لا ألام علي نهيي وإنذاري[2]

فقوله: (فنحن بنوها وهي أمنا): كناية عن عدم الخوف من الحرب فإنهم متمرسون في فن القتال والشجاعة ديدنهم، ففيها تشخيص وتجسيد، وكأن الحرب تنجب وتربي وتوجه وترعى.

وقد وصف نفسه ومن معه بالأبناء ولهم أم وهي الحرب، وذلك مبالغة في أن لهم باعًا طويلًا في الحروب والقتال، وكذلك إشارة للطرف المخاصم ورسالة في الخبرة العسكرية وصولات وجولات المعارك، فالحرب هي أم المقاتلين، وكلامه فيه دلالة على أن النصر لهم دون شك؛ لأنهم أبناء الحروب يعرفون مكرها وخططها وتنفيذها وشدتها، وصبرها وكرّها وفرّها، ولذة وفخر انتصارها، وحسرة وشماتة مهزومها.

كقول سلامة بن جندل[3]:

وإنا كالحصى عددًا وإنا بنو الحرب التي فيها عُرامُ[4]

وتشبيه الشاعر المقاتلين بالحصى كناية عن كثرة الجنود، وصلابتهم.

وقوله: **" ابسط بشرك، وألن كنفك، وآثر الرفق في الأمور "**[5].

---

[1] وهو أحد بني وائل أوسي وهو شاعر، مشهور بكنيته وهو أبو قيس بن الأسلت، وقد صار إلى مكة مع قريش، فسكنها وأسلم يوم الفتح، واستشهد عقبة القادسية. ينظر: ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 42/3.

[2] القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، 259/1.

[3] من بني كعب التميمي، شاهر جاهلي قديم من الفرسان، من أهل الحجاز،في شعره حكمة وجودة، من وُصّاف الخيل، ينظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، 106/3.

[4] **الديوان**، 251.

[5] صفوت، أحمد زكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 198/2.

فبسط البشر وليونة الكنف، كناية عن الإشراق والبشاشة وإظهار السرور والانبساط الوفير؛ لأن البسط ترمز إلى السعة والشمولية، وحملت الكناية الأمر الذي أفاد النصحية والإرشاد، والكنف "هُوَ مَا يسد الشَّيْء من أحد جانبيه وَلِهَذَا يسْتَعْمل فِي المعونة فَيُقَال: أكنف الرجل إِذا أَعَانَهُ وكنفته أذا حطته"[1]. ونلاحظ جمالية الكناية في التوفيق بين الألفاظ ودلالتها، فالبشْر التصق بفعل الأمر (ابسط) من البسطة والسرور، والكنف التصق بفعل الأمر (ألن) أي اللين والرفق بمن يأتي إلى الكنف والجانب.

ونلحظ تكرار فعل الأمر ثلاث مرات (ابسط، وألنْ، وآثرْ)، وانزاح به عن الإلزام؛ ليفيد النصح والإرشاد، بعدًا عن الملل وتنويعًا في الألفاظ.

وقوله: " نظر عبد الملك إلى ابنه الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه، فقال:

"يا هذا أحنين الحمامة؟! إذا أنا متُّ **فشمرْ واتَّزِرْ، والبسْ جلد نمر، وضع سيفك على عاتقك**، فمن أبدى ذات نفسه لك، فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه، ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا، قال: **"إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل"**.

ولبس جلد النمر كناية على إظهار العداوة، ومن أمثال العرب: قولهم: لبست لفلان جلد النمر[2]، "مَعْنَاهُ أظهرت لَهُ الْعَدَاوَة الشَّدِيدَة وَجعلُوا النمر مثلا فِي ذَلِك؛ لِأَنَّهُ من أجرأ سبع وأشده وَأقله احْتِمَالا للضيم وَيَقُولُونَ تنمرت لَهُ أَي صرت لَهُ مثل النمر أوقع بِهِ وَلَا أحتمله"[3] أي الكشف عن العدواة، وجمالية الانزياح الكنائي ظهرت باستخدام الأمثال وخصّ النمر؛ لأنه حيوان عدو سريع ومفترس ويُهرَب منه لمهابته.

فالجمل: (فشمرْ واتَّزِرْ، والبسْ جلد نمر، وضع سيفك على عاتقك) اختلفت في اللفظ واتفقت بالمعنى ويقصد بها الاستعداد للقتال وحبّ الحرب.

---

[1] العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، 295.
[2] ابن سلام، **الأمثال**، 353. والحريري، **مقامات الحريري**،1/ 278.
[3] العسكري، أبو هلال، **جمهرة الأمثال**، 199/2.

وقوله في ذم الدنيا: **"إن طويلك لقصير، وكثيرك قليل"**

كناية عن تفاهة الدنيا، وقد جمع في كنايته التضاد بين الكلمات، فمهما طالت مدة الدنيا فتصير قصيرة ووقتها خاطف يمر سريعًا، والكثير في الدنيا قليل وفي ذلك إشارة إلى متعتها المؤقتة والزائلة، فمهما كثُرَ ما فيها فهو إلى فناء وزوال، وهذه تعدّ من الكنايات الرمزية وهي بحاجة إلى إعمال الفكر وشحذ الذهن لفهمها.

وفي خطب **معاوية بن أبي سفيان،** قوله في خطبة له: " إنا قدمنا عليكم، وإنما قدمنا على صديق مستبشر، أو على **عدو مستتر،** وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون **فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ "**[1].

فالعدو المستتر كناية عن المنافق، وهذا من المفارقات والثنائيات التي اعتمد عليها الخطباء للموازنة بين الشيء وضده وهذا ما ألفه العرب من الأسلوب القرآني عندما يذكر المؤمن يذكر الكافر وعندما يصف أهل الجنة يصف في المقابل أهل النار وهكذا.

وفي طبيعة الحال، لكل حاكم مناصر ومخالف، مؤيد ومعارض، إما أن يكون مع الحاكم أو ضده، وهنا لم يشنع معاوية من ضده من رعيته، بل اقتصر على وصف أعدائه بالمستتر أي المستخف وهو المنافق، فقد كان حريصًا في خطبته على الابتعاد عن كل ما ينفرّ به من يخاطبهم، وتلطف بكلامه، ولكنه مع قوله: عدو مستتر يحذر وينذر، ومفردة مستتر مقبولة أكثر من مفردة منافق فهي ألطف وأحسن في الخطاب وفيها رسالة عن درايته بما يدور أو قد يدور من حوله من تربص الأعداء به وبإمارته، والعدو المستتر فيه إيجاز عن أعمال المنافق الكثيرة منها الكذب والخيانة والمخاصمة المبطنة، والمكر والشر.

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/4.

وقوله: **"فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا"** كناية عن القناعة بالقَسم، وقوله: **"وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ"** كناية عن عدم الرضا بالقَسم. وهذا يذكرنا بقوله ﷺ: "إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ **رَضِيَ** فَلَهُ **الرِّضَا**، وَمَنْ **سَخِطَ** فَلَهُ **السَّخَطُ**"[1].

وقد ورد الطباق متمشيًّا مع الكناية في خطبته في: (فإن كانت **محمدة** فلابدّ من **مذمة**).

وقوله: أما بعد: **فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا**، وقد قال المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

وقد يُجزي الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني، وتصلح به رعيتي، ولست تاركًا إيصاءك بخصلة: لا تَتَحَمَّ عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان، والاستغفار له، **والعيب على أصحاب علي**، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان -رضوان الله عليه-، والإدناء لهم، والاستماع منهم"[2].

و" أصحاب علي" كناية عن الشيعة. لقد تناول معاوية بن أبي سفيان أسلوب الانزياح في لفظة شيعة علي إلى أصحاب علي وجاء بها في سياق الذم والعيب.

أرى أن لفظة "أصحاب علي" في ذلك الوقت هي الأشهر من "شيعة علي"، ولذلك تماشيًا مع شهرة اللفظ التي استثثرها معاوية في خطبته إشارة ورمزًا للشيعة أي أتباع الإمام علي بن أبي طلب -كرّم الله وجهه- ولما في كلمة أصحاب علي من الصحبة بمعنى الاقتراب والملازمة والمرافقة ما لم نلمسه في لفظ الشيعة.

وقوله: "فإن لذي الحلم قبل اليوم **ما تقرع العصا**"

---

[1] الترمذي، **سنن الترمذي**، 179/4.

[2] صفوت، أحمدزكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 184/2.

كناية عن العزة والمنعة، ويقال: "لاَ تُقْرَعُ لَهُ العَصَا، ولاَ تُقَلْقَلُ لَهُ الحَصَا" وهذا مثلٌ يضرب للمُحَنَّكِ المُجَرّب[1]، وجمالية الكناية ظهرت باستخدامه المثل، وهذه الكناية مقتبسة كذلك من المثل المشهور: "إن العصا قرعت لذي الحلم"[2] وهو مثل يضرب لمن إذا نُبِّه انتبه، وأول من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدواني[3]. وعامر بن الظرب العدواني أحد حكماء العرب المشهورين وكان شاعرًا[4].

وقوله في آخر خطبة له:

صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قبض على لحيته، وقال:

"أيها الناس، إني من زرع قد استحصد، وقد طالت عليكم إمرتي، **حتى مللتكم ومللتموني**، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي"[5]. وقوله: "حتى مللتكم ومللتموني" كناية عن طول الإمارة مع الكراهة.

ومللت الشَّيْء أمله ملالًا وملالة ومله ملًا أي سئمه[6]، وإذا مللت شئيًا أعرضت عنه وبرمتَ به[7].

والملل يتولد من بقاء وثبوت الشيء مدة طويلة، ومعاوية قد عرف ما في نفوس رعيته، وعرف مدة حكمه التي طالت وقتًا طويلًا، فعبّر عنها بالملل الذي يحمل دلالة السآمة وضرورة تغيير الحاكم، واقتراب نهاية ولايته على الناس.

وقوله: " فالناس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنعه من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه، وكلال حده، ونضيض وقره **ومنهم المصلت لسيفه، المجلب بخيله ورجله**، المعلن بشره، قد أشرط نفسه، وأوبق دينه، لحطام ينتهزه، أو مقتب يقوده، أو منبر يقرعه، ولبئس المتجر أن تراهما لنفسك ثمنا، ومما لك عند الله عوضا، ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه، **وقارب**

---

[1] ينظر: الميداني، أبو الفضل، **مجمع الأمثال**، 241/1.
[2] الميداني، أبو الفضل، **مجمع الأمثال**، 37/1.
[3] ينظر: الميداني، أبو الفضل، **مجمع الأمثال**، 37/1.
[4] ينظر: الآمدي، أبو القاسم، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، 200.
[5] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 185/2.
[6] ينظر: الأزدي، أبو بكر، **جمهرة اللغة**، 168/1.
[7] ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: ملل.

من خطوه، وشمر من ثوبه، وزخرف نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية، ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه، وانقطاع سببه، فقصرت به الحال عن أمله. فتحلى باسم القناعة، وتزين بلباس الزهاد، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى، وبقى رجال غض أبصارهم ذكر المرجع، **وأراق دموعهم خوف المحشر،** فهم بين شريد نافر، وخائف منقمع، **وساكت مكعوم،** وداع مخلص، وموجع ثكلان، قد أخملتهم التقية، وشملتهم الذلة، **فهم بحر أجاج، أفواههم ضامزة، وقلوبهم قرحة،** قد وعظوا حتى ملوا، وقهروا حتى ذلوا، وقتلوا حتى قلوا، فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ وقراضة الجلمين، واتعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، فارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم"[1].

فقوله: **"ومنهم المصلت لسيفه المجلب بخيله ورجله"**

كناية عن الاستعداد للقتال وما يتبعها من الجرأة والإقدام، والمصلت يكون مشهرًا لسيفه فحركات جسده توصل رسائل للخصوم فحواها الاستعدادية والجهوزية لخوض المعارك.

وقوله: **"وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه"**

فقارب من خطوه: كناية عن الضعف والشيخوخة، وشمّر من ثوبه: كناية عن الاستعداد إلى الرحيل.

وخوف المحشر كناية عن القيامة وأهوالها. وغض الأبصار كناية عن العفة التامة فيحبسون أنظارهم ويغضون الطرف حياء، فكل من عفَّ غضَّ البصر، وعليه قوله تعالى في وصف الحور العين: "فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ"[2] جاء في التفسير: أي نساء يقصرن أبصارهم على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، أو يقصرن

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 187/2.
[2] **الرحمن**، 56/55.

طرف الناظر إليهن عن التجاوز إلى غيرهن[1]، وورد عن العرب من قبيل هذا قول جرير[2]:

فَغُضَّ الطَرفَ إنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا

وقول امرئ القيس[3]:

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّرّ فَوْقَ الْإِتْبِ مِنْهَا لَأَثَّرَا

والمحشر من الحشر وهو اسم من أسماء يوم القيامة التي يُحشر فيها الناس أمام رب العالمين للحساب والجزاء، وتحديد مصير الإنسان دائمًا ما يكون مرتبطًا بالخوف ارتباطًا حتميًا، وخوف المحشر فيه دلالة نفسية عند المتلقي وهي الإحساس بالرهبة وهول الموقف.

وقوله: **"ساكت مكعوم"**

كناية عن عدم المقدرة على الكلام من شدة الخوف، كقول ذي الرمة[4]:

بينَ الرَّجا والرَّجا من جيبِ واصيةٍ يهماءَ خابطُها بالخوفِ معكومُ

أي سدّ الخوف فمه فمنعه من الكلام، ويقال: كعمه الخوف فلا ينطق[5].

وقوله: **"شملتهم الذلة فهم بحر أجاج"**

---

[1] ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، 117/14.
[2] **الديوان**، 79.
[3] **الديوان**: 97.
[4] **الديوان**، 407/1.
[5] ينظر: ابن فارس، **مجمل اللغة**، 87/1.

كناية عن أنهم أذلاء، أي أحاطت بهم الذلة من كل ناحية وضمتهم في كنفها، وفي هذه الكناية تصوير يأخذ النفس إلى أبعد مدى في منحى الجمال والإبداع، وأردف الكناية بتشبيه بليغ يؤكد معنى الشمولية والسعة والكثرة.

و"الكناية جزء من أجزاء الخيال، وصنف من أصنافه، يقرب فيه الفنان من الإشارة وينأى عن الشرح والإفاضة"[1].

وقوله: **أفواههم ضامزة وقلوبهم قرحة"**

أفواههم ضامزة كناية عن الصمت، وقلوبهم قرحة كناية عن الحزن، و "ضَمَزَ يَضْمِزُ ضَمْزاً فَهُوَ ضامزٌ: سَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، وَالْجَمْعُ ضُمُوز، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذا جَمَع شِدْقيه فَلَمْ يَتَكَلَّمْ قَدْ ضَمَزَ"[2]. ويقال: قَرِحَ قَلْبُه من الحزن[3].

ومما ورد في **خطبه الوعظية**، قوله: "سافروا بأبصاركم في **كرّ الجديدين**، ثم ارجعوها كليلة عن بلوغ الأمل، فإن الماضي عظة للباقي، ولا تجعلوا الغرور سبيل العجز عن الجد، فتنقطع حجتكم في موقفٍ اللهُ سائلُكم فيه، ومحاسبُكم فيما أسلفتم، أيها الناس: أمس شاهد فاحذروه، واليوم مؤدب فاعرفوه، وغدًا رسول فأكرموه "[4]، والجديدان كناية عن الليل والنهار.

---

[1] الرجبي، عبد المنعم، **الغربة والحنين إلى الديار**، 579.
[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (ضمز).
[3] ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، مادة: (قرح).
[4] صفوت، أحمد زكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 483/2.

"يُسَمَّى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ الْجَدِيدَيْنِ وَالْأَجَدَّيْنِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا جَاءَ فَهُوَ جَدِيدٌ"[1]، وهنا لم يصرح الخطيب بالمكنى عنه مباشرة بل أشار ورمز له بكناية متداولة ومشهورة وهي (الجديدين)، وهما الليل والنهار؛ لأنهما يتجددان[2] ولا يبقيان على حال ثابتة.

وفي خطب **الحجاج بن يوسف الثقفي،**

قوله لأهل الكوفة إذْ دخل وهو متقلّد سيفا متنكّب قوسا عربية، فعلا المنبر وقال:

"أنا ابن جلا وطلّاع الثّنايا متى أضع العمامة تعرفوني"[3]

" أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا"

كناية عن صفة القوة والشدة فهو أهلٌ لتحمل الصعاب وأنه يهوى أن يسلك المسالك الصعبة الوعرة.

ومن هنا يفرغ شهوته وسخطه وغضبه على أهل العراق الذين تجاوزوا الحدود؛ لينالوا من الخليفة عبد الملك بن مروان وأعوانه وخوفًا من عدم السيطرة عليهم فجاءهم الحجاج بشره وصلابته ليؤدبهم.

وقوله: **"متى أضع العمامة تعرفوني"**

إنْ قصد بالعمامة الخوذة التي تلبس في الحروب، فتكون كناية عن الحرب وعندما تنتهي الحرب تُرفع عن الرأس.

---

[1] الرازي، أبو الحسين، **مقاييس اللغة**، 409/1.
[2] ينظر: المحبي، محمد أمين، **جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين**، 83.
[3] ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، 265/2.

وقوله: " إني والله يا أهل العراق، ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، **ما يقعقع لي بالشنان،** ولا يغمز جانبيّ كتغماز التين، ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء، وفُتِّشْتُ عن تجربة، وجريت إلى الغاية القصوى، وإن أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- **نثر كنانته، بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرَّها عودًا، وأصلبها مكسرًا فرماكم بي؛** لأنكم طالما أوضعتم في الفتن، **واضطجعتم في مراقد الضلال،** وسننتم سنن الغِيّ، أما والله لألحونكم لحو العصا! ولأقرعنكم قرع المروة! **ولأعصبنكم عصب السلمة!** ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل"[1].

ففي قوله: **"ولا يقعقع لي بالشنان"[2]**

هذه العبارة كناية عن صفة الشجاعة بأنه لا يهاب من ارتفاع أصوات العراقيين الحاقدين عليه، وحسُنت الكناية هنا؛ لأن القعقعة بالشنان[3] معروفة عند العرب عامة وأهل البادية خاصة، فتصلح هذه العبارة شاهدًا على الاستعارة وعلى الكناية كذلك، والقعقعة وما فيها من جرس صوتي شديد واقتران القاف بالعين أحدث شدة وقوة ورهبة تتناسب مع الحجاج الشديد الذي لا يلين ولا يخاف.

وفي قوله: **"نثر كنانته، بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرَّها عودًا، وأصلبها مكسرًا فرماكم بي"**

كناية عن صفة وهي البحث والتفتيش عن الأصلح حتى عثر عليه، فالذهن ينتقل من نثر الكنانة إلى البحث والتفتيش عن أصلح سهامها، ومن ثمَّ الأخذ بالأصلح إلى اختياره من بينها، ثم إرساله إليهم لتدبير أمور أهل العراق. فالكنانة: كناية عن وعاء توضع فيه السهام، والوعاء لا ينثر وإنما ينثر ما يوضع فيه فانزاح في كلامه إلى المجاز المرسل وعلاقته المحلية، وفي "عجم عيدانها" كناية عن أنه رازها بأضراسه ليختبر صلابتها من رخاوتها.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 290/2.

[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 211/2.

[3] القعقعة: يقال قعقع الشيء اليابس أي حركة مع صوت، ورجل لا يقعقع له بالشنان: لا يخدع ولا يروّع. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قعقع)

"واضطجعتم في مراقد الضلال" كناية عن الكفر والشرك، ودعّم الكناية بالاستعارة المكنية. وفي نظر الحجاج أن راحة أهل الكوفة كما يرون تكون في نفاقهم وكفرهم؛ لأن المضجع والمرقد يلجأ إليهما الإنسان للراحة ويوجد تناسب وترادف ما بين المضجع والمرقد.

وقوله: **"لأعصبنكم عصب السلمة"**: انزياح كنائي في الأسلوب، ففيه تلويح بالإشارة إلى الكناية عن صفة وهي القسوة في معاملتهم والتنكيل بهم وإبادتهم عن بكرتهم.

وقوله: " والله لتستقيمنّ على طريق الحق، أو **لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلًا في جسده "**[1] كناية عن الضرب وترك الأثر في الجسد.

كما عدل الحجاج في أسلوبه إلى استخدام القسم والتوكيد باللام ونون التوكيد في جمل متتالية: والله لألحونكم**!** ولأقرعنكم**!** ولأعصبنكم**!** ولأضربنكم**!** ليبين أن تهديده ليس بمجرد كلام بل واجب التنفيذ.

وقوله وقد سمع تكبيرًا في السوق: " يا أهل العراق وأهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، إني سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد الله به في الترغيب، ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب، وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف **يا بني اللكيعة وعبيد العصا،** وأبناء الأيامى، ألا يربع رجل منكم على ظلعه، ويحسن حقن دمه، ويبصر موضع قدمه**!** فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها، وأدبا لما بعدها**!"**[2].

وفي قوله: **يا بني اللكيعة**: كناية عن اللؤم، فاللكيعة هي المرأة اللئيمة[3]، وبنو اللكيعة هم قومٌ من العرب[4].

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 209/4.
[2] الطبري، **تاريخ الطبري**، 206/6.
3 ينظر: الحميري، نشوان بن سعيد، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، 104/9.
[4] الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، 761.

وعبيد العصا: كناية عن الذل والهوان، فهم مهانون كأبناء الإماء الذين لا يولدون أحرارًا وأبناء اللكيعة كناية عن أبناء اللئام أو الحمقى وجميع هذه العبارات تدل على سوء أخلاقهم.

جاء في أساس البلاغة "والناس عبيد العصا أي إنما يهابون من آذاهم"[1] أي أنهم قد استُذلوا فباتوا أذلة يهابون من يضربهم ويؤذيهم. وإذا كانوا عبيدًا للعصا فهم بطريق اللزوم عبيدٌ لصاحب العصا، فعبد العصا كناية عن الرجل المغلوب على أمره الذي يتحكم فيه غيره ثم يكون من أمره أنه لا عرف ولا نكر ويصير الإنسان تابعًا لغيره ويصبح عبدًا مأمورًا أو متأمرًا عليه بلا عز ولا شرف، وأول من قال عبد العصا هو سيدنا العباس –رضي الله عنه- والرواية: " عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا فَأَخَذَ بِيَدِهِ العَبَّاسُ فَقَالَ: أَلاَ تَرَاهُ، أَنْتَ وَاللَّهِ بَعْدَ الثَّلاَثِ **عَبْدُ العَصَا**، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُرَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَيُتَوَفَّى فِي وَجَعِهِ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ فِي وُجُوهِ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ المَوْتَ"[2] وبذلك يكون الكلام عن عبيد العصا من قُبيل الكناية عن نسبة.

وفي رواية أخرى: "يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والقَفْع بالقَرْقَر، إني سمعت تكبيرًا لا يراد الله به، وإنما يراد به الشيطان، ألا إنها عجاجة تحتها قصف، وإنما مثلي ومثلكم ما قال عمرو بن براق الهمداني:

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا الهمدان ظالم؟

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفًا حميًا تجتنبك المظالم

[1] الزمخشري، 1/ 659.
[2] البخاري، **صحيح البخاري**، 59/8.

أما والله لا تقرع عصًا عصًا إلا جعلتها كأمس الدابر!"[1].

ففي قوله **" أما والله لا تقرع عصًا عصًا إلا جعلتها كأمس الدابر"**: كناية عن الفوضى التي ألمت بأهل العراق وتشفّ هذه الكناية عن تحذير الحجاج لأهل العراق من إحداث الفوضى فهو أهلٌ للتصدي لمن يعبث بأمن العراق فعُرف عن الحجاج قوة البطش، وأنه يضرب بيدٍ من حديد لكل من تسوّل له نفسه أن يشقّ عصا الطاعة. وقرع العصا عن العرب كناية عن الضرب بها ليسمع صوتها.

وقوله بعد وقعة دير الجماجم: " حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للكفر"

ثم التفت إلى أهل الشام وهم حول المنبر، فقال: "يا أهل الشام؛ إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه، ينفي عنها المدر، ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب، يا أهل الشام؛ **أنتم الجنة والرداء، وأنتم العدة والحذاء"**[2].

قوله: **"حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر"** كناية عن خبث أهل العراق وغدرهم.

وقوله: **" ثم يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم، بضرب يزيل الهام،** عن مقيله**، ويذهل الخليل عن خليله "**[3].

فزوال الهام عن مقيله: كناية عن إبعادهم عن مكان راحتهم.

ويذهل الخليل عن خليله: كناية عن هول المعركة وعنفوانها، وشراستها لما جرى في ساحتها من كثرة القتل وسفك الدماء ومن شدة أهوالها أنها ذهبت بالعقول وغشي الإنسان النسيان، حتى أصبح لا يفرق بين الأخ

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 292/2.**
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 205/4.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 294/2.**

وأخيه ولا يعرف الصديق صديقه، وفيها تناص بالمعنى من قوله تعالى: (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ)[1].

ومجمل ما قاله الحجاج في كلامه: كناية عن المنعة والحماية والوقاية. إذ توجه الخطاب هنا إلى الأحبة أهل الشام فتغيرت نبرات صوته ولانت مع أهل الشام فهو يكنُّ لهم الاحترام والمودة على عكس أهل العراق.

ولفظ "الجُنّة" لها دلالات واسعة وردت في كلام العرب كثيرًا، كقول النبي - ﷺ -: "إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به"[2].

جاء في شرح كلمة الجُنّة بمعنى: ساترٌ لمن خلفه ومانع من خلل يُعرض، يمنع العدو من أذى المسلمين ويكف أذى بعضهم على بعض[3]. فكل دلالات الحماية والمنعة والقوة والستر منبثقة من لفظ "الجُنة".

وقوله في خطبة لأهل الكوفة وأهل الشام: " يا أهل الكوفة، **إن الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى، وتحصد بالسيف؛** أما والله إن أبغضتموني لا تضروني، وإن أحببتموني لا تنفعوني، ما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريح إلى مودتكم"[4].

هذه الجمل الثلاث هنا بمعنى واحد وهو الاستخفاف بأهل العراق وعدم الاعتداد بهم وتحقيرهم، وجنح إلى الأسلوب الكنائي الذي أفاد اللزومية فيما يدّعيه، ويجوز حمل هذه الجمل على أنها صور استعارية وفيها ما فيها من الإيجاز بالحذف.

وقوله في خطبة له لأهل العراق يصارحهم بالكراهية: " يأهل العراق إني لم أجد لكم دواء أدوى لدائكم من هذه المغازي والبعوث، **لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفل،** فإنها تعقب راحة وإني لا أريد أن أرى الفرح

---

[1] **الحج**،22/ 2.
[2] مسلم، **صحيح مسلم**، 147/3.
[3] ينظر: العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري**، 116/6. وينظر: النووي، **شرح صحيح مسلم**، 230/12.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 295/2.

عندكم ولا الرّاحة بكم؛ وما أراكم إلا كارهين لمقالتي، أنا والله لرؤيتكم أكره، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حمّلت نفسي مقاساتكم **والصبر على النظر إليكم**، والله أسأل حسن العون عليكم**!** "[1]. **فطيب ليلة الإياب وفرحة القفل** فيها كناية عن العودة من المعركة بإحراز الانتصار والتغلب على الأعداء.

وقوله: **"والصبر على النظر إليكم":** كناية عن قبح وجوههم، وهذا من جميل الانزياح الكنائي فهو صابرٌ رغمًا عن نفسه وهو ينظر إليهم مخاطبًا لهم وفيه تلويح وإشارة بشدة كرهه لهم.

وقوله في وصيته لابنه وكيفية التعامل مع أهل العراق : " يأهل العراق، إني أردت الحج، وقد استخلفت عليك ابني محمدا، وما كنتم له بأهل. وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- في الأنصار؛ فإنه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأنا **أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم!** ألا وإنكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفي، تقولون: لا أحسن الله له الصحابة**!** وإني أعجّل لكم الجواب: فلا أحسن الله عليكم الخلافة**!** "[2].

ففي قوله: **"وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم**: كناية عن الضغينة والحقد وفي هذه الجملة مقابلة تعزز الكناية وتقويها.

وقوله في خطبة في البصرة الذين **لا يقرؤون القرآن إلا هجرًا**، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا "[3]

فهجر القرآن: كناية عن ترك تلاوة القرآن، وهجر القرآن فيه جوانب كثيرة منها ترك تلاوته وتجويده، وترك فهمه وتدبره والعمل به، وترك نقله للناس وتداوله.

وقد ورد في الخطبة أسلوب عكس وتبديل بقوله: " إن الله كفانا مئونة الدنيا، وأمرنا بطلب الآخرة؛ فليته كفانا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا".

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 209/4.
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 207/4.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 296/2.

كل هذه الدلالات اختصرها الحجاج بلفظ الهجر، وذلك إيجازًا، والكناية بلفظ الهجر تترك للمتلقي أن يذهب بعيدًا في تحليل كيفية الهجر فيجد أن للهجر أشكالًا متعددة.

وقوله: "ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم تبعهم معاوية، ثمّ **وليكم البازل** الذكر"[1]، كناية عن المحكم والكامل في تجربته.

والبازل مأخوذة من بزول البعير وهو خروج نابه بعد تسع سنين تأتي عليه وهو أقوى ما يكون[2].

أي وليكم المحكم القوي العارف بالأمور، فانزاح بالبازل عن المحكم العارف بالأمور إلى البازل وهو سن مرتبط بالبعير فيه دلالة على النضج وصول الكمال في تجارب الحياة.

وقوله: " كأنّي والله بكلّ حيّ منكم ميّتا، وبكل رطب يابسا، ونقل في ثياب أكفانه إلى ثلاث أذرع طولا في ذراع عرضا، وأكلت الأرض لحمه ومصّت صديده، **وانصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله**؛ إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول"[3]، كناية عن المال الحرام المنكر.

وتشمل كلمة الخبيث على أي مال جُلِب بالحرام من: سرقة، أو غصب، أو من طريقة سيئة غير شرعية، فعبّر عن الحرام بالخبيث.

"وأَصلُ الخُبْثِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمَكْرُوهُ؛ فإن كَانَ مِنَ الْكَلَامِ، فَهُوَ الشَّتْم، وَإِنْ كَانَ مِنَ المِلَل، فَهُوَ الكُفْر، وإن كَانَ مِنَ الطَّعَامِ، فَهُوَ الْحَرَامُ، وإن كَانَ مِنَ الشَّراب، فَهُوَ الضَّارّ[4].

ولفظ الخبيث ينفّر المتلقي منه، وهو مرتبط بكثير من مقومات الحياة، كالمال والطعام والشراب...

قال تعالى: (حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)[1].

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 210/4.
[2] ينظر: الأنباري، أبو بكر، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، 351/1.
[3] ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، 267/2.
[4] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (خبث).

وفي خطب **أبي حمزة الشاري**

"فأبعدكم الله وأسحقكم"[2].

الجملة الأخيرة الدعائية: **"فأبعدكم الله وأسحقكم"** كناية عن غضب الله عليهم، فلفظ البعد والسحق فيه دلالة واضحة على عدم موافقة الله ورضاه عليهم وعلى بعدهم لا قربهم من الله تعالى وصاحب الأسلوب الكنائي دعاء عليهم، أي فوق أنهم بعيدون عن الله يطلب الخطيب من الله أن يبعدهم أكثر ويسحقهم.

وقوله وقد بلغه أن أهل المدينة يعيبون أصحابه: " يا أهل المدينة، قد بلغتني مقالتكم لأصحابي، **ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم،** لأحسنت أدبكم... **فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله،** ولا يحجم إلا عن أمر الله، حتى قبضه الله إليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد أدى الذي عليه، وعلّم المسلمين معالم دينهم، ولم يدعهم من أمرهم في شبهة، وولى أبا بكر صلاتهم؛ فولاه المسلمون أمر دنياهم، حين ولاه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمر دينهم؛ فعمل بالكتاب والسنة، وقاتل أهل الردة، **وشمر في أمر الله، حتى قبضه الله إليه،** والأمة عنه راضون -رحمة الله عليه ومغفرته-، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان؛ **فسار ست سنين بسيرة صاحبيه** -وكان دونهما- ثم سار في الست الأواخر بما أحبط به الأوائل، **واضطرب حبل الدين بعدها؛** فطلبها كل امرئ لنفسه، وأسر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه، حتى مضوا على ذلك، ثم ولي علي بن أبي طالب؛ فلم يبلغ من الحق قصدا، ولم يرفع له منارًا، ثم مضى لسبيله... فأي هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون، أم بأي مذاهبهم تقتدون؟ **وقد بلغني أنكم تنتقصون أصحابي!** قلتم شباب أحداث، وأعراب جفاة، ويحكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله المذكورون في الخير إلا شبابًا أحداثًا؟ أما والله إني لعالم تتابعكم فيما يضركم في معادكم، **ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء**

---

[1] **آل عمران**، 179/3.

[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 468/2.

عبادة، وأطلاح سهر، باعوا أنفسًا تموت غدًا، بأنفس لا تموت أبدًا، **قد نظر الله إليهم في جوف الليل، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقًا إليها،** وإذا مر بآية من ذكر النار **شهق شهقة، كأن زفير جهنم بين أذنيه، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم،** ووصلوا كلال الليل بكلال النهار، **مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم، من طول القيام، وكثرة الصيام، مستقلون لذلك في جنب الله،** موفون بعهد الله، منجزون لوعد الله، حتى إذا رأوا سهام العدو وقد فوقت، ورماحهم وقد أشرعت، وسيوفهم وقد انتضبت، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله، ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتيبة، **ولقوا شبا الأسنة، وشائك السهام، وظبات السيوف بنحورهم، ووجوهم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدما،** حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، **واختضبت محاسن وجهه بالدماء،** وعفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه طير السماء، وتمرقته سباع الأرض؛ فطوبى لهم وحسن مآب؛ فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها، طالما اعتمد عليها صاحبها راكعًا وساجدًا؟! وكم من وجه رقيق، وجبين عتيق، **قد فلق بعمد الحديد،** ثم بكى، وقال: آه، آه على فراق الإخوان! رحمة الله على تلك الأبدان! وأدخل أرواحهم الجنان!"[1].

فقوله: **"ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم"** كناية عن تحقيرهم فانزاح عن لفظ التحقير بألفاظ الضعف وقلة عقولهم، فكانت معاني التحقير أشمل وأوسع وأوجع، وفيها كذلك كناية عن الحمق والجهل.

وقوله: **"فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله"** كناية عن الالتزام بالشرع، وكأن هذه الكناية فيها تناص من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[2].

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 469/2.**
[2] **الحجرات،** 1/87.

وقوله: " **وشمر في أمر الله، حتى قبضه الله إليه**" والتشمير في أمر الله كناية عن الاستعداد لتطبيق شرع الله والاستعداد للقيام بمسؤولية الخلافة، إذ انزاح عن لفظ الاستعداد بالتشمير ولفظ التشمير أوقع في النفس من الاستعداد لأنه يحمل كل معاني الاستعداد والجهوزية والتحضير، وفي لفظ التشمير دلالة على الجد والهمة في القيام بأعباء الخلافة، وأصل التشمير للثوب حين يرفع، كالكشف عن الساعد أو الساق.

وفي قوله: "**فسار ست سنين بسيرة صاحبيه**" كناية عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وقد ساهمت الكناية في الإيجاز والاختصار، وقوله بصاحبيه لشهرتهما بهذا اللقب.

وقوله: " ثم ولي من بعده عثمان بن عفان؛ فسار ست سنين بسيرة صاحبيه -وكان دونهما- ثم سار في الست الأواخر بما أحبط به الأوائل، واضطرب حبل الدين بعدها " كناية عن اشتعال نار الفتن، وفي لفظ الاضطراب دلالة شاملة على عدم الاستقرار وحالة الفوضى والقلقلة في دين الله، فكان اختيار اللفظ في محله ناجحًا وبارزًا له وقع غير مريح في النفس.

وفي قوله: "**بلغني أنكم تنتقصون أصحابي**" كناية عن سب أصحابه، وتقليل قيمتهم، وعدم الاعتداد بهم.

وقوله: "شباب والله مكتهلون في شبابهم"

كناية عن تمتع شبابهم بقوة سواعدهم وبحكمة شيوخهم وكناية عن الوعي والتجربة والحنكة.

وقوله: "**غضيضة عن الشر أعينهم**" كناية عن عفتهم، وهذا مما يُحمد في الشباب

وقوله: "**ثقيلة عن الباطل أرجلهم**": كناية عن قوة إيمانهم بتجنبهم المنكر وما يغضب الله تعالى، فأرجلهم تأبى أن تسوقهم إلى المنكر لكرههم للباطل.

وقوله: " أنضاء عبادة، وأطلاح سهر" كناية عن ضعف أجسادهم من أثر العبادة.

وقوله: "باعوا أنفسًا تموت غدًا" فيها استعارة وكناية عن عدم الاستمرارية بالحياة الدنيا لساكنيها، ولابدّ من زوالها وقوله: "لا تموت أبدًا" كناية عن صفة أهل الجنة.

وقوله: "وقد نظر الله إليهم في جوف الليل" نظر الله إليهم: كناية عن الرضا عنهم ورعايته لهم وحفظه. وجوف الليل: كناية عن عبادة التهجد وقراءة القرآن؛ ليجزيهم الله تعالى على قيامهم، فانزاح بالكناية هنا للإيجاز والاختصار، ويؤيد هذا المعنى الكنائي قول رسول الله ﷺ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"[1].

وقوله: " كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفًا من النار" كناية عن الإيمان بالغيب وبعذاب النار.

وقوله: "منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن" كناية عن طول فترة تلاوتهم للقرآن الكريم حتى انحنت ظهورهم وعظامهم حتى تيبست وقوله: "بكى شوقًا إليها" كناية عن تعطشهم لدخول الجنة ورؤيتها.

يقول ابن عاشور: " البكاء انفعال باطني ناشئ عن حزن أو عن خوف أو عن شوق"[2]

ومنها قوله تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)[3]

وقوله: "شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه" كناية عن هول النار والخوف منها، وبين أذنيه كناية عن شدة صوت النار المتأججة وتفيد بين أذنيه كناية عن شدة قربه من جهنم أو قوة ارتفاع صوتها، فكانت كناية عن نسبة فأسند سماع زفير النار إلى بين الأذنين وأراد الأذنين معًا. والشهقة كالصيحة وشهق يشهق إذا تنفس تنفسًا.

---

[1] ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، 435/1.
[2] **التحرير والتنوير**، 235/15.
[3] **المائدة**، 83/5.

وقوله: "قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم" هذا القول كناية عن كثرة سجودهم وطول مكثهم ساجدين عابدين خاشعين، فالساجد في حال سجوده تكون أعضاؤه: الركبتان واليدان والأنف والجبهة والقدمان جميعها ملتصقة بالأرض، وحينئذ يبقى المرء أقرب ما يكون إلى ربه.

وقوله: "مصفرة ألوانهم" كناية عن شدة خوفهم فيشفقون من دخول النار ومن عادة الخائف أن ينتقع وجهه ويتلون باللون الأصفر، وهذا الانزياح في دلالة الألفاظ يحمل في طياته ما هو معلوم عند عموم الناس، فصفرة لون البشرة عند الإنسان فيه إشارة إلى خوفه وهلعه، أو يصفرّ وجهه حين مرضه.

وقوله: "ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام" كناية عن تجاوزهم الفروض إلى اتباع السنة في كثرة العبادة التي تبعدهم عن النار وتقربهم من الجنة فنحول الأجسام ناتجة عن شيئين:

أولًا: من طول القيام، وهذا تعريض بكثرة صلاتهم وتهجدهم

ثانيًا: كثرة الصيام، وهذا تعريض بتجاوز صوم شهر رمضان إلى صيام ما بعد رمضان تمشيًّا مع السنة النبوية.

وقوله: "مستقلون لذلك في جنب الله" كناية عن نسبة فأسند طاعتهم من صلاة وصيام وعبادة إلى جنب الله وأراد حق الله في العبادة، وعليه قوله تعالى: (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ)[1]

"وقوله: "ولقوا شبا الأسنة وشائك السهام وظبات السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم"

كناية عن تعدد وتنوع الآلات الحربية المدمرة القاتلة الفاتكة وأنهم يحسنون الرمي والضرب بالرماح والسهام والسيوف فتصل إلى أماكن حساسة فيها مقتل الإنسان: الرقاب والوجوه والصدور.

[1] **الزمر**، 56/39.

وزاد حسن هذه العبارة ما زيّنها أسلوب التناسب ومراعاة النظر من زاويتين، فالأسنة والسهام والسيوف بينها تناسب؛ لأنها آلات حربية ومن جهة أخرى: الرقاب والوجوه والصدور أعضاء من الجسد.

وقوله: "مضى الشباب قدمًا" كناية عن البسالة وعدم مهابة القتال والموت. وهذا الانزياح الكنائي حمل معاني التقدم ودلالات المضي نحو الأمام.

وقوله: "واختضبت محاسن وجهه بالدماء" كناية عن كثرة القتل من الأعداء وكثرة الشهداء من المقاتلين تحت مظلة أبي حمزة الشاري، وأُرجح أنه يقصد دماء الشهداء لا الأعداء بقرينة الاختضاب ومحاسن الوجوه فازدانت وجوههم وتجملت بحمرة الدماء وكأنها حنّاء وهو مما يزيد الوجه حمرة ونضارة

وقوله: "قد فلق بغمد الحديد" وتمثل الانزياح الدلالي بالولوج إلى الكناية عن موصوف وهو السيف، فكان الانزياح لافتًا يجعل القارئ يقلّب معاني الغمد، ويفهم إلامَ يقصد الخطيب بالحديد.

وقوله في خطبته في سب أهل المدينة وتقريعهم: يا أهل المدينة، **ما تغني عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم،** إن الله قد جعل لكل شيء سببًا غالبًا ينقاد له، ويطيع أمره، وجعل القلوب غالبة على الأبدان؛ **فإذا مالت القلوب ميلًا،** كانت الأبدان لها تبعًا... وأنتم أبناؤهم ومن بقي من خلفهم، تتركون أن تقتدوا بهم، أو تأخذوا بسنتهم، **عمي القلوب، صم الآذان "**[1].

فقوله: " ما تغني عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم" وهذه كناية على عدم الإيمان وسوء النية، وقد عبّر عن هذه الحالة بالمرض، أي أن القلب أصابه السقام ويقصد بذلك النفاق.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 479/2.

وقوله: " فإذا مالت القلوب ميلًا" كناية عن اتباع الهوى والضلال، والقلوب لا تميل على وجه الحقيقة ولكنه انتقل إلى المجاز، كي يعبر عن انحرافات القلب.

وقوله: "عمي القلوب، صم الآذان" كناية عن الضلال وعن الصد لسماع الحق.

المبحث الثاني: التعريض

وأما التعريض فهو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح في المواطن التي يتطلبها، فهو "من أنجع الأساليب التي يستخدمها البلاغيون؛ لأنها تعين المتكلم على إخفاء ما يريد من شكاية، أو عتاب، أو نقد، أو ذم، أو إحراج، وإنَّ دلالة التعريض تفهم من السياق وقرائن الأحوال فقد يكون التعريض واضحًا لدى المعرّض به دون غيره"[1].

والتعريض يدل على المعنى والفكرة الموجودة في ذهن المتكلم لا عن طريق اللفظ بل عن طريق إرادة المعنى المفهوم فهو أخفى من الكناية؛ لأن المخاطب يتفاوت في الفهم فمنهم من يفهم المقصود سريعًا ومنهم من لا يفهمه إلا بعد تفكير طويل.

وقد كان التعريض في الخطب الأموية قليلًا مقارنة بالكناية التي أكثر منها الخطباء، ولعل كثرة الكنايات مقارنة بالتعريضات القليلة يرجع إلى الفرق بين الكناية والتعريض.

ولابدّ من ذكر المشترك بين الكناية والتعريض وهو أن الكناية تجتمع والتعريض في الدلالة، فدلالة الكناية والتعريض في اجتناب التصريح بالألفاظ الدالة على المعنى المقصود.

وكل لفظة دلّلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز تكون عند حد الكناية، ولكن التعريض هو اللفظ الدال على الشيء المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي.

[1] القواسمي، بسام، **أسلوب الكناية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، 370.

وبما أن التعريض يدل على المعنى والفكرة الموجودة في ذهن المتكلم لا عن طريق اللفظ بل عن طريق إرادة المعنى المفهوم فهو أخفى من الكناية، جاء في المثل السائر: "والتعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وإنما سمّي تعريضًا من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي"[1].

والكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معًا. أما التعريض فيختصّ باللفظ المركب، ولا يأتي بالفرد ألبتة، ويُفهم من جهة التلويح والإشارة، ولا يستقلّ به اللفظ المفرد ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى المركب[2].

و"الكناية يجوز فيها اجتماع المعنيين الأول والثاني بخلاف التعريض فإن المعنى الثاني هو المقصود دون الأول"[3].

ومن التعريض الوارد في الخطب الأموية:

قول الحجاج:

"أنا ابن جلا **وطلّاع الثنايا** متى أضع العمامة تعرفوني"[4]

ويقصد بالثنايا الطريق الوعر في الجبل، فكان يطيب للحجاج أن يسلك الطرق الوعرة الصعبة ليصل إلى مبتغاه وهذا تعريض بقوته وقساوته.

وقوله: " أما والله إن أبغضتموني لا تضروني، وإن أحببتموني لا تنفعوني، ما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريح إلى مودتكم، **زعمتم أني ساحر"**[5].

---

[1] ابن الأثير، 224/1.
[2] ينظر: ابن الأثير، **المثل السائر**، 224/1.
[3] القواسي، بسام، **أسلوب الكناية في القرآن الكريم**، ماجستير، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة، 369.
[4] ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، 265/2.
[5] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 295/2.

وهذا تعريض بكذبهم؛ لأن تصديقهم يؤدي إلى تكذيب الله وهذا من باب قوة المحاججة فلا يجرؤ المستمع على الطعن فيه.

وقوله: " ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس، **الذين لا يقرءون القرآن إلا هجرًا**، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا، ألا وإن الدنيا عَرَضٌ حاضر، يأكل منها البر والفاجر"[1]

وأشار بذلك إلى أن يحل الجهل مكان العلم، وهذا تعريض غرضه التلويح لأهل العراق وفيه توبيخ لهاجري القرآن.

وقول عمر بن عبد العزيز: "إنما نحن من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله؟ وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا، وهم فيها نصب المصائب، مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر معمر منكم يومًا من عمره إلا بهدم آخر من أجله "[2].

فقوله: "إنما نحن من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله؟"

تعريض بالإشادة بالآباء والأجداد والأنساب وعدم الرضا عن الأبناء والمعاصرين.

في هذه الفقرة عمد عمر بن عبد العزيز إلى تكرار أسلوب القصر أربع مرات: (إنما نحن أصول وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض ، ولا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر معمر منكم)، لتأكيد تفاهة الدنيا وغدرها بأهلها فكل من عليها فان وأن نعمها زائلة لا محالة.

وقول أبي حمزة الشاري: " يا أهل المدينة، قد بلغتني مقالتكم لأصحابي، ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم، **لأحسنت أدبكم**، ويحكم"[3].

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 296/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 202/2.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 269/2.**

ففي قوله لأحسنتُ أدبكم، تعريض بسوء أدبهم ودناءة أخلاقهم.

وفي قوله: "مستقلون لذلك في جنب الله، موفون بعهد الله، منجزون لوعد الله، حتى إذا رأوا سهام العدو وقد فوقت، ورماحهم وقد أشرعت، وسيوفهم وقد انتضبت، **وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت**، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله"[1]، تلويح وإيماء وتعريض بقرب التقاء العدو مع عدوه للقتال.

وتكرار لفظ الجلالة (الله) ثلاث مرات في الجمل: (في جنب الله، موفون بعهد الله، منجزون لوعد الله)، يفيد تعظيم المضاف وهو: الجنب والعهد والوعد وكذلك طلبًا للموسيقا السجعية.

وقوله: " ولقوا شبًا الأسنة، وشائك السهام، وظبات السيوف بنحورهم، ووجوهم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدما، **حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه**، واختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه طير السماء، وتمرقته سباع الأرض؛ فطوبى لهم وحسن مآب"[2].

فقوله: "حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه": تعريض بالفروسية وحُسن قيادة الفرس السريعة ساعة النزال والمواجهة بطريقة بهلوانية. وجميع عبارات الخطبة تصور لنا مجريات الحرب يوم النزال.

وجمل: (شبًا الأسنة، وشائك السهام، وظبات السيوف) بمدلول واحد وألفاظ مختلفة وهذا إطناب في الكلام وفائدته بيان تعدد الآلات الحربية المستخدمة في الحرب، وزين خطبته بوشائج من المحسنات المعنوية كاللف والنشر، فتقع السيوف على النحور والسهام تصوب على الصدور وغالبًا ما توجّه الأسنة على الوجوه، كما جمع بين الشيء ونظيره أو ما يناسبه وهو ما يعرف بمراعاة النظير فعدد أولًا الآلات الحربية ثم انتقل بعد ذلك إلى تعداد ما فيه مقتل الإنسان كالنحور والوجوه والصدور وكلها مواضع حساسة مجتمعة في أعلى الجسد من الأمام.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 475/2.**
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 228/4.**

وقوله: " يا أهل المدينة: إنا خارجون لحرب مروان، فإن نظهر نعدل في أحكامكم، ونحملكم على سنة نبيكم، ونقسم بينكم فيئكم، **وإن يكن ما تمنون لنا "**[1]، تعريض بأن أهل المدينة يتمنون الهزيمة لأبي حمزة الشاري وجنده.

المبحث الثالث: الاستعارة

هي أن يُستعار للشيء اسمُ غيره، أو معنى سواه[2]، أي استعارة المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سببًا من أسبابه[3]، إذًا الاستعارة تتجلى في المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وهذا يترتب عليه حذف أحد طرفي التشبيه، يقول ضياء الدين بن الأثير: "إن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول إليه، ويكتفى بذكر المستعار الذي هو المنقول"[4].

وهي تتبع للانزياح الدلالي أو الاستبدالي، إذ يستعير الأديب بكلمات ويحولها بما يتلاءم مع السياق، والكلمة المستعارة تحتاج إلى شرح معناها والإبانة عنه، وتفيد الكلمة المستعارة تأكيد المعنى والمبالغة فيه، ولا تخلو من الإشارات بقليل من الألفاظ وبالتلميح الذي يؤدي إلى التصريح، ولها حسن اختيار أي اختيار المستعار.

ومن الاستعارات في **الخطب الأموية**:

قول عمر بن عبد العزيز: "ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ألا إني لست بخيركم، وإنما أنا رجل منكم، غير أن الله جعلني **أثقلكم حملا"**[5]. والحمل شيء محسوس بحاجة إلى جهد

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 481/2.**
[2] ينظر: ثعلب، أبو العباس، **قواعد الشعر**، 53.
[3] ينظر: الآمدي، أبو القاسم، **الموازنة بين أبي تمام والبحتري**، 37.
[4] **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، 60/2.
[5] ابن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، 40.

ومشقة؛ لحمله ونقله إذا كان ثقيلًا وقصد بذلك أعباء الحكم وأمور الرعاية والسياسة وهي أمر معنوي، وقد نجحت الاستعارة في المبالغة وفي تحديد الدلالات حول الأعمال الموكولة للخليفة، وكذلك تمثّل نجاح الاستعارة في قوة التعبير ووضوحه وسهولة فهمه، إذ لمّح الخطيب بأعباء الحكم بالحمل الثقيل الذي يحتاج إلى جهد ومشقة ومتابعة ومراقبة ومحاسبة... ولم يصرّح بالمشبه، وعليه فقد أبدع في جلب كلمات من اللغة، ووضعها في مواضع مناسبة وملائمة للجو العام للسياق.

والاستعارة هي نتيجة: "وجود فكرتين لشيئين مختلفين يعملان معًا، هما: المشبه والمشبه به وهما مرتكزان على فكرة أو عبارة مشتركة بينهما، وينتج المعنى نتيجة التفاعل بين الحدين أو الشيئين"[1].

وقوله: "سنةٌ أحييتُها": أبدع عمر في انتقائه للمفردات في هذه الاستعارة، وإبدال الألفاظ المجازية بالحقيقية، فنجد التعبير المناسب للمعنى المناسب، فبعد أن كانت سنة رسول الله ﷺ ميتة متروكة، أعاد العمل بها أي أعاد إليها الحياة فالإحياء ليس حقيقيًا هنا، بل مجازيًا تمثّل بالنفس بصورة كائن ميّت، تمَّ إحياؤه وبعثه من جديد، وكأن السنة المتروكة جثة هامدة لا وجود لها.

وفي قوله: "إن أجل الدنيا في أعناقكم، وجهنم أمامكم، وما ترون ذاهب، وما مضى فكأن لم يكن وكلٌّ أمواتٌ عن قريب، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق، وبعد فراغه وقد **ذاق الموت**، والقوم حوله يقولون: قد فرغ رحمه الله، وعاينتم تعجيل إخراجه، وقسمة تراثه، ووجهه مفقود، وذكره منسي، وبابه مهجور"[2].

[1] أبو العدوس، يوسف، **الاستعارة في النقد الأدبي الحديث-الأبعاد المعرفية والجمالية**-، 106.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 210/2.**

الإذاقة لها عملها وخواصها، ومرتبطة بعضو معروف وهو اللسان الذي يميز ما بين المطعومات ما هو مر المذاق أوحلو المذاق أوحامض المذاق... وألصقها الخطيب بالموت.

وقد وُفقَ الخطيب في انتقاء لفظ المستعار "ذاق"، وانزاح عن مدلول الموت الحقيقي وعبر عنه بطعم، ولكنه طعم الابتلاء وطعم المرارة؛ لأن الموت مكروه وترفضه غريزة حب البقاء عند الإنسان، والمستعار "ذاق" مناسبة للموت ولاءمت السياق العام في الجملة.

إن الإصابة بالموت هو إحساس وشعور والذائق للأطعمة يشعر بها ويحيط بطعمها، فتجاوز عمر بن عبد العزيز الذوق المادي كما في قوله تعالى: (فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا)[1]، بل هناك الذوق المعنوي أو المجازي كما في قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ)[2] فاللسان يميز بين مختلف المواد الموجودة في الطعام والشراب، فالتذوق إذًا يستخدم في المطعوم أو المشروب فيحمل حينئذ على الحقيقة وإنْ خرج عن ذلك، فهو مجاز ويكون الذوق للخير أو الشر، وكثرت استعارته في القرآن الكريم للعذاب والشر، كقوله تعالى: (إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ)[3].

وقوله: "فتقسوا القلوب"[4]

وأصل القسوة صفة للشيء الصلب، وهي تلائم الحجارة، والمراد بقسوة القلوب انعدام اللين والرحمة والخشوع والرقة... ولكن أسلوب الخطيب انزاح من اللفظ الحقيقي ولم يُؤثر المستوى السطحي المألوف في كلامه وذهب للمعنى المجازي، وذلك إشارة وتلميحًا لما جرى للقلوب من غلظة وشدة.

ومدلولي القسوة وانعدام الرحمة بينهما علاقة أسهمت في نجاح الانزياح، وهنا سدّت القسوة محل انعدام الرحمة في التعبير مسدًا ناجحًا قد لا يسد مكانها لفظ آخر.

---

[1] **الأعراف**، 22/7.
[2] **آل عمران**، 185/3.
[3] **الصافات**، 38/37.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 228/1.

وفي قوله: "فتقسوا القلوب" تناص قرآني من قوله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[1].

والقسوة هي الغلظة والجفاف وعدم اللين والرقة، وقد تلين القلوب بعد قسوتها، والقلب موطن الرقة، وموطن الرحمة والعطف، وإن القلب يكثر ذكره في قضية الإيمان وهو العضو العمدة الذي يحمل في داخله الدم الذي هو سر الحياة فلما يعمر القلب باليقين ويعمر بالإيمان، فكل قطرة دم تمرُّ فيه وتذهب إلى جارحة من الجوارح تكون فيها خميرة الإيمان شائعة في كل أنحاء الجسم حتى لا توجد حركة في الجسم إلا والإيمان فيها، فإذا كانت القلوب قد قست ولا طمع فيها أن تلين فتكون كالحجارة والأصل فيها أن تكون لينة وعندما تخرج عن مهمتها تكون أقسى من الحجارة، وعند تفريغ القلوب من الرحمة والعطف والحنان تكون قد خرجت من اللين إلى القسوة.

وقوله: "علم فاسد"[2]

والفساد يقابله الصلاح وهو دليلٌ على عدم صلاح الشيء، أو تلف فيه، واختيار كلمة فاسد ونسبها للعلم فيه مبالغة وإشارات واسعة وانزاح الخطيب عن وصف العلم في زمانه بالمضطرب غير الصالح، وكأنه طعام قد تلف وبات غير صالح للأكل، والمطلوب التخلص منه، فحال العلم غير النافع، الضار،وفيه أخطاء وانحرافات، كحال الطعام الفاسد، الذي يسمم آكله ويضره، والربط بين المدلولين فيه حسن بيان ودقة في التعبير، فكما أن العلم الضار غير المفيد يضيّع الناس وينحرف بهم عن طريق الله، ويوردهم إلى المهالك يوم الحساب، كذلك الطعام الفاسد، الذي يهلك الإنسان ويضره وقد يقتله.

والفساد كلمة قرآنية وردت في خمسة وعشرين موضعًا، ونسبت إلى الفساد في الأرض

[1] **البقرة**، 74/2..
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 33/1.

وقوله: " وإني قد **خلعت ما في أعناقكم** من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم "[1].

والخلع لفظ مرتبط بدلالات مخصوصة، حسب اللفظ الذي يرتبط به، كخلع الشجر أي قلعها من جذورها، وخلع الزوجة لزوجها الفراق، وهنا استعار الخطيب خلع ما في الأعناق، ويقصد بذلك البيعة التي تكون للخليفة وهي عقد بين الأمة والحاكم، واستعارة كلمة "الأعناق" أي العهد والميثاق الذي يجمع بين الأمة وحاكمها، وقد جاء عمر باستعارة "خلعتُ" في معرض التخيير، بقوله: "فاختاروا لأنفسكم" أي الأمة تختار حاكمها دون إكراه أو غصب، وهي بين خيار القبول أو الرفض، وهنا تظهرالمبالغة في الاستعارة في كلمة "خلع" أي رفض البيعة، فلو قال: ارفضوا بيعتي، لما كان الكلام بليغًا ولما كان بدرجة الحسن والتزيين الذي أضفته الاستعارة للكلام؛ ولأن مضمون الكلام عن شيء عظيم وهو بيعة الأمة لحاكمها، فالأمر يحتاج لكلام مؤثر في النفوس حتى يتناسب مع عظمة الموقف وهو إما الموافقة والبيعة للخليفة أو الخلع أي رفض البيعة واستبدال آخر بالخليفة.

وهنا تبرز قيمة الاستعارة في الكلام، فهي أحد أعمدة الكلام، والمعول بها في التوسع والتصرف، وبها تتزين الألفاظ، ويتحسن النظم والنثر[2].

وقوله: " وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض **تنتضل فيهم المنايا**، وهم فيها نصب المصائب"[3]

والمنايا هي الموت، وتنتضل أي تبارت في الرماية، وتكمن استعارة السهام أو الرماح التي تقتل الناس فيصبحوا في دائرة المنايا، ولكن المنايا لا تتبارى، ولكنّ أراد عمر –رضي الله عنه- من هذا التصوير أن يظهر حالة الموت، فهو يفاجئ الإنسان، فلا يدري في أي أرض سيموت أو في أي زمان، ولكل إنسان منيته وحتفه، وطعم الموت واحد، ورسالة عمر لمن يخاطبهم، إن المنايا تتسابق، حالها كالسهام

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 203/2.**
[2] ينظر: الجرجاني، علي، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، 428.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 202/2.**

الممطرة أو الرماح المضروبة بكثافة، لا تدري من تصيب ومن لا تصيب وأين تصيب؟ وإنْ أخطأ سهم فقد يصيب الآخر، وكذلك الموت يتسابق، فهو في تنافس وسيشمل الجميع، والناس في انتظاره، فهو حقيقة لا يستطيع أحد الهروب منها.

وهنا كانت الاستعارة الموغلة في الخيال أبلغ من الحقيقة، وهي قادرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس، ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدركات حسية ترتبط بزمان، أو مكان، بل إن فاعليتها تمتد إلى ما هو أبعد وأرحب، فتعيد تشكيل المدركات، وتبني منها عالمًا متميزًا في جِدته وتركيبه، وتجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة، تذيب التنافر والتباعد وتخلق الانسجام والوحدة[1].

وقول زياد بن أبيه

"ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله"[2].

وهنا مثّل زياد في استعارته وانزياحه تمثيل لحال من ينفق أمواله لطمس الدين ومحقه، وصد الناس عن اتباعه، بحال من يريد إطفاء نور الله، يريد النار التي قد تطفئ بالنفخ، أما النور فلا يخبو نوره بنفخة، والنور في القرآن الكريم في معظمه يدل على الإيمان، والظلمات يعبر بها عن الكفر، كقوله تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[3]، فشبه الإيمان بالنور وشبه الكفر بالظلمات، ولكنّ نور الله عظيم، وهنا أجاد زياد وأبدع بحسن التعبير في وصف دين الله بالنور، والنور إذا أردت طمسه حولته إلى ظلام، فكانت الاستعارة مناسبة وحققت غايتها.

---

[1] ينظر: عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، 13.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 2/266.
[3] **البقرة**، 2/257.

والمرجو من الاستعارة أن تغضَّ بصرك عن الحقيقة المبسوطة وتنتقل إلى مدى أبعد منها مع ذبذبات الخيال وموجاته[1]

وقوله: "فإن الجهالة الجهلاء، **والضلالة العمياء"**[2]

والضلالة هي الضياع، ونسب العمى للضلالة، فالإنسان الضائع التائه حاله كالأعمى، يتخبط لا يدري أين يسير وكيف يسير! سالكٌ طريقًا مجهولًا، غير معروفة نهايته، وكذلك الإنسان الضال المتخبط الذي لا يسير على هدى، وكلمة العمياء خرجت عن مدلولها الحقيقي، لتأخذ مدلولًا انزياحيًّا آخر، فالضال كالأعمى لا يبصر الحق مع وضوح تجلياته، ولا يدري كيف يتجنب الشرور والأذى، ولا يرى الأخطار والمهالك، فأسند العمى للضلالة وأراد صاحبها، وهنا يقصد عمى البصيرة وهو أشدّ من عمى البصر، لقوله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[3]، وشر العمى عمى القلب؛ لأن عماه يفقده نور الإيمان بالغيب فيولد الغفلة عن الله والآخرة ومن كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا.

والاستعارة بفنها تكمن في تعاملها مع المدلول، وهي ملكة الصور البيانية[4].

وقول **معاوية بن أبي سفيان:** " وإياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة **وتكدر النعمة"**[5].

جاء في اللسان "كدر عيش فلان، وتكدرت معيشته"[6]، وقصده عن الفتنة، ولفظ "تكدر" صفة للماء إذا لم يصفَّ أو تلوث و"يقال: عيش كدر، والكدرة في اللون خاصة والكدرة في الماء والعيش"، وتكون للعيش إذا أصبح معكرًا غير مريح، وهذا ما تفعله الفتنة، فقد أحسن معاوية الاختيار في كلمة "تكدر" وهي

---

[1] ينظر: الصاوي، أحمد، **فن الاستعارة**، 294.
[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 40/2.
[3] **الحج**، 46/22.
[4] ينظر: بركة، بسام، **التحليل الدلالي للصور البيانية عند "ميشال لوغواران**، مجلة الفكر العربي المعاصر، 25.
[5] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 183/2.**
[6] ابن منظور، مادة: (كدر).

من فعل الفتنة ونتاجها، وما تفعله بالناس من تفريق وشق للصفوف واختلاف في الآراء، فهي فعليًا تكدر النعمة، نعمة الوحدة والأمان والمحبة والطيبة، فتشوش على الناس حياتهم، وتستبدلهم بالانشغال بأنفسهم، فيصبحوا في نقمة لا في نعمة، ولا تخلو الحياة من كدر، ولا تصفو من بلاء يتجاذبها الفرح والترح، والحلو والمر.

وقول **يزيد بن أبي سفيان**: "وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله اصطفاه لوحيه، واختاره لرسالته، بكتاب فصله وفضله، وأعزّه وأكرمه، ونصره وحفظه، **ضرب فيه الأمثال**، وحلل فيه الحلال، وحرم فيه الحرام، وشرع فيه الدين؛ إعذارًا وإنذارًا"[1]

جاء في لسان العرب: ضَرْبُ الأَمْثَالِ: اعْتِبَارُ الشَّيْءِ بِغَيْرِه، ضَرْبُ المَثَلِ: إيرادُه لِيُتَمَثَّل بِهِ وَيُتَصَوَّر مَا أَرَادَ المُتَكَلِّمُ بَيَانَه لِلْمُخَاطَب. يُقَالُ: ضَرَب الشَّيْءَ مَثَلاً، وضَرَبَ بِهِ. وتَمَثَّلَه وتَمَثَّلَ بِهِ[2].

فضرب المثل هو الذي يوضح لك مجهولًا بشيء مفهوم، ويصبح بعد ذلك متيقنًا منه، وينزاح لفظ الضرب حسب استعماله في الكلام، وهنا ضرب فيه الأمثال ليس الضرب بمعنى البطش أو القتل، وضرب الأمثال هنا جعلها ذائعة منتشرة بين الناس، فلله أمثال تُقرب الصورة للأذهان بشيء شبيه او نظير لها. وهنا استعار للأمثال لفظ الضرب؛ لأنها الأليق والأنسب واستعمالها مشهور. واللفظ المستعار "ضرب" هو عبارة عن نمط ديني وشعبي متداول بين الناس.

وقول عبد الملك: "**ارموا بأبصاركم** نحو أهل المعصية، واجعلوا سلفكم لمن غبر منكم عظة، ولا تكونوا أغفالا من حسن الاعتبار"[3]، وقالها عبد الملك مخاطبًا من حوله بعد قتل عمرو بن سعبد.

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 177/4.
[2] ابن منظور، مادة: (ضرب).
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 193/2.

والرماية لها مجالها كرمي السهام والرماح أو الحجارة، ومجالها كذلك للتصويب نحو الهدف، وقد يكون عبد الملك قصد "بأبصاركم" حاسة البصر المرتبطة بالعين، وقد ترتبط الاستعارة بالحواس كالذوق والبصر وغيرهما، ونصل للاستعارة من خلال الناتج الدلالي للجملة. وقد يقصد "بأبصاركم" إبصار القلوب؛ لأن معرض حديثه عن أهل المعصية وأخذ العظات من أخطائهم ونهايتهم المؤسفة. ولفظ "ارموا" له وقع في النفس وتأثير وملائم لفكرته، فالرماية وتصويب الهدف مهم لأن في ذلك معرفة المصير إما خطأ أو صواب، إما أخذ العبر والعظات وإما عدم الاتعاظ.

والمقصود بارموا بأبصاركم أي لا تنظروا لأقدامكم، بل انظروا إلى أقصى القوم وسترون بأعينكم ما ينتظركم.

وقوله: "الحرب مرة":

أسند المرارة إلى الحرب فجعلها غير مرغوب فيها، كما لو ذاق الإنسان شيئًا مرًّا فإنه يلفظه ويرغب عنه فعقد مشابهة بين الحرب والطعام أو الشراب المر الذي تعافه النفس ولا ترتاح لمذاقه، فانزاح بالذوق المرفوض وربطه بالحرب، وطبيعة الإنسان تميل إلى الهدوء والأمن، والخوف على الحياة وعدم ركوب المخاطر، واجتناب الأذى وما يلحق الإنسان في القتال من جرح أو ضرب أو قتل.

فالحرب فعليًا مرة بملاقاة الأعداء وجولاتها ونهايتها إذا كانت النهاية الخسارة والهزيمة، فهي مرة، ولكن المرارة هنا ليست بتذوق اللسان للطعام المر، بل مرارة النفس وهي حرب على الأعصاب بالاستعداد والتخطيط وخوض المعركة والخوف من القتل أو الأذى والخوف من الهزيمة وشماتة الأعداء، وتتجاوز المرارة ليس للنفس فقط، بل بأذية أحبابه وحلفائه، فهي مرة، وقد أحسن عبد الملك وصف الحرب بأنها مرة، واللفظة البديلة هنا أوجزت كثيرًا من الصفات. وهذه من خصائص إيجاز القصر الذي "يعطيك الكثير من

المعاني، باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة، عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثمر"[1].

وقول قتيبة: " إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقتٍ الغزُو فيه ممكنٌ، وهذه السغد شاغرة برجلها، قد **نقضوا العهد** الذي كان بيننا "[2]

وأصل النقض للحبل، والحبل إنْ شُدَّ يوثق بقوة، ونقض العهد يشمل النكث وهوضد الإبرام والاتفاق والغدر، والعلاقة بين العهد والحبل تربطها مشابهة قريبة من ذهن المتلقي، فحال الحبل إنْ فكت جدائله يصبح ضعيفًا ولا يعتد به في المسك والشد، وكذلك عند الإيفاء بالعهد بين الطرفين وما يشمل من اتفاقات ومواثيق، فإنْ حصل خللٌ أو نكث يصبح العهد ضعيفًا لا قيمة له، ونقض العهد هو إفساد ما كان نافعًا.

وقوله: " وأيم الله لو ملكت أمر الناس **لنقشت أيديهم** "[3]: والنقش يكون على الأسطح الصلبة كالحجارة والخشب والأصل الوشم أو الرسم على اليد، والنقش أفاد المبالغة، وتهويل العقاب وشدته، وبأس منفذه، والنقش يشمل الحفر والنحت، فحال العقوبة التي ستنزل على أعداء قتيبة، كحال النقش والحفر على الحجارة أو الخشب، وإذا كان الحفر أو النقش على الأيدي أي على الجلد، فيكون علامة أبدية لا تزول، والمبالغة كذلك ظهرت في عدم نسيان العقوبة التي ستحل بأعدائه، فستبقى مُعلّمة وظاهرة لا تُنسى ولا تُمحى.

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، 40.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 305/2.
[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 91/2.

وقول الحجاج: "الشيطان ارتفع وعشش وباض وفرّخ"[1]: والعش والبيض والتفريخ خاص بالطيور كما نعلم، وصناعة الطير للعش الذي هو بيته تكون لغرض المبيض ومن ثم التفريخ، وهذا حال تكاثر الطيور، وحال مبيتها واستقرارها.

وعشش وباض وفرّخ استعارة للوسوسة الشيطانية والإغواء، ومرارة طول مكثه وإقامته عليهم لأن الطائرغالبًا لا يبيض ولا يفرّخ إلا في الأعشاش التي هي وطنه ومسكنه أي ربوا الباطل كما يربي الوالدان الولد في بيتهما، وجاء بكلماته مرتبة ترتيبًا منطقيًا فيطير الطائر ليصنع عشه على الشجر ثم يكون دور التبييض لينتهي بالتفريخ.

وقوله: " أما والله **إني لأحمل الشر بحمله**، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله؛ **وإني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها**، وإني لصاحبها؛ وإني لأنظر الدّماء بين العمائم واللّحى تترقرق "[2].

والشر شيء معنوي وجعله كشيءٍ مادي محسوس كالحجر مثلًا، وأتى بقرينة تدلّ عليه وهي كلمة (أحمل) وقوله : "وأحذوه بنعله" شبه الحجاج الشر بإنسان يمشي فحذف المشبه به (الإنسان) ورمز إليه بشيء من صفاته وهو (نعله) حيث استعمل الاستعارة المكنية التخيلية. وفائدتها تجسيد المعنوي بالمادي في التشبيه والاستعارة للإيضاح وإزالة الغموض واستحضار صورة المعنوي وتثبيته في الذهن.

وقوله: "إني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها"

شبه رؤوس المتمردين الخارجين عن الخلافة بثمار أشجار ناضجة وحلّ موعد قطفها وحذف الثمار الناضجة وأبقى على شيء من مستلزماتها وهي (أينعت) التي هي صفة من صفات النضج حيث اعتمد أسلوب الاستعارة المكنية التخيلية.

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 33/7.
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 208/4.

وقوله: " والله لألحونّكم لحو العصا، ولأعصبنّكم عصب السلمة، **ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل** "[1]

ويدخل هذا المثل في الاستعارة التمثيلية ويضرب هذا المثل في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن[2].

فحال الحجاج مع أهل الكوفة كصاحب الحوض الذي يطرد الإبل الغريبة التي تزدحم على الحياض عند الورد.

فأورد الحجاج مثلًا آخر في هذه الخطبة فقال: "ما يقعقع لي بالشنان"، والشنان: "جمع شن وهو القربة الخلق إذا قعقع نفرت منه الإبل"[3].

وفي قوله: "ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل" مقتبس من المثل: "أضربه ضرب غريبة الإبل" وذلك أن الغريبة تزدحم على الحياض عند الوِرد وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله، وعليه قول الأعشى:

كطوافِ الغريبةِ وسْطَ الحِياضِ تخاف الرَّدى وتُريدُ الجِفارَا[4]

وقوله: " إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم، والعصب والمسامع، والأطراف والأعضاء، والشّغاف، ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعشّش، ثم باض وفرّخ، فحشاكم نفاقًا وشقاقًا،

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 311/1.
[2] ينظر: الميداني، أبو الفضل، **مجمع الأمثال**، 419/1.
[3] الزمخشري، **المستقصى في أمثال العرب**، 274/2.
[4] **الديوان**، 95.

وأشعركم خلافًا، واتخذتموه دليلًا تتبعونه، وقائدًا تطيعونه، ومؤامرًا تستشيرونه، **فكيف تنفعكم تجربة**، أو تعظكم وقعة، أو **يحجزكم إسلام**، أو ينفعكم بيان"[1].

يقصد واقعة دير الجماجم المشهورة يشبهها الحجاج بخطيب يقدّم المواعظ والإرشاد لأهل العراق، وحسن التقاط هذه الصورة؛ لأن من واجبات الخطيب النصح والإرشاد، ولم يكن ذلك إلا ليعمّق الحجاج معناه ويحمل السامعين إلى التأمل والتدقيق حتى يعطي النص إبداعًا وحيوية.

وقوله: **أو يحجزكم إسلام"**

والإسلام يشبهه الحجاج بحاجز يمنع المارة ويوقفهم، وحذف المشبه به (الحاجز) ورمز إليه بكلمة (الحجز) فاستعمل الاستعارة المكنية التخيلية والمشبه معنوي والمشبه به مادي لتوضيح الصورة وإظهار أسلوبه الفني.

وقوله: **"عضكم السلاح"**[2]

والعضُّ للحيوان المفترس، فجعل الحجاج السلاح يعض، فعضّ الحيوان وتصويب السلاح وإصابته تنال من جسد المعضوض المصاب، وتكون النتيجة القتل أو الجرح ونتيجة استخدام السلاح ونتيجة العض واحدة، والاستعارة أخذت دورها في تقويم المعنى وإبرازه على وجهه البديعي الفني.

وقوله: **"الأرض تأكل من لحومنا"**: فأعطى الأرض صفة الإنسان في الأكل وما يشمل من مضغ وبلع، وأعطى صورة بيانية وتركيبية جميلة لهذا التجسيد الرائع.

وولّد بانزياحه تركيبًا جديدًا، فمصير الإنسان بعد موته تحت الأرض، ومصير جثمانه إلى عظام، لأن جسم الإنسان بعد الموت يذهب إلى التحلل بعد أن تأكله ديدان الأرض، وهذا حال الإنسان عند أكله،

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 94/2.

[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 294/2.

يأكل اللحم ويلقي بالعظم جانبًا، وقد استعار بأكل الأرض للحوم الناس مبالغة في تصوير حادثة ما بعد الدفن وما يجري للإنسان أثناء تحول جسمه إلى عظام وتراب.

وقوله: **"اضجعتم في مراقد الضلال"**: والمرقد مكان النوم والراحة، والاضطجاع أن يستلقي الإنسان بحثًا عن النوم، ولكن تعبير الحجاج "بمراقد الضلال" لا يفيد النوم أو الراحة مثلًا، بل طول مدة السير في الضلال والتأقلم مع الباطل، والابتعاد عن الحق ونسيانه، وأن راحتهم تكون في العدول عن الطريق المستقيم عمدًا، كما يلقى الذي أنهكه التعب وأثقله النعاس وخلد إلى الراحة على فراش النوم.

وفي قول أبي حمزة الشاري: **" واضطرب حبل الدين بعدها"** والاضطراب الحركة السريعة القوية، إذ أسند الحبل للدين على سبيل الاستعارة المكنية أي شبه اضطراب الدين بالحبل المتحرك حركة سريعة.

وقوله: **"وانطمست عنكم سنته"** إذ شبه السنة بالشي الذي يمحى ولا يبقى له أثر، وحملت الكلمة المستعارة (انطمست) دلالات كثيرة كالإخفاء والكتمان والحجب والستر.

وقوله: **"واتبعوا النور"** أي الهداية فشبه الإيمان بالنور، فالإيمان نورٌ وإشراق، يعطي البصيرة للإنسان، عكس الظلام وهو منشأ الضلال، فالمؤمن يسير على هدى ووضوح والضال يتخبط في سيره على غير هدى.

المبحث الرابع: التشبيه

التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معنى أو معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد[1].

التشبيه على ضربين: تشبيه حسن، وتشبيه قبيح، فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بياناً، والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك، والتشبيه نوعان: أحدهما على التقدير، والآخر على التحقيق؛ فالذي يأتي على التقدير التشبيه من وجه واحد، والذي يأتي على التحقيق التشبيه على الإطلاق[2].

ومما ورد من تشبيهات في الخطب الأموية، قول معاوية بن أبي سفيان: "وبقى رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد نافر وخائف منقمع، وساكت مكعوم وداعٍ مخلص وموجع ثكلان، فقد أخملتهم التقية، وشملتهم الذلة **فهم بحر أجاج** أفواههم ضامزة وقلوبهم قرحة"

وظهر التشبيه في قوله: "فهم بحر أجاج" وتمثل الانزياح بتشبيه الناس ببحر أجاج نتيجة للكلام السابق، فتوقع القارئ أو السامع أن ينهي ما بدأ به معاوية بعدد من الأوصاف وجاء بالمشبه بصيغة الجمع (هم) وأعطاهم صفة البحر الملح ماؤه نتيجة لما مرّوا به من أحداث ومواقف، كالخوف من المرجع والمحشر وما تحمل هذه الأحداث من تغييرات في نفسية الإنسان، وقد أحسن انزياحه بتشبيههم بالبحر الأجاج المالح ماؤه الذي يفتقر إلى العذوبة، فهذا بيان لمظهرهم الداخلي والخارجي وما يعتري نفسياتهم من

[1] ينظر: ابن جعفر، قدامة، **نقد الشعر**، 37.
[2] ينظر: القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، 287/1.

خوف وقلق فلن تكون نفسياتهم صافية عذبة عند ذكر المرجع إلى الله والمحشر بل تكون معكرة غير صافية يشوبها القلق والهلع فحالهم، كحال بحر ملح لا يشرب منه الناس ولا تعيش فيه الكائنات الحية.

ورواية ابن قتيبة وابن عبد ربه: **"فهم في بحر أجاج"**[1] وبهذه الرواية لا يوجد تشبيه وهي منسوبة في البيان والتبيين[2] لعلي بن أبي طالب –كرم الله وجهه- وفي غيره لمعاوية وفي قوله أفواههم ضامزة: كناية عن عجزهم عن الكلام.

وقول يزيد: **"إن أمير المؤمنين معاوية كان حبلًا من حبال الله** مدّه الله ما شاء أن يمده ثم قطعه حين أراد أن يقطعه وكان دون من قبله وخيرًا ممن يأتي بعده ولا أزكيه عند ربه وقد صار إليه"[3]، وفي رواية المسعودي: "إن معاوية كان حَبْلا من حبال الله مَدَّه الله ما شاء أن يمده، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه، وكان دون من كان قبله، وخير من بعده، إن يغفر الله له فهو أهله، وإن يعذبه فبذنبه..."[4]

وظهر التشبيه في قوله: "أمير المؤمنين كان حبلًا من حبال الله" وهنا انزاح في التشبيه وبالغ فيه وأظهر المشابهة بين معاوية وحبال الله تعظيمًا وتشريفًا له، والتشبيه بـ(حبل من حبال الله)، أي هو كحبل من حبال الله ويحمل هذا التشبيه في طياته دلالات واسعة، كالعلم والرحمة والجهاد ضد أعداء الله والعطف على المستضعفين، والتشبيه بالحبل جاء على صورة حسية ليحقق غرضه المعنوي، ودلالة الحبل تستعمل في النجدة والإعانة وعندما أُسند الحبل إلى الله، فاعلم أن المشبه عظيم القدر عند من شبهه. والحبل من خصائصه وسماته القوة والمتانة، ويضرب الحبل مثلًا لكل وسيلة ينجو بها الإنسان خصوصًا إذا كان

[1] **عيون الأخبار**، 260/2.و**العقد الفريد**، 177/4.
[2] الحاجظ، 39/2.
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 177/4.
[4] **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، 65/3.

التخوف من السقوط، فإنّ الحبل والتمسك به منجاة من السقوط وفيه تناص قرآني، يقول تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)[1].

وحبل الله كناية عن القرآن الكريم، استنادًا لقول رسول الله ﷺ: (ألا وإني تاركٌ فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله عز وجل، هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة)[2]

وقول عبد الملك: "فإياي من قول قائل ورشقة جاهل فإن ما بيني وبينكم أن أسمع نغوة فأصمم تصميم **الحسام المطرور**[3] وأصول صيال الحنق[4] الموتور[5]"[6]

وفي رواية: "وإياي من قَول قائلٍ، وسفه جَاهِل"[7] بدل كلمة (ورشقة) جاهل، التي رواها القلقشندي[8].

وظهر التشبيه في قوله: " فأصمم تصميم الحسام المطرور" أي المشحوذ، وهنا شبه نفسه بالحسام وأعطى التشبيه دلالات التخويف والتحذير والإنذار، وهنا انزاح بالسيف وتشبيه نفسه به، والعرب تستعمل السيف كثيرًا عندما تتعلق الأمور بالردع والزجر؛ لأنه كان من أدوات الحروب والقتل، فيتحول عندما يسمع الأخبار الكاذبة وكلام الجهلاء إلى سيف مشحدوذ فيه حدة كبيرة يقطع قطعًا ولا يبقي ولا يذر، ولم يكتفِ بذكر الحسام أي السيف بل أعطاه كذلك صفة الحدة والشحذ لتهويل المخاطب وتخويفه وتقدير حجم الخليفة المهاب عند مخالفته وغضبه، فأحسن الانزياح بالتشبيه وحقق غرضه المراد.

---

[1] **آل عمران**، 103/3.
[2] **صحيح مسلم**، 187/4.
[3] المطرور: المحدد المشحوذ، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (طرر).
[4] الحنق: الغيظ، والجمع حناق، ينظر: الجوهري، **الصحاح**، مادة (حنق).
[5] الموتور: هو الذي قُتل له قتيل، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وتر).
[6] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 193/2.
[7] الآبي، أبو سعد، **نثر الدر في المحاضرات**، 37/3. وينظر: البغدادي، بهاء الدين، **التذكرة الحمدونية**، 421/1.
[8] ينظر: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 261/1.

ويوجد تشبيه بليغ آخر في قوله: "وأصول صيال الحنق الموتور" فإنه يثب على غريمه وثب أسد على فريسته ليأخذ بثأره ويقهر خصمه.

وهناك فرق لغوي بين كلمتي (رشقة) و(سفه) ففي الرواية الأولى: "فإياي من قول قائل **ورشقة** جاهل" والرواية الثانية: "فإياي من قول قائل **وسفه** جاهل".

والرشق: مصدر رشقه يرشق رشقًا إذا رماه بالسهام[1]، أي أن الجاهل الطائش يرمي كلامه أي يقوله كما يرمي الرامي سهمه وهو طائش دون انتباه وتركيز، وفي ذلك استعارة في الكلام. وفي حديث رسول الله ﷺ عندما حرّض حسان بن ثابت على هجاء المشركين: "اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ"[2].

وفي "وسفه جاهل": السَّفَهُ والسَّفاهُ والسّفاهةُ: نقيضُ الحِلْم، وسَفِهتَ ْأحلامُهم، وسَفُهَ الرَّجلُ: صار سفيهًا وسفه حلمه، ورأيه ونفسه، إذا حملها على أمرٍ خطأ[3]. ومنه قوله تعالى: " وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ "[4].

وفي الكلمتين (رشقة وسفه) تحذير من حماقة الجاهلين وأقوالهم والانجرار خلفهم.

وقوله: "أوصيكم بتقوى الله **فإنها عصمة باقية وجنّة واقية**، فالتقوى خير زاد وأفضل في المعاد وهي أحصن كهف"[5].

وظهر التشبيه في قوله: "فإنها عصمةٌ باقية وجنة واقية" وانزياح بتشبيهين للتقوى مرة بعصمة ومرة بجُنّة، وفي كل انزياح تشبيهي دلالة أرادها الخليفة، فشبه تقوى الله بالحاجز أو الجدار الثابت الذي يمنع الناس من السقوط والهلاك وخسران النفس، وكذلك (الجُنة الواقية) أي المانعة الحافظة، فكان على

---

[1] الجزري، ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 225/2.
[2] البيهقي، أبو بكر، **السنن الكبرى**، 403/10.
[3] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، مادة: (سفه).
[4] **البقرة**، 130/2.
[5] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**،**199/2**.

المتلقي عند سماعه هذا التشبيه أن يسرح خياله؛ ليربط العلاقة بين العصمة والجنة مع التقوى فالتشابه بينهما كبير بل يصل إلى درجة القرب والمطابقة.

وفي قوله: "فالتقوى خيرُ زادٍ" تشبيه بليغ، إذ شبه التقوى بالغذاء الروحي للنفس. وكذلك في قوله: "هي أحصن كهف" تشبيه بليغ قائم على تشبيه التقوى بالحصن المنيع ومن يسكنه يكون في أمن وأمان.

وقول عمر بن عبد العزيز: "إنما **الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب**، بينما ابن آدم في الدنيا منافس وبها قرير عين إذ دعاه الله بقدره"[1]

وظهر التشبيه في قوله: "إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب"

والدنيا هي المشبه، والمشبه به فيء ظلال يتناقص لينتهي، وهنا أعطى للتشبيه رونق الحركة، فمعرفة المتلقي بالفيء أنه إلى زوال، وبقاؤه مستحيل؛ لأنه مرتبط بأشعة الشمس وحجبها بجدار مثلًا، وكذلك الدنيا حالها كحال هذا الفيء، لا تبقى على حالها، بل إلى زوال حتمي، ومدة بقائها قصيرة كمدة بقاء الظلال، فكتب الله على الدنيا وعلى أهلها الفناء، فكم مقيم مغتبط عما قليل سيرحل، وإن الدنيا لا تسرُّ بمقدار ما تضرُّ، إنها تسرُّ قليلًا وتُحزن حزنًا طويلًا طويلًا.

وقوله: "إن الدنيا ليست بدار قرار دار كتب الله عليها الفناء"[2]

تشبيه بليغ، فشبه الدنيا بالدار المسكونة بالناس لفترة زمنية، فالدنيا عبارة عن بيت صغير يولد فيه الإنسان ويأكل ويشرب ويتنعم تاركًا داره التي أوته حين يموت.

وقوله: **"وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله له من ثوابه وعقابه"**[3]

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 205/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 205/2.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 209/2.**

والتشبيه اقترن بصيغة الطلب، فيطلب الخليفة عمر بن عبد العزيز ممن يخاطبهم بأن يعاينوا أي يشاهدوا ويتحققوا ويحترزوا من ثواب الله وعقابه، كمن يعاين شيئًا وينتظره وهو مستعدٌ له وفي كامل جهوزيته.

وقول زياد: "ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم، فقد نظرتُ في أمور الناس منذ قتل عثمان وفكّرتُ فيهم فوجدتهم **كالأضاحي** في كل عيد يذبحون"[1]

وظهر التشبيه في قوله: "فوجدتهم كالأضاحي" وقد قرّب الواقع بوصف حسن ومقبول، فحال الناس والفتن التي يعيشونها وما يحدثون من قتل وافتعال للمعارك، وما ينتج عن ذلك من سفك للدماء كحال الأضاحي من الأنعام تصطف منتظرة ذبحها في عيد الأضحى تقربًا إلى الله تعالى، ولكن ذبح الناس لبعضهم في يوم الجمل وصفين ليس تقربًا إلى الله؛ لأن القتل بين المسلمين حرام ودمهم على بعضهم مرفوض من الله قطعًا، وهذا حال الناس عند القتال، كل منهم ينتظر دوره في الذبح، وهذا مصير المعارك عند لقاء السيوف والرماح، وجعلهم كالأضاحي يوم النحر، إشارةً إلى كثرة القتلى بآلات الذبح، ولكن ذبح الأضاحي قربان إلى الله تعالى، ولكن قتل الناس بعضهم بعضًا بغير حق نتيجة الفتنة وهي ابتعاد عن رضوان الله تعالى. وعليه يكون ما بين طرفي التشبيه من اتفاق واقتران في بعض الصفات.

وقول الحجاج: " يا أهل الشام إنما **أنا لكم كالظليم** الرامح عن فراخه ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويُكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب"[2].

وظهر التشبيه في قوله: "أنا لكم كالظليم الرامح" والظليم ذكر النعام[3] والرامح المدافع برمحه وسلاحه.

حيث شبه الحجاج نفسه بالظليم الحامي والمدافع والحارس الذي يذود عن أهل الشام من كل شر، وهذا التشبيه أعطى جمالًا في التصوير، وتطمينًا لأهل الشام الكرام، فمنزلتهم عند الحجاج كبيرة واستلزم

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 268/2.
[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 95/2.
[3] ينظر: الدميري، أبو البقاء، **حياة الحيوان الكبرى**، 148/2.

الخطاب جلب تشبيهات لائقة تناسب قدر المخاطبين وتضعهم في صورة الاهتمام والعناية، فهم كفراخ النعام الصغيرة الضعيفة ولكن الظليم (ذكر النعام) هو الحارس المنيع فلا خوف على الفراخ أي على أهل الشام ما دام الحجاج هو الحارس ومعه الرماح، فلا يجرؤ معادٍ لهم النيل منهم هيبة من الوالي.

ووجه الشبه هو الدفاع والحماية وجمال التشبيه هنا يكمن في حسن اختيار الحجاج للمشبه به فجعله قويًا.

وفي قوله: **"لأرواحكم أطيب من ريح المسك، ولدنوكم آنس من الولد"**[1].

شبه الحجاج أهل الشام الكرام بأرواحهم الطيبة الزكية التي يألفها ويرتاح لها بأطيب رائحة وهي رائحة المسك، وفي ذلك مبالغة واضحة في ارتياحه وطمأنينته لأهل الشام، وجمال التشبيه في حسن اختيار المشبه به وهو الرائحة الطيبة (المسك) التي تنال الإعجاب وتكمن معزتها بندور وجودها.

وفي قوله: "لدنوكم آنس من الولد" فيأنس بقرب أهل الشام إلى قلبه وحبه لهم، كما يأنس الوالدان لابنهما وأزيد، حيث شبههم بالعزيز القريب من النفس، الذي يطمئن لهم لسندهم له وثقته بهم، واستعمل في التشبيه اسم التفضيل (آنس) لمكانتهم العالية والقريبة منه.

وفي قوله: **"يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب"**[2]

اتبع هنا أسلوب التشبيه المرسل المجمل، حيث شبه عبد هذيل وهو يقرأ القرآن حاطًّا من قيمته وكأنه أغانٍ تغنّى يطرب لها السامع.

وقوله في خطبه الوعظية: **"امرؤ أخذ بعنان قلبه، كما يأخذ الرجل بخطام جمله"**

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 295/2.**
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 206/4.**

تشبيه تمثيلي، فشبه صورة المرء وهو يقود قلبه تجاه الصواب بصورة الجِمَال يقود مركوبته في الطريق السليم حتى توصله إلى برّ الأمان.

وقوله: "عذيري[1] من أهل هذه الحميراء يرمي أحدهم بالحجر إلى السماء ويقول: يكون إلى أن يقع هذا خير، والله لأجعلنهم **كالرسم الداثر**[2]، وكالأمس الغابر"[3].

وظهر التشبيه في قوله: "لأجعلنهم كالرسم الداثر"

وفي الانزياح إلى هذا التشبيه دلالات كثيرة من التخويف والزجر، فيريد الحجاج تحويل وتصيير خصومه إلى أثرٍ ممحوق كأنهم رسم على رمال الصحراء يمحوهم محوًا فلا يبقى لهم أيُّ أثر، وقد نجح التشبيه في إيصال رسالته وفكرته، وقد بلغ التشبيه مبلغًا كبيرًا من الوعيد وشدة العقاب على من تسوّل له نفسه مقارعة الحجاج وإلا مصيره كالرسم الداثر لا بقية له ولا أثر. أي من يشقّ عصا الطاعة ويُحدث الفوضى سيجعله مثل الزمن الغابر الذي كان دون عودة فصار كأن لم يكن.

وفي قول الحجاج المقتبس: " أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني"

تشبيه بليغ، فشبه نفسه بابن جلا، إذْ نسب الحجاج لنفسه بعض الصفات، فمرة يشبه نفسه بابن جلا، ومرة بصفة طلّاع الثنايا وهذه الصفات تشير إلى قوة الحجاج ودلالة ابن جلا تعني: وضوح الأمر، وهذا قول اللّيثي، وكان صاحب قتل يطلع في المغارات من ثنية الجبل على أهلها، فضربت العرب المثل بهذا البيت، فقوله: أنا ابن جلا، أي: أنا ابن الواضح الأمر المشهور، وكان ابن جلا مشهورًا عند العرب عامة وأهل

[1] العذير: العاذر والنصير، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (عذر).
[2] الرسم: والداثر: الاثر والبقية، والداثر، الدارس الممحو، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (رسم). ومادة: (دثر).
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 296/2.**

العراق خاصة ببطشه[1]. ودلالة طلاع الثنايا تعني: "مُجَرّبٌ لِلْأُمُور، رَكَّابٌ لَها، يَعْلُوها ويَقْهَرُها بِمَعْرِفَتِهِ وتَجَارِبِهِ وجَوْدَةِ رأيِهِ، والذي يَؤُمُّ مَعالِيَ الأُمُور"[2].

وفي قوله: "إذْ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها"[3] وهذا انزياح تمثل في التشبيه، حيث شبه فرار أهل العراق وهروبهم من معركة دير الجماجم خوفًا من الموت بفرار الإبل الشوارد إلى أوطانها وقد استوفى هذا التشبيه جميع أركانه، المشبه (أهل العراق)، والمشبه به (الإبل الشوارد)، ووجه الشبه هو (الفرار والهروب) وأداة التشبيه (الكاف).

وقول قتيبة: "الأعراب وما الأعراب؟ لعنة الله على الأعراب يا كناسة المصرين جمعتكم من منابت الشيح والقيصوم ومنابت القلقل[4] تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان[5]، حتى إذا جمعتكم كما **يجمع قزع الخريف**[6]، قلتم: كيت وكيت، أما والله إني لابن أبيه وأخو أخيه أما والله لأعصبنكم عصب السلمة[7]، إن حول حول الصليان الزمزمة[8]"[9].

وظهر التشبيه في قوله: "جمعتكم كما يجمع قزع الخريف"

---

[1] ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، مادة: (جلا).
[2] الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (طلع)..
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 294/2.
[4] القلقل: نبات له حب أسود، حسن الشم، وهو غير الفلفل المعروف، ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: قلقل.
[5] جزيرة ابن كاوان: جزيرة عظيمة في الخليج العربي بين عمان والبحرين وتسمى جزيرة لافت. ينظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، 153/2.
[6] قزع الخريف:
هذا تناص من حَدِيثِ عليٍّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، حِينَ ذكَر يَعْسُوبَ الدِّينِ فَقَالَ: يَجْتَمِعُونَ إليه كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قزع).
[7] هذا تناص أدبي من خطبة الحجاج التي قال فيها مهددًا أهل الكوفة وبدايتها: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا، ينظر: صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في العصور الزاهرة**، 290/2.
[8] الزمزمة: الصوت، يعني صوت الفرس إذا رآه، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (زمزم).
[9] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 309/2

وقزع الخريف: قِطَعُ السَّحَابِ؛ لأنَّه أوّلُ الشِّتَاءِ، والسَّحابُ يَكُونُ فِيهِ مُتَفَرّقاً غَيْرَ مُتَرَاكِمٍ وَلَا مُطْبِقٍ، ثمّ يَجْتَمِعُ بعضُه إِلَى بَعْضٍ بَعْدَ ذلِكَ[1].

وبعد فهم معنى (قزع الخريف) يظهر لنا التشبيه جليًا، حيث شبه فتيبة حال الناس قبل ولايته وجمعه لهم في كيان واحد بعدما كانوا متفرقين مشتتين هنا وهناك، كحال سحاب السماء المتفرق غير المتراكم

ولكن بعد احتضان فتيبة لهم صار حالهم كحال سحاب السماء عندما يتكاثف ويتكاتف فيصبح سحابة واحدة متماسكة، وهذا حال الناس قبل ذلك عندما كانوا كناسة للمصرين يعيشون في منابت الشيح والقيصوم ومنابت القلقل، وفي هذه العبارات تهديد ووعيد وتحقير للأعراب.

وقوله: "نثر كنانته بين يديه"[2] شبه الحجاج قادة عبد الملك بن مروان بالكنانة التي توضع فيها السهام أو الرماح، ووفق الحجاج باستخدام الكنانة وما يستلزمها من سهام؛ لأن القائد الذي سيتولى شؤون العراق بحاجة إلى أن يجهز نفسه بمستلزمات الحروب والمواجهة؛ لأن مهمته القضاء على الثورة.

وقوله: "فوجدني أمرها عودًا وأصلبها مكسرًا"[3] شبه الحجاج نفسه بعود السهم صلب يصعب كسره، ورشح هذا التشبيه بقوله (أصلبها مكسرًا) وهي من مستلزمات المشبه به وزاد التشبيه حسنًا بوصف العود بالمرارة وهذا الطعم لا يروق للنفس وكذلك الحجاج لا تروق ولايته لأهل العراق.

---

[1] ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: (قزع).
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 290/2.
[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 211/2.

وقوله: "لألحونكم لحو العصا"[1]

فيه تشبيه بليغ، فقد مثل الحجاج في هذه الصورة نفسه بأنه سيسلخ جلود أهل الكوفة عن أجسادهم ويعريهم كما تُنزع القشرة عن عصاها، وفي هذه الصورة يجسد تهديده لهم بشراسة، فلا يوجد أقسى على الإنسان من سلخ جلده عن جسمه وهو على قيد الحياة.

وقوله: "لأعصبنكم عصب السلمة"[2]

يشير الحجاج هنا إلى نوع آخر من عذابه لأهل العراق بصورة تشبيهية مبتكرة، فيتخيل الحجاج بأنه سيعاقبهم بعصبهم كعصب السلمة، والسلمة هي شجرة شوكية فتعصب أغصانها بأن تجمع إلى بعض وتشد معًا بحبل متين ثم تضرب بعصا فيتناثر ورقها ويتساقط ثمرها[3].

واستمد الحجاج صوره التشبيهية من بيئته الصحراوية المألوفة وهذه الصور التشبيهية يشمئز منها الإنسان فيهاب من الوالي أن ينزل عليه هذه العقوبات المهانة. وتشفّ هذه الصورة عن حكمة الحجاج في القتال فإنه يقضي على مجموعة من أعدائه بضربة واحدة دون كبير جهد.

فقد وفق الحجاج في انتقاء هذه الصورة وأجاد؛ ليجسد أمام المذنب صور العذاب وكأنها واقعة عليه، والهدف من هذه الصور المتلاحقة والمنوعة من أجل أن يزرع في نفوس العراقيين الرهبة والخوف حتى تستقيم له قناتهم.

وقوله: "فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع بما كانوا يصنعون"[4]

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 311/1.
[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 311/1.
[3] ينظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، 30/3.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 190/2.

والتناص واضح في هذا التشبيه فأخذه من قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[1]

فشبه حال أهل العراق المتمردين بأهل قرية كفر سكانها بأنعم الله فاستحقوا العذاب وهذا من أجود أنواع التشبيه فلا يستطيع المهدد أن ينكر ما سمعه؛ لأنه وارد في القرآن الكريم، وهذا يشير إلى مقدرة الحجاج في ربط سياسته بما ورد في القرآن الكريم، فهو يستحضر الآيات في موقعها. وبالتالي فإن هذه التشبيهات تؤثر في نفسية المخاطب وتترك في داخله الخوف والرعب فيتقزمون أمام المهدّد.

وفي قول أبي حمزة الشاري: "تحملون قلوبًا في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة"[2]

شبه القلوب التي في الصدور بالحجارة القاسية الصلبة فقول أبي حمزة يصف ما حلَّ بأهل المدينة من بعدٍ وإعراض عن طاعة الله ونسيانهم ما ذكروا به، وكان اختيار هذه الألفاظ واقتباسها من القرآن ملائمًا تمامًا لموضوعها.

وفي التشبيه تناص قرآني آخر مأخوذ، من قوله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[3].

"لقد شكّل القرآن الكريم بفضل فصاحته وبلاغته التي تحدى بها الله تعالى فصحاء العرب نصًّا مقدسًا ومصدرًا إعجازيًا أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعرًا ونثرًا"[4]، فمن الطبعيّ إذن

---

[1] **النحل**، 76/19.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 478/2.
[3] **البقرة**، 74/2.
[4] معاش، حياة، **التناص في تائية ابن الخلوف**، 45، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2003م-2004م.

أن يأخذ القرآن بألباب الشعراء وأن يسحرهم بأسلوبه وأن يبهرهم بفصاحته فيندفعوا إلى النهل من معينه فصاروا يصوغون آثارهم على هديه مستمدين منه ما يقوّم ألسنتهم وينمّي ذوقهم ويربي ملكات بيانهم[1].

المبحث الخامس: المجاز

والعرب كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعده من مفاخر كلامها؛ فإنه دليل الفصاحة. وأساس المجاز منبثق عن الحقيقة، لأنه لا يمكن أن يكون هناك كلام مجازي إلا إذا كان له حقيقة. إذ يشكل المجاز مجالًا مهماً في انتهاك النظام اللغوي وخرقه، والخروج به عن المألوف والتوسع فيه، وعليه فإن الدلالات المتولدة من عملية المجاز تضيف إلى اللغة آفاقًا واسعة من التعبير، وتساعدها على النمو والتطور، مما يجعل المعاجم مليئة بالمعاني والدلالات الجديدة.

وأبدأ بدراسة الانزياحات في إطار المجاز في الخطب الأموية ومن ذلك:

قول معاوية: "فلتكن الدنيا في عيونكم أصغر من حثالة القرظ"[2]

وهنا مجاز مرسل علاقته الجزئية، وعبر عن العقول والقلوب بالعين، لأنها الحاسة التي يُرى من خلالها، وبها يكشف الإنسان ما هو أمامه، فالعين لها مهام في رؤية الدنيا وما عليها وما ترتبط به هذه الحاسة من تأثيرات على العقل والقلب ولها صفات خاصة، ولهذا آثر معاوية في نصه الأعين لأنها الأقدر على رؤية الدنيا وكشفها على واقعها وإخبار العقل والقلب المضمرين عن الدنيا وحقيقتها.

وقوله:" ما أحله الله على **لسان** نبيه فهو حلال"[3] وعلاقة المجاز هنا الآلية، أي بلغة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي العربية واللسان هو آلة اللغة، وما لسانه إلا آلة نقل وتوضيح للحلال والحرام للناس كافة.

---

[1] ينظر: الفكيكي، عبد الهادي، **الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي**، 8.
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 177/4.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 204/2.

وقوله: "أيها الناس، إنكم ميتون ثم إنكم مبعوثون، ثم إنكم محاسبون"[1]

مجاز مرسل علاقة اعتبار ما سيكون، إذ دلّت الكلمات (ميتون، مبعوثون، محاسبون) على حالة مستقبلية، ورُتبت هذه الكلمات ترتيبًا زمنيًا منطقيًا ابتداءً بالموت وانتهاءً بالحساب، وهنا إشارة واضحة لا خلاف عليها بأنّ مصير الناس إلى موت وبعث وحساب أي ما سيكون عليه الناس في المستقبل وما يجري على كل الناس، فهذه هي النهاية المحتّمة التي لا نقاش فيها.

وقول زياد: "إن كذبة **المنبر** بلقاء مشهورة"[2]

مجاز مرسل علاقته المحلية، فالمنبر هو المحل والمراد أهل المنبر وهم: الخطباء والوعاظ والمدرسون.

وقوله: "ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربتُ **عنقه**"[3]

فيها انزياح على شكل مجاز مرسل علاقته الجزئية، والعنق جزء من الإنسان، ويكمن الانزياح من الكل إلى الجزء في أن ضرب العنق قد يكون هو موضع خروج الروح فيكون الموت، واستخدام عضو (العنق) هو المناسب فعندما يضرب هذا العضو بالسيف كفيل؛ لإنهاء حياة الإنسان، بخلاف ضرب اليد والرجل مثلًا لا يسببان القتل غالبًا.

وقوله: "فكفوا عني **أيديكم وألسنتكم** أكفف عنكم يدي ولساني"[4]

وهنا مجازان مرسلان علاقتهما الآلية، فاليد المراد بها البطش والضرب وهي آلته والمراد باللسان التطاول على الناس والنيل منهم بالقول وهو آلته، وخصّ اليد بالذكر؛ لأن أكثر الافعال تكون بها وأما اللسان فهو المعبّر عما في النفس وبالتعبير باللسان دون القول لطيفة فيدخل فيه من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 205/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 272/2.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 273/2.**
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 273/2.**

وكذلك بالقول البذيء وقد يقصد باليد مدلولها المعنوي، كالاستيلاء على حق الآخرين بغير حق ووضع اليد على ما ليس له به حق، وبذلك تدخل في محيط الكناية.

وقول عبد الملك: "فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك"[1]

وفيه مجازان، المجاز الأول في الوجه علاقته الجزئية، فالوجه هو الأبرز والأظهر في جسم الإنسان وبه يلقى الشخص الناس، وهو يكشف عن حالة الإنسان بالفرح أو الحزن مثلًا، إذ يمتلك الوجه الإشارات والإيحاءات التي تدلّ على حالة صاحبه، وفي اللسان مجاز مرسل علاقته الآلية فهو آلة الكلام، كما تقدم.

ومن المجاز المرسل في خطب الحجاج، قوله: "والموت في أعناقكم والنار بين أيديكم"[2]

وعلاقة المجاز الجزئية، والعنق جزء من الجسم، ولم يقل الموت في أجسادكم، وكان انزياحه لكلمة الأعناق إشارة إلى أنه مكان القتل الأكيد والحتمي.

فالعنق موضع حساس في جسم الإنسان وأدنى ضربة تهوي عليه كفيلة بالقضاء عليه، وكثرت الآيات الكريمة التي تناولت الأعناق، والعنق في القرآن الكريم ذكرت في كل المواقع لإذلال أصحاب الأعناق وإهانتهم، إما بوضع الأغلال فيها أو بضربها أو بسحب صاحبها منها.

وكذلك في قوله: (والنار بين أيديكم) مجاز مرسل علاقته الجزئية، فالمراد باليد كل الجسم، أي أن الأجسام تكون معرضة للنار، وتدخل كذلك في محيط الكناية، فبين الأيدي كناية عن أمامكم، وتفيد شمولية النار التي تأكل أبدانهم من اليد إلى الأخرى.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 198/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 301/2.**

وقول قتيبة : "فسيروا على بركة الله فإني أرجو أن يكون **خُوارزم والسغد** كالنضير وقريظة[1]"[2]

والمجاز هنا في قوله: "أن يكون خوارزم والسغد" وعلاقة المجاز المحلية وتقدير الكلام في ذلك أرجو أن يكون أهل خوارزم وأهل السغد، فأطلق المحل وأراد أهل البلاد، فالعبرة بسكان البلد لا في البلد نفسها، والنكتة من ذكر المكان هو الشمولية للمبالغة وكأن كل فرد منهم مقصود.

وقول عمر بن عبد العزيز: "قد فرغ رحمه الله وعاينتم تعجيل إخراجه وقسمة تراثه ووجهه مفقود"[3]

ووجهه مفقود مجاز مرسل علاقته الجزيئة، والمراد به كل جسده أي يكون في حالة الفقد والوداع، وقصد بذلك أن الوجه لا يغطى عند وداع الميت، يودعه الناس بقبلة على وجهه، فيكون الوجه هو الحاضر والمكشوف في الوداع لا كل الجسد.

وقوله: "وايم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقًا ذلولًا"[4]

والمجاز في "اللسان" علاقته الجزئية، والمراد به الذات كلها؛ لأن اللسان جزء من الذات، وهو الناطق لما يجول في خواطر الإنسان وما في قلبه وعقله.

وقول أبي حمزة الشاري: "ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام"[5] ففي كلمة (القيام) مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن القيام جزء من الصلاة، وعليه قوله تعالى: (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)[6]، أي صلِّ.

---

[1] السغد: هي إحدى ولايات طاجيكستان وتقع بالشمال الغربي للبلد ويشير قتيبة بن مسلم إلى غزوة السغد وخوارزم، ينظر الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 164.

[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 305/2.

[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 210/2.

[4] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 183/4.

[5] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 475/2.

[6] **المزمل**، 2/73.

المبحث السادس: المجاز العقلي

يمثل المجاز العقلي استجابة واضحة لمنطق العقل فما وافق تصورات العقل فهو حقيقة وما لم يوافق إلا بتأويل فهو مجاز وهذا ما ذكره الجرجاني: كل جملة وضعتها على أنّ الحكم المفاد بها على ما هو عليه العقل وواقع موقعه فهو حقيقة ولن تكون كذلك حتى تعرى من التأويل، أما الجملة التي أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في الفعل لضرب من التأويل فهي مجاز[1].

وبالتالي فإن المجاز العقلي واقع في الإسناد، أما طرفا الإسناد فلا دخل لهما في الحكم على الجملة بالمجاز العقلي وعدمه ففي قولنا: (أنبت الربيع البقل) نلاحظ أن التجوز في إسناد الإنبات إلى الربيع هو زمانه، أما الطرفان أنبت والربيع فهما المسند والمسند إليه فكل منهما مستعمل في معناه الحقيقي، فالمجاز العقلي واقع في الإسناد لما كان الإسناد أمرًا عقليًا.

ومن **المجاز العقلي** قول زياد: " من تركّكم الضعيف يُقهر ويؤخذ مالُه، هذه المواخير المنصوبة، والضعيفة المسلوبة في **النهار المبصر**، والعددُ غيرُ قليل، ألم يكن منكم نُهاةٌ، تمنعُ الغُوَاة عن دَلَج الليل، وغارةِ النهار؟ قربتم القرابة، وباعدتم الدين! تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيه، صنيعَ من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادًا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء"[2]

والنهار لا يبصر، وإنّ البصر حاسة متعلقة بكل ما هو حي، فوصف النهار بالإبصار والنهار لا يبصر بل الذي يبصر من يعيش فيه، والذي سوّغ هذا الوصف أن حصول الإبصار زمان الرؤية تكون في النهار، حيث أسند الإبصار للنهار وقصد به الإشراق والنور الذي تعكسه الشمس على الأرض، وإذا كان النهار مبصرًا فإن الليل لا يبصر لوجود العتمة فيه وعدم وجود الشمس في الليل، وأجاد الخطيب في الربط بين

[1] ينظر: **أسرار البلاغة**، 355.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 271/2.**

الإبصار والنهار لوجود علاقة قوية بينهما؛ لأن النهار جزء من الزمان وهو محل لوقوع الإبصار فيه، فتكون العلاقة علاقة زمانية.

وقوله: "فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء"[1]

فيها مجاز عقلي قائم على المبالغة، بمعنى الجهالة الضالة، والجهلاء توكيد للجهالة، والضلالة الباطل والعمياء الشديدة، وكلتاهما يدور فيهما المجاز العقلي مدار الجهل والعمى. حيث أسند الجهل للجهالة بعينها، وأسند العمى للضلالة فهي متخبطة لا ترى ولا ترشد صاحبها إلى المسالك الصحيحة المقبولة.

وقوله: **"إنا أصبنا في دهر عنود وزمن شديد"**[2]

فيها مجاز عقلي علاقته الزمانية، إذ أسند الدهر إلى زمان حدوث الفعل، كقولنا: نهارك صائم وليلك قائم، والنهار لا يصوم والليل لا يقوم والذي يفعل ذلك العابد إذ يصوم في نهاره ويقوم في ليله، وهذا من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه الذي وقع فيه[3].

و قول عبد الملك: "أرني الهدى"[4] والهدى لا يرى، إنما الهدى هو الإسلام وما فيه من أحكام وتشريعات، وجاء طلب طاعته بالرؤية، فاتباع الهدى لا تقتصر على الرؤية، بل الرؤية هنا الانصياع والانقياد لما جاء في هذا الهدى، والهدى فيه تنوير لوجه الإنسان وعقله وقلبه، وهنا ظهر جمال المجاز العقلي، فهذا المجاز بحاجة إلى إعمال للعقل وتدبر يبحر فيه السامع أو القارئ ويدرك مدى بلاغة النص وتوظيف الحواس وإعمالها في الجماد، حتي يبث فيه الحركة والجمال.

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 40/2.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 186/2.
[3] ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، 293.
[4] الجاحظ، **البيان والتبيين**،93/2.

وقول قتيبة بن مسلم: "ووعد نبيه ﷺ بالنصر بحديث صادق وكتاب ناطق"[1]

وتمثل المجاز العقلي هنا بمعنى مصدوق، وبمعنى منطوق، إذ أسند الصدق إلى الحديث والنطق إلى الكتاب.

كقول الحطيئة[2]:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقصدُ الشاعر: إنك دون نيل المعالي فلا تجهد نفسك بطلبها فأنت المطعوم والمكسوّ، فوضع اسم الفاعل موضع اسم المفعول على سبيل المجاز.

وقول عمر بن عبد العزيز" فإن من زافت به منيته، فقد قامت قيامته"[3]

فالعلاقة التي تربط بين قام (الفعل) والقيامة هي علاقة الفعل ومصدره، حينما يكون فاعل الفعل مصدره، فعلاقة المجاز هنا المصدرية، مثل جنّ جنونه.

وقوله: "وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق"[4]

مجاز عقلي أي يُساق، علاقته المفعولية، إذ أسند الفعل (يسوق) إلى الميت، والميت لا يسوق بل يُساق.

وقوله: "وذكره منسي وبابه مهجور"[5]

وتمثل المجاز العقلي بمعنى هو المنسي، إذ أسند الذكر إلى اسم المفعول (منسي)، والذكر لا يكون منسيًّا بل صاحب الذكر.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 304/2.**
[2] **الديوان، 86.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 206/2.**
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 210/2.**
[5] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 210/2.**

وكذلك في قوله: بابه مهجور، والذي يُهجر في الواقع البيت لا بابه.

يتضح من المجازات العقلية قول القزويني: "وللفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب"[1]

وقول أبي حمزة الشاري: "نبت به داره، وضاق به قراره"[2] وتمثل المجاز العقلي في الجملتين.

فالدار نبت أي منبوّة والقرار ضاق فهو مضيق فعلاقة المجاز المفعولية.

المبحث السابع: الانزياح المعجمي

وقد ورد الانزياح المعجمي في ألفاظ مترادفة لكنّ لكل لفظة منها دلالة مرتبطة بخصوصية تعبيرية تتفق تمامًا مع ما قبلها وبعدها.

ومنها ما ورد في خطبة الخليفة عمر بن عبد العزيز قوله: "إنما الناس في الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا، وهم فيها نهب للمصائب، مع كل **جرعة شرق**، وفي كل **أكلة غصص**، ولا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر معمر يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله"[3].

فكلام عمر -رضي الله عنه- عن المنايا والموت وإن للموت أهدافًا هم الناس سواء بالشرق أو بالغصة، إذ إنه ألصقَ كلمة الشرق بالجرعة والجرعة تكون مع الشراب وألصق كلمة الغصص بالأكلة والغصة لا تكون إلا مع الأكل.

---

[1] **الإيضاح في علوم البلاغة**، 22.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 478/2.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 202/2.

الغُصَّةُ، بالضَّمّ، جمعها: غُصَصٌ، كَمَا فِي الصّحاح. قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ)[1] قَالَ ابنُ دُرَيْدٍ: الغُصَّةُ: مَا اعْتَرَض فِي الحَلْقِ وأَشْرَقَ. وقَال بَعْضُ فُقَهَاءِ اللُّغَةِ: غَصَّ بالطَّعَامِ، وشَرِقَ بالشَّراب[2].

وهنا ظهرت قدرة عمر في توظيف معنى كل لفظة في المكان المناسب، وربط الكلمة مع دلالتها الخاصة.

ومن تلك المواطن للانزياح المعجمي ما ورد أيضًا في قول عمر بن عبد العزيز: " من وصل أخاه بنصيحة له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه، فاتقوا الله فإنها **نصيحة** لكم في دينكم، فاقبلوها، **وموعظة** منجية في العواقب، فالزموها، الرزق مقسوم، فلن يعدو المؤمن ما قسم له، فأجملوا في الطلب، فإن في **القنوع سعة، وبُلْغَةً، وكفافًا"**[3].

اختار الخليفة عمر بن عبد العزيز لفظة (النصيحة) وربطها بتقوى الله -عزَّ وجلَّ- وهي من صلب ديننا، وعليها يقوم الدين وبها يدخل الناس الجنة ويزحزحون عن النار، واختار لفظة (الموعظة) وعطفها على التقوى ولكنه ربطها بالنجاة من العواقب أي العقاب والحساب، وما سيؤول إليه الناس إلى جنة أو نار.

ولفظة النصيحة تتفق مع لفظة الموعظة في الدلالة لكنَّ لكلٍّ منهما سرًّا مرتبطًا بما قبلهما وما بعدهما.

لقد ذكر فقهاء اللغة الفرق بين الموعظة والنصيحة وبين الإرشاد والتوجيه وغيرها من الألفاظ. إلا أننا سنفرّق بين الموعظة والنصيحة وارتباطهما بالسياق.

يقال: نَصَحْتُ لَهُ نَصيحتي نُصُوحاً، أَي أَخلَصْتُ وصَدَقْت، النَّصِيحَة كلمةٌ يُعبَّر بهَا عَن جُملةٍ، هِيَ إرادة الخير للمَنصوح لَهُ، وَلَيْسَ يُمْكن أَن يُعبَّر عَن هذا المعنَى بكلمةٍ وَاحِدَة تَجمَع مَعنى غَيرهَا. وَقَالَ الخَطّابيّ: النَّصِيحَةُ كلمةٌ جامعةٌ معنَاهَا حِيازةُ الحَظّ للمَنصوح لَهُ. قَالَ: وَيُقَال هُوَ من وَجِيزِ الأَسماءِ ومختَصَر الكلامِ، وأَنّه لَيْسَ فِي كَلَام الْعَرَب كلمةٌ مُفْردَة تُسْتَوفَى بهَا العِبَارَة عَن معنَى هذه الكَلمة. وَفِي شَرْح الفصيح للَّبْليّ:

---

[1] **المزمل، 13/73.**

[2] ينظر: الجوهري، مادة: (غصَصَ).

[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 210/2.**

النّصيحة: الإرشادُ إلى مَا فِيهِ صَلاحُ المنصوحِ لَهُ، وَلَا تكون إلاّ قَولاً، والنَّصِيحة كلمةٌ جَامعَةٌ، مُشتقَّة من مادّة نصح الْمَوْضُوعَة لمعنيَينِ: أَحدهما الخُلوص والنّقَاء، وَالثَّانِي الالْتئامُ والرّفَاءُ[1].

والموعظة عند الخليل: "هو التّذكير بالخير فيما يرقّ له القلب"[2]، قال تعالى: " يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "[3].

وفي اللسان: "النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: هُوَ تَذْكِيرُكَ للإنسان بِمَا يُلَيّن قلبَه مِنْ ثَوَابٍ وعِقاب"[4].

نجد كل لفظة واءمت ما قبل، وهذا يدل على الربط المحكم في اختيار الألفاظ ودمجها في سياقيها دمجًا يقودنا إلى إدراك المغزى من وضع النصيحة في سياق الدين، ووضع الموعظة في سياق النجاة من العواقب، وهذا مطابق لما جاء في تعريف النصيحة وتعريف الموعظة في أمّات المعاجم اللغوية.

وفي الخطبة ذاتها وردت كلمات بينها ترداف لكن التفاوت في الدلالة وارد والألفاظ هي:

"فإنَّ القنوع **سَعَة وبُلْغة وكفافًا**"

فالسعة: "تقال في الأمكنة، وفي الحال"[5]، ووسع "كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضِّيقِ وَالْعُسْر. يُقَالُ وَسُعَ الشَّيْءُ وَاتَّسَعَ. وَالْوُسْعُ: الْغِنَى. وَاللَّهُ الْوَاسِعُ أَيِ الْغَنِيُّ"[6].

وهي نقيض الضيق، ويقال وسِع الشيءُ الشيءَ - حمله فَلم يَضِقْ عَنهُ وَإِنَّهُ لَذو سَعَة فِي عيشه وتوسِعة[7].

---

[1] ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مادة:(نصح).
[2] **العين**، مادة (زجر).
[3] **النحل**، 90/16.
[4] ابن منظور، مادة:(وعظ).
[5] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، 870.
[6] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 109/6.
[7] ينظر: ابن سيده، **المخصص**، 341/3.

وأما البُلغة: فهي ما يكتفى به من العيش، وما يُستصلَح بها العيش[1]

والكفاف: يُقَالُ نفقَتُه الكَفَافُ أَيْ لَيْسَ فِيهَا فَضْلٌ إنما عِنْدَهُ مَا يكُفُّه عَنِ النَّاسِ[2].

لقد نوَّع عمر بن عبد العزيز في المترادفات وهذا يدل على قدرته الفائقة في كيفية تنوع الألفاظ وربطها بما سبقها، فربط السعة والبلغة والكفاف بالقناعة، ولكل لفظ دلالته الخاصة، وكل لفظ منهم كمَّل الآخر، وكأنه عرَّف القناعة لكن بانزياحات لغوية وصلت إلى ثلاثة ألفاظ، وكل لفظة لها مغزاها الخاص وتخدم معنى القناعة، فالقناعة تكون بالغنى، والاكتفاء بما يمتلكه الإنسان ولا حاجة له أن يلجأ لغيره فالقنوع عنده سعة وبلغة وكفاف.

وفي قول عمر بن عبد العزيز: " أَيهَا النَّاس **إِنَّكُم لم تخلقوا عَبَثا وَلم تتركوا سدى** وَإِنَّكُمْ لكم معاد ينزل الله تبَارك وَتَعَالَى للْحكم فِيهِ والفصل بَيْنكُم **فخاب وخسر** من خرج من رَحْمَة الله الَّتِي وسعت كل شَيْء وَحرم الْجنَّة الَّتِي عرضهَا السَّمَوَات وَالْأَرْض أَلا ترَوْنَ أَنكُمْ فِي أسلاب الهالكين، وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين.ثم أنتم في كل يوم تشيّعون غاديا ورائحا إلى الله، قد **قضى نحبه وبلغ أجله،** ثم تغيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير موسّد ولا ممهّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وباشر التراب، وواجه الحساب، غنيا عما ترك، فقيرا إلى ما قدّم "[3].

من مواطن الانزياح المعجمي قول عمر بن عبد العزيز: "إنكم لم تخلقوا **عبثًا**، ولم تتركوا **سدى**

[1] ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (بلغ).
[2] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (كفف).
[3] ابن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، 42.

والعبث: أن يخلط بعمله لعبًا[1]، وعند ابن فارس "الْعَبَثُ، هُوَ الْفِعْلُ لَا يُفْعَلُ عَلَى اسْتِوَاءٍ وَخُلُوصِ صَوَابٍ. تَقُولُ: عَبِثَ يَعْبَثُ عَبَثًا، وَهُوَ عَابِثٌ بِمَا لَا يَعْنِيهِ وَلَيْسَ مِنْ بَالِهِ"[2]، وعند أبي هلال العسكري "مَا خلا من الإرادات إِلَّا إِرَادَة حُدُوثه فَقَط وَاللَّهْو واللعب يَتَنَاوَلهَا غير إِرَادَة حدوثهما إِرَادَة وَقعا بهَا لهوا وَلَعِبًا"[3].

ويقال: وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)[4] أَيْ مُهْمَلًا لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى[5]

وفي لسان العرب "وَمَا تَرَكَ اللَّهُ النَّاسَ هَمَلًا أَي سُدًى بِلَا ثوابٍ وَلَا عِقاب، وَقِيلَ: لَمْ يَتْرُكْهُمْ سُدى بِلَا أَمر وَلَا نَهْيٍ وَلَا بَيَانٍ لِمَا يَحْتَاجُونَ إِليه"[6].

فالعبث مرتبط بالخلق والسدى بالترك، وبالعودة لتعريف العبث والسدى، نجد الفرق بالارتباط في كلمة الخلق والترك، وهذه في أصلها آية قرآنية، وهنا سبب الخلق وهو عكس العبث واللهو واللعب، ومراحل ما بعد الخلق هل يترك الناس سدى؟ أي يكون الناس هملًا لا ثواب لهم ولا عقاب ولا نهاية! فالمعاني والمقاصد هي سيدة الألفاظ والألفاظ بدورها تخدم المعاني.

وأيضًا: **"فخاب وخسر"**، خاب من الخيبة، وهي: "فوات الطلب"[7]، وعند ابن فارس "(الحرمان) ، من خاب (يخيب) ، إذا لم ينل ما طلب"[8]، والخيبة لا تكون إلا بعد الأمل، لأنها امتناع نيل ما أُمِل[9].

---

[1] ينظر: الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، 543.
[2] **مقاييس اللغة**، 205/4.
[3] **الفروق اللغوية**، 254.
[4] القيامة، 75/ 36.
[5] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 150/3.
[6] ابن منظور، مادة: (سدا).
[7] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، 300.
[8] **مجمل اللغة**، 308.
[9] ينظر: العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، 245.

والخسران أو الخسارة: هي النقص، ويقال خسرتُ الميزان وأخسرته إذا نقصته[1]، وفي اللسان: "خسر: خَسِرَ خَسِرَ خَسَرَ خَسْراً. وخَسَراً وخُسْراناً وخَسَارَةً وخَسَاراً، فَهُوَ خاسِر وخَسِرٌ، كُلُّهُ: ضَلَّ. والخَسَار والخَسارة والخَيْسَرَى: الضَّلَالُ وَالْهَلَاكُ"[2].

وهنا تظهر فروق دقيقة في الألفاظ التي يُعتقد أنها مترادفة، ولكن وجود لفظين معًا في جملة ما، يدعم بعضهما في الدلالة وتأدية المعنى. والخيبة والخسران نتيجة حتمية تقودان إلى النقص والحرمان والهلاك...

ولو ذكر الخطيب فعلًا واحدًا دون الآخر لكن خطابه أضعف؛ لأنهما يكملان بعضهما ويحملان دلالات كثيرة تجعل المتلقي يبحر في المعاني الكثيرة المنبثقة عنهما.

وقوله: :ثم أنتم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا"

في كلمة (غاديًا): "الْغَيْنُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى زَمَانٍ. مِنْ ذَلِكَ الْغُدُوُّ، يُقَالُ غَدَا يَغْدُو. وَالْغُدْوَةُ وَالْغَدَاةُ، وَجَمْعُ الْغُدْوَةِ غُدًى، وَجَمْعُ الْغَدَاةِ غَدَوَاتٌ. وَالْغَادِيَةُ: سَحَابَةٌ تَنْشَأُ صَبَاحًا. وَأَفْعَلُ ذَلِكَ غَدًا وَالْأَصْلُ غَدْوًا"[3].

والغدوة ما بين صلاة الغداة أي الفجر، وطلوع الشمس، وغدًا ظرف، والأصل عند سيبويه غدو[4].

[1] ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**،182/2.
[2] ابن منظور، مادة:(خسر).
[3] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 415/4.
[4] ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، 12/3.

قال لبيد بن ربيعة[1]:

ومَا النّاسُ إلاّ كالدّيارِ وأهْلها بِها يَوْمَ حَلُّوها وغَدْواً بَلاقِعُ

وقوله تعالى: " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ "[2].

جاء في البحر المحيط في التفسير: "وَالرَّغْبَةِ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ كِنَايَةٌ عَنِ الزَّمَانِ الدَّائِمِ وَلَا يُرَادُ بِهِمَا خُصُوصُ زَمَانِهِمَا كَمَا تَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا تُرِيدُ فِي كُلِّ حَالٍ فَكَنى بِالْغَدَاةِ عَنِ النَّهَارِ وَبِالْعَشِيِّ عَنِ اللَّيْلِ"[3].

وكلمة (رائحًا):

"(الرَّوَاحُ) ضِدُّ الصَّبَاحِ وَهُوَ اسْمٌ لِلْوَقْتِ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى اللَّيْلِ وَهُوَ أَيْضًا مَصْدَرُ رَاحَ يَرُوحُ ضِدُّ غَدَا يَغْدُو. وَسَرَحَتِ الْمَاشِيَةُ بِالْغَدَاةِ وَ (رَاحَتْ) بِالْعَشِيِّ تَرُوحُ (رَوَاحًا) أَيْ رَجَعَتْ"[4].

"ورَاحَ يَرُوحُ رَوَاحًا وَتَرَوَّحَ مِثْلُهُ يَكُونُ بِمَعْنَى الْغُدُوِّ وَبِمَعْنَى الرُّجُوعِ وَقَدْ طَابَقَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْله تَعَالَى "غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ"[5] أَيْ ذَهَابُهَا وَرُجُوعُهَا وَقَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الرَّوَاحَ لَا يَكُونُ إلَّا فِي آخِرِ النَّهَارِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ الرَّوَاحُ وَالْغُدُوُّ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسْتَعْمَلَانِ فِي الْمَسِيرِ أَيَّ وَقْتٍ كَانَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ"[6].

وراح الرجل يروح رواحًا إذا خرج عشاءً[7]. وبربط معاني الكلمتين (غاديًا ورائحًا) في سياقهما وبعد العودة العودة إلى معانيهما نجد أن الدلالة واحدة، لكن حال الوقت يختلف بين الصباح والمساء، والذي يجمع الغدو والرواح النهار والليل أي الصباح والمساء، وقوله: (أنتم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله)، فيه دلالة على استمرار الفعل.

---

[1] **الديوان**: 56.
[2] **الكهف**، 28/18.
[3] الأندلسي، أبو حيان، 521/4.
[4] الرازي، زين الدين، **مختار الصحاح**، 131/1.
[5] **سبأ**، 12/34.
[6] الحموي، أبو العباس، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، 242/1.
[7] ينظر: العسكري، أبو هلال، **التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء**، 265.

وفي قول عمر بن عبد العزيز: **"قد قضى نحبه، وبلغ أجله"**

والنحب: "النَّذْر المحكوم بوجوبه، يقال: قضى فلان نَحْبَهُ. أي: وَفَى بنذره"[1]، والنحب هو النّذر ما يَنْذِرُه (يَنْذُرُه) الإنسان فَيَجْعَلُهُ عَلَى نَفْسِهِ نَحْباً وَاجِبًا[2].

والأجل: "مدة الشيء"[3]، وقيل الْوَقْت الْمَضْرُوب لانقضاء الشَّيْء، وَأجل الْإِنْسَان هُوَ الْوَقْت لانقضاء عمره، وَأجل الْمَوْت وَقت حُلُوله[4]، وفي تاج العروس: غايَةُ الوَقْتِ فِي المَوْتِ، وقيل المُدَّةُ المَضْرُوبَةُ لحَياةِ الإنْسانِ[5].

وبربط النحب بالقضاء وبالعودة لتعريف النحب نجد الدقة والعناية في اختيار الألفاظ ومواءمتها لما قبلها أي تطابقها التام في تأدية وظيفة معنى اللفظ، وبما أن النحب مرتبط بالنذر فعلى الناذر أن يقضي هذا النذر حتى يوفى بنذره وقضائه، والأجل المرتبط بمدة من الزمن ويحتاج إلى بلوغ، فالمتلقي قدر يرى بنية سطحية عند قراءة النحب والأجل وقد لا يقف على الفروقات العميقة والدقيقة بينهما، وهنا جمالية سر الانزياحات في الألفاظ.

وفي قوله: **"ثم تغيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير موسّد ولا ممهد"**

جاء في لسان العرب عن كلمة (موسد) "غير مكرّم ولا مكفن"[6]، وجاء في تاج العروس عن كلمة (ممهد): "تَمْهِيدُ (العُذر: بَسْطُهُ وقَبُولُه)، وَقد مَهَّدَ لَهُ العُذْرَ تَمْهِيداً: قَبِلَه"[7].

أي أن الميت غير مكرم بالكفن وغير مقبول عند رب العالمين.

---

[1] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**،793.
[2] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: نحب.
[3] ابن فارس، **مجمل اللغة**، 88.
[4] ينظر: أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، 273.
[5] ينظر: الزبيدي، مادة: أجل.
[6] ابن منظور، مادة (وسد).
[7] الزبيدي، مادة: (مهد).

وفي بعض خطب زياد بن أبيه، ورد الانزياح المعجمي، ومن أمثلته:

"ومَنْ **نقبَ** بيتًا، نقبنا بيته، ومَنْ **نبشَ** قبرًا دفناه حيًّا فيه"[1].

والتنقيب: يَدُلُّ عَلَى فَتْحٍ فِي شَيْءٍ. وَنَقَبَ الْحَائِطَ يَنْقُبُهُ نَقْبًا. والنَّقْبُ: الثَّقْبُ فِي أَيِّ شيءٍ كَانَ، ويقال نقَّب عن الأخبار: بحث عنها وأَخْبَرَ بِها. وَفِي الحَدِيث: (إِنِّي لمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَن قُلُوب النّاس)[2] أَي: أُفَتِّشَ، وأَكْشِفَ[3].

والنبش: نقول: "نَبَشَ يَنْبُشُ: وَهُوَ الْحَفْرُ بِالْيَدِ نَبَشَ الشَّيْءَ يَنْبُشُه نَبْشاً: اسْتَخْرَجَهُ بَعْدَ الدَّفْن، ونَبْشُ الْمَوْتَى: استخراجُهم، والنبَّاشُ: الفاعلُ لِذَلِكَ، وحِرْفَتُه النِّباشةُ. والنَّبْشُ: نَبْشُك عَنِ الْمَيِّتِ وَعَنْ كُلِّ دَفِين"[4]. وهي "كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِبْرَاز شَيْءٍ مَسْتُورٍ"[5].

والبيت ليس بحاجة إلى حفر حتى يضع الخطيب قبله "نبش" فالنبش غير التنقيب وإن كانا يتفقان ظاهرًا، ولكن كل واحدة منهما توضع في سياق خاص ومناسب للمعنى المنوط.

فالبيت يُفتش ويكشف ما به عن طريق التنقيب ولا يحتاج عند تفتيشه إلى حفر أو نبش، وأما القبر فهو مرتبط بالتراب والدفن والكشف عن التراب يكون بالحفر والنبش. وهذه عناية خاصة في اختيار الألفاظ ووضعها في المكان المحدد من الجملة.

---

[1] الطبري، **تاريخ الطبري**، 220/5.
[2] **صحيح مسلم**، 2/ 74.
[3] ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: (نقب).
[4] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة:(نبش).
[5] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 380.

وفي قوله:

"ونذود عنكم بفيء الله الذي **خوّلنا**، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما **ولينا**"[1].

التخويل: إِعْطَاء الخول يُقَال: خَوْلَة غذا جعل لَهُ خولا، وَقيل: أصل التخويل الإرعاء، يُقَال: أخوله إِبِله إِذا استرعاه إِيَّاهَا فَكثر حَتَّى جعل كل هبة وعطية تخويلا كَأَنَّهُ جعل لَهُ من ذَلِك مَا يرعاه[2]، والتَّخْوِيل هُوَ التَّمْلِيكُ؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: والخَوَل مَا أَعطى اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الإنسانَ مِنَ النِّعَم، وَقِيلَ: مِنَ الرّعاية؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ أبي هُرَيْرَةَ: "إِذا بَلَغَ بَنُو الْعَاصِ ثَلَاثِينَ كَانَ عِبَاد اللَّهِ خَوَلًا"[3] أي خَدَماً وَعَبِيدًا، يَعْنِي أَنهم يَسْتَخْدِمُونَهُمْ وَيَسْتَعْبِدُونَهُمْ. واسْتَخْوَل فِي بَنِي فُلَانٍ: اتَّخَذَهُمْ خَوَلًا. وخَوَّلَهُ المالَ: أَعْطاه إِياه، وَقِيلَ أَعطاه إِياه تَفَضُّلًا[4].

الولاية: تولّي الأمر، كل من ولي شَيْئًا من عمل السُّلْطَان فَهُوَ وَال فَالْقَاضِي وَال والْأَمِير وَال وَالْعَامِل وَالٍ[5]. "وقيلَ: الوِلايَةُ، بالكَسْر، الخُطَّةُ والإمارَةُ؛ ونَصّ المُحْكم: كالإمارَةِ. وقَالَ ابنُ السِّكِّيت: الوِلايَةُ، بالكسْر، السُّلْطانُ"[6].

فالتولية تختلف عن التخويل، فالتخويل مرتبط بالرعاية ومن معانيه التمليك، والمملك والمخول في رعاية الناس هو الله تعالى؛ لأن المخول يرعى الناس بحكم الله وتشريعاته كالفيء مثلًا، والفيء بحاجة إلى تقسيم ومقسِّم ومرتبط بالأمانة فهو من حقوق العباد وهي في عنق الحاكم.

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 42/2.
[2] ينظر: العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، 176/1.
[3] ابن حنبل، **مسند أحمد**، 280/18.
[4] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (خول).
[5] ينظر: العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، 189/1.
[6] الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: (وليَ).

والولاية من خلال دلالاتها هي أعم من التخويل؛ لأنها مرتبطة بالسلطان، وتهتم بشؤون جميع العباد وتسيير مصالحهم، وقد ربطها الخطيب بالعدل، وتكون الولاية باختيار الأمة لحاكمها حتى يسوسها بالعدل والحق.

وفي خطب قتيبة بن مسلم الباهلي:

في قوله: "وكان وكيع[1] رجلًا عظيم **الكبْر**، وفي أنفه **خنزوانة**، وفي رأسه **نُعرة**"[2]

والكبْر: "الْعَظَمَةُ، وَكَذَلِكَ الْكِبْرِيَاءُ. وَيُقَالُ: "وَرِثُوا الْمَجْدَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ"[3]، أَيْ كَبِيرًا عَنْ كَبِيرٍ فِي الشَّرَفِ وَالْعِزّ. وَعَلَتْ فُلَانًا كَبْرَةٌ، إِذَا كَبِرَ. وَيُقَالُ: أَكْبَرْتُ الشَّيْءَ: اسْتَعْظَمْتُهُ"[4]، وعند أبي الهلال العكسري: "هُوَ إِظْهَار عَظِيم الشَّأْن وَهُوَ فِي صِفَات الله تَعَالَى مدح؛ لِأَن شَأْنه عَظِيم وَفِي صفاتنا ذمّ؛ لأن شَأْننَا صَغِير"[5].

وهي أيضًا: "إِظْهَار عظم الشَّأْن وَهُوَ فِينَا خَاصَّة رفع النَّفس فَوق الِاسْتِحْقَاق"[6].

والخنزوانة: هِيَ أَن يشمخ أَنفه من الْكبر وَيفتح منخره وَلِهَذَا يُقَال: فِي أَنفه خنزوانة، وَيُقَال أَيْضا فِي رَأسه خنزوانه إِذا مَال رَأسه من الْكبر وَشبهَا بأمالة أَنفه[7].

والنُعرة: "بالضم وهي الخيشوم"[8] أي مكانها الأنف. "والنُّعَرَة، كهُمَزَة: الخُيَلاءُ والكِبْرُ، ومنه قولهم: قولهم: إنّ فِي رَأْسِه نُعَرَةً. وَيُقَال: لأُطَيرَنَّ نُعَرَتَك أَي كِبْرَك وجهلَكَ من رَأْسِك. وَالْأَصْل فِيهِ أنّ الْحمار إِذا نَعَرَ رَكِبَ رَأْسَه، فَيُقَال لكلّ من رَكِبَ رَأْسَه: فِيهِ نُعَرَةٌ"[9].

---

[1] هو القَاضِي وَكِيع مُحَمَّد بن خلف بن حَيَّان بن صَدَقَة أَبُو بكر الضَّبِّيّ القَاضِي الْمَعْرُوف بوكيع كَانَ عرافاً بالسير وَأَيَّام النَّاس صنف عدَّة كتب وَولي قَضَاء كور الأهواز وَتُوفِّي سنة سِتّ وَثلاثمائة في بغداد. الصفدي، صلاح الدين، **الوافي بالوفيات**، 37/3.

[2] صفوت، أحمد زكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 312/2.

[3] البغدادي، عبد القادر، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، 123/10.

[4] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 154/5.

[5] **الفروق اللغوية**، 246/1.

[6] العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، 247/1.

[7] ينظر: العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، 248/1.

[8] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة: (نعر).

[9] الزبيدي، **تاج العروس**، مادة:(نعرَ).

وبالنظر في تعريف كل من الكبر والخنزوانة والنعرة في المعاجم نجد الفروق الواضحة، ونجد قدرة ودقة في ربط كل لفظ مع ما يلائمه داخل سياق يؤدي المعني بطريقة جليّة. فالكبر خاص بحركات الجسم كاملة وصفات المعظم لنفسه، والخنزوانة خاصة بالأنف وهو رمز الكبرياء، والنعرة كذلك في الرأس، وهذا إن دلّ فإنما يدل على دراية الخطيب بألفاظ العرب ووضع كل لفظ في مكانه الخاص والمناسب.

في قوله: "مَنْ كان في يديه شيءٌ من مال عبد الله بن خازم[1] **فلينبذه**، وإنْ كان في فيه **فليلفظه**"[2].

والنبذ: "إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به"[3]، أي "يَدُلُّ عَلَى طَرْحٍ وَإِلْقَاءٍ. وَنَبَذْتُ الشَّيْءَ أَنْبِذُهُ نَبْذًا: أَلْقَيْتُهُ مِنْ يَدِي"[4]، وعند أبي هلال العسكري: "اسْم لإلقاء الشَّيْء استهانة بِهِ وَإِظْهَار للاستغناء عَنهُ"[5] قَالَ تَعَالَى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)[6].

و"اللَّفْظُ: أَن تَرْمِي بِشَيْءٍ كَانَ فِي فِيكَ، وَالْفِعْلُ لَفَظ الشيءَ. يُقَالُ: لفَظْتُ الشَّيْءَ مِنْ فَمِي أَلفِظُه لَفْظاً رَمَيْتُهُ، وَذَلِكَ الشَّيْءُ لُفاظةٌ؛ قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ يَصِفُ حِمَارًا:

يُوارِدُ مَجْهُولاتِ كلِّ خَمِيلةٍ، يَمُجُّ لُفاظَ البقْلِ فِي كلِّ مَشْرَبِ[7]

قَالَ ابْنُ بَرّيٍّ: وَاسْمُ ذَلِكَ المَلْفوظ لُفاظة ولُفاظ ولَفِيظٌ ولفْظ. وقال ابْنُ سِيدَهْ: لَفَظ الشيءَ وَبِالشَّيْءِ يَلْفِظُ لَفْظاً، فَهُوَ مَلْفُوظ ولَفِيظ: رَمَى. وَالدُّنْيَا لافِظة تَلفِظ بِمَنْ فِيهَا إِلى الْآخِرَةِ أَي تَرْمِي بِهِمْ. والأَرض تلفِظ الْمَيِّتَ إِذا لَمْ

---

[1] وَهُوَ ابْنُ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْتِ ابْنُ أَخِي عَمْرِو بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْتِ، وَلِيَ خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَبَعَثَ بِرَأْسِ ابْنِ الزُّبَيْرِ إِلَيْهِ، وَلَا صُحْبَةَ صُحْبَةَ لَهُ، وَفَتَحَ عَلَى يَدِهِ سَرَخْسَ، ذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ أَدْرَكَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. الأصبهاني، أبو نعيم، **معرفة الصحابة**، 163/3.

[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 74/2.

[3] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، 788.

[4] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 380/5.

[5] **الفروق اللغوية**، 297

6 آل عمران، 187/3.

[7] **الديوان**، 76.

تَقْبَلُهُ ورمَتْ بِهِ. وَالْبَحْرُ يلفِظ الشَّيْءَ: يَرمي بِهِ إِلى السَّاحِلِ يلفِظ بِمَا فِي جَوْفِه إِلى الشُّطوط. وَفِي الْحَدِيثِ: ويَبْقى فِي كُلِّ أَرض شِرارُ أَهلِها تَلفِظُهم أَرَضُوهم، أَي تَقْذِفُهم وترْمِيهم مِنْ لفَظ الشيءَ إِذا رَماه"[1].

وجاء في المفردات في غريب القرآن: " اللَّفْظُ بالكلام مستعار من: لَفْظِ الشيء من الفم، ولَفْظِ الرّحى الدّقيق، ومنه سمّي الدّيك اللَّافِظَةَ، لطرحه بعض ما يلتقطه للدّجاج"[2].

وفي **خطب الحجاج بن يوسف الثقفي**:

قوله:" حيث رمتم **المكر**، وسعيتم **بالغدر**"[3]

والمكر: الاحتيال والخداع[4]، ولا يكون إلا مع تدبر وفكر[5].

الغدر: "الإخلال بالشيء وتركه، والْغَدْرُ يقال لترك العهد"[6]. وهو ضد الوفاء والإخلال بالشيء وتركه[7].

ورام المكر أي رغب فيه وأراده، وهو بحاجة إلى تخطيط وتفكير وتجهيز. ولكن الغدر شيء حاصل ومستمر ويتضاعف وله درجاته، ونفهم من الفروقات بين المكر والغدر، أن المكر يسبق الغدر، فمن الدقة لم يقل رمتم الغدر وسعيتم بالمكر، فللمكر وضعه وحالته وكذلك الغدر، والكلمة التي تسبق اللفظ لها أهمية في تحديد وجهة المترادف وحالته الدلالية وخدمته للمعنى المراد.

---

[1] **لسان العرب**، مادة: (لفظ).
[2] الأصفهاني، الراغب، 744.
[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 94/2.
[4] ينظر: ابن فارس، **مجمل اللغة**، 383/1.
[5] ينظر: العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، 259.
[6] الأصفهاني، الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، 602.
[7] الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: (غدر).

وقوله: "إني **أنذر** ثم لا أنظر، **وأحذر** ثم لا أعذر"[1]

وأصل الإنذار الإعلام[2]، وهو تخويف مَعَ إعْلَام مَوضِع المخافة[3].

وأما التحذير فمن الحذر وهو: الخيفة وقيل: الاحتراز والتحرّز، والاستعداد والتأهّب[4].

وبالربط مع السياق العام نجد كذلك الدقة في إحكام وضع الألفاظ في غرضها الدلالي المقصود.

نجد الحجاج ينذر أي يعلم مع التخويف، ولا ينذر بعدها ولا ينظر، ويحذر وهو في حالة الاستعداد والتأهب لتنفيذ العقوبات، والإنذار يسبق التحذير وفي اللفظيتن تفاوت في المعنى من حيث من يسبق من ولكل لفظ حالته ووضعه الخاص.

[1] صفوت، أحمد زكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 292/2.**
[2] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (نذر).
[3] ينظر: العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، 242.
[4] ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: (حذر).

الفصل الثالث: تجليات الانزياح التركيبي

المبحث الأول: الحذف

المبحث الثاني: التقديم والتأخير

المبحث الثالث: الالتفات

المبحث الأول: الحذف

أولًا: حذف الحرف

يقع حذف الحرف في جميع عناصر الكلمة والحرف ما دلّ على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفك من اسم وفعل يصحبه[1]، والحروف تدخل على الكلام لضرب من الاختصار، وإذا كانت الحروف نوائب عما هو أكثر منها من الجمل وغيرها لم يجز أن تنتهكها وتجحف بها بحذفها[2].

وجاء حذف الحرف على ضربين: حذف حرف في الكلمة نفسها نحو قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ "[3]. حذف النون علامة الجزم. أما الحذف الآخر حذف حروف المعاني ومنها حروف الخفض، وحرف النداء، و واو القسم[4]...

وقد ورد حذف بعض الحروف في الخطب الأموية ومنها:

1 . حروف الجر

ذكر النحويون أنه يجوز حذف حرف الجر، وبقاء عمله في مواضع قياسية قليلة[5]، ويحذف حرف الجر سماعًا، فينتصب المجرور بعد حذفه تشبيهًا له بالمفعول ويسمى في تعبير القدامى المنصوب على نزع الخافض أي: الاسم الذي نصب بسبب حذف حرف الجر[6].

---

[1] ينظر: ابن يعيش، **شرح المفصل**، 2/8.
[2] ينظر: السيوطي، **الأشباه والنظائر**، 67/1.
[3] **النور**، 24/21.
[4] ينظر: ابن الشجري، **الأمالي**، 128/2.
[5] ينظر: الغلاييني، مصطفى، **جامع الدروس العربية**، 193/3-195.
[6] ينظر: صافي، محمود، **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**، 83/1.

وورد حذف حرف الجر في الخطب الأموية في المواضع الآتية:

قول **معاوية بن أبي سفيان**: "فاقبلوا مني بعضه"[1] أي ببعضه.

وقوله: "فإنها تفسد المعيشة"[2] أي على المعيشة.

وقوله: "وزخرف نفسه للأمانة"[3] أي من نفسه.

وقول **يزيد بن معاوية**: "ثم قطعه حين أراد أن يقطعه"[4] أي بأن يقطعه.

وقوله: "إذا كره الله شيئًا غيّره"[5] أي من شيءٍ.

وفي قول **عبد الملك بن مروان**: "واستديموا النعمة"[6] أي على النعمة.

وقوله: "فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدًا"[7] أي بأنكم لا تحبوننا.

وفي قول **عمر بن عبد العزيز**: "إنه ليس بعد نبيكم ﷺ نبي"[8] أي من نبي.

وقوله: "فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرار عليه"[9]

وفيها حذف أكثر من حرف من حروف الجر، مثل: هي كالخطايا المطوقة، وإن الهلاك كل الهلاك بالإصرار عليه.

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/4.
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/4.
[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 39/2.
[4] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**،177/4.
[5] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 177/4.
[6] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 194/2.
[7] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 196/2.
[8] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 90/3.
[9] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 208/2.

وفي قول **زياد بن أبيه**: "ولكن أشكل الأمر"[1] أي في الأمر.

وقوله في خطبته (البتراء): "كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله"[2] أي في كتاب الله

وفي قول **قتيبة بن مسلم الباهلي**: "وسلوه الشكر والمزيد"[3] أي من الشكر.

وقوله: "ومنهم ابن الرحمة حصانٌ يضرب في عانة"[4] أي كحصان يضرب.

وفي قول **الحجاج بن يوسف الثقفي**: "حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر"[5] أي رمتم بالمكر.

وقوله: الذين لا يقرؤون القرآن إلا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُرًا"[6] أي إلا عن هجر، وإلا عن دُبُرٍ.

وبراعة حذف حروف الجر هو أن لا يحدث خلل في المعنى، ويكون الحذف من باب التخفيف والاختصار، والحاذف عليه أن ينتبه بأن لا يحدث أي لبس في كلامه وإلا ما نجحت عملية الحذف في الكلام.

2 . الواو

وتعد من الحروف الهوامل؛ لأنها تدخل على الاسم والفعل جميعًا، ولا تختصّ بأحدهما، فاقتضى ذلك ألا تعمل شيئًا؛ لأنها ليست بالعمل في الاسم أحقّ منها بالفعل[7].

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 268/2.**
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 199/4.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 309/2.**
[4] الجاحظ، **البيان والتبيين، 92/2.**
[5] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 205/4.**
[6] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 207/4.**
[7] الرماني، **معاني الحروف، 95.**

وقد ورد حذفها في الخطب الأموية في المواضع الآتية:

قول **معاوية بن أبي سفيان**: " فإن لم تجدوني خيركم، فإني خير لكم ولاية، **والله** لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذني "[1] حذفت الواو في أول كلمة (الله)، والتقدير ووالله، وانزاح بحذفها للاختصار؛ لأن جميع سياق كلامه في الخطبة حمل العطف تارة بالواو وتارة بالفاء.

وقوله: "وإنه لا يأتيكم بعدي إلا من هو شرٌّ مني، كما لم يأتكم قبلي إلا من كان خيرًا مني"[2] وتقدير الكلام "وكما لم يأتكم قبلي".

وقول يزيد بن معاوية: "إن أمير المؤمنين كان حبلًا من حبال الله"[3] والتقدير وإن أمير المؤمنين كان كان حبلًا من حبال الله.

وانزاح بحذف الواو في تركيب الجملة، وحذفها؛ لأنه انتقل من تعظيم الله إلى مدح أمير المؤمنين، فاستوجب الحذف لبدئه بكلام يقطع الكلام السابق وينتقل إلى كلام جديد ذي فكرة مهمة تستوجب الانتباه من السامعين.

وقوله: "بكتاب فصّله وفضله وأعزه وأكرمه ونصره وحفظه، ضرب فيه الأمثال"[4] والتقدير وضرب فيه الأمثال. وانزاح بحذف الواو للتقليل من تواليها فقد كثر ذكرها، وبدؤه بكلام جديد.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 182/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 185/2.**
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 177/4.**
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 189/2.**

وفي قول عبد الملك بن مروان: "فأقاما عليها ثلاثة أيام، كل يوم تخرج إليهما دينارًا"[1] والتقدير وكل يوم تخرج إليهما.

وفي قول عمر بن عبد العزيز: "وإني والله لا أعطي أحدًا باطلًا، ولا أمنع أحدًا حقًا، إني لست بخازن"[2] والتقدير وإني لستُ بخازن.

وقول زياد بن أبيه: "ولأسعِطنه ماء الخردل دونه، الكلام اليوم والجمع غدًا"[3] والتقدير والكلام اليوم والجمع غدًا.

وقول قتيبة بن مسلم الباهلي: "وهذه السغد شاغرة برجلها، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا"[4] والتقدير: وقد نقضوا العهد الذي كان بيننا.

وقول الحجاج بن يوسف الثقفي: "اتخذتموه دليلًا تتبعونه"[5] والتقدير اتخذتموه دليلًا وتتبعونه"

وقوله: "وكلكم ذلك الرجل، كأني والله بكل حي منكم ميتًا"[6] والتقدير: وكأني والله بكل حي منكم ميتًا.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 195/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 203/2.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 267/2.**
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 305/2.**
[5] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 204/4.**
[6] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 300/2.**

3 . حذف قد

"هي من الحروف الهوامل مختصة بالفعل، وإنما لم تعمل فيه؛ لأنها صارت أحد أجزائه، ومعناه التوقع"[1]. وقد إذا دخلت على الماضي قرّبته من الحال، وإذا دخلت على المستقبل دلّت على التوقع والتقليل[2].

وقد ورد حذفها في الخطب الأموية في المواضع الآتية:

قول معاوية بن أبي سفيان: "فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم"[3] والتقدير بمحبة قد علمتها منكم.

وقول يزيد بن معاوية: "وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله اصطفاه لوحيه، واختاره لرسالته"[4] والتقدير: قد اصطفاه لوحيه، وقد اختاره لرسالته.

وقول عبد الملك بن مروان: "عصمكم الله من الشيطان وفتنته ونزغه وأمدكم بحسن معونته"[5] والتقدير: قد عصمكم وقد أمدكم.

والامثلة كثيرة وواسعة في خطب الأمويين وكلها متشابهة وينزاح فيها الخطيب طلبًا للخفة، والإيجاز بالحذف مصاحبًا في كلامه قرائن تدل على المحذوف، فقد يعمم الخطيب في حذفه وقد يخفف لطول الكلام.

---

[1] الرماني، **معاني الحروف**، 98.
[2] ينظر: الأنصاري، ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 413/2.
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/4.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 177/4.
[5] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 194/2.

4 . حذف الفاء

وهي من العوامل؛ لأنها تخص أحد القبيلين دون الآخر، ولها ثلاثة مواضع: العطف والجواب والزيادة[1].

وقد ورد حذفها في الخطب الأموية في مواضع كثيرة، منها:

قول معاوية بن أبي سفيان: "إنا قد أصبحنا في زمن عنود، وزمن شديد يُعد فيه المحسن مسيئًا ويزداد فيه الظالم عتوًا، لا ننتفع بما علمناه"[2] والتقدير: فلا ننتفع بما علمناه.

وقول يزيد: "ويكون بلاغًا لقوم عابدين، أوصيكم بتقوى الله"[3] والتقدير فأوصيكم بتقوى الله.

وقول عبد الملك بن مروان: "وأقام حتى إذا كان من الغد، خرجت الحية معصوبًا رأسُها"[4] والتقدير فخرجت الحية، وهنا براعة الحذف في التخفيف، ويكون لفظ خرجت الحية أجمل وأنسب من لفظ فخرجت الحية.

وقول زياد بن أبيه: "هذا أمرٌ لم أشهد أوله"[5] والتقدير: فهذا أمرٌ لم أشهد أوله، وحذفها عند بدء كلامه تخفيفًا.

وقول الحجاج: "ألا وإن الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر"[6] والتقدير فيأكل منها البر والفاجر، وهنا حذف الفاء من الفعل المضارع، لأن الفاء تفيد الاستئناف وربطها بالفعل المضارع "يأكل"

---

[1] ينظر: الرماني، **حروف المعاني**، 43.
[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 39/2.
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 177/4.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 196/2.
[5] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 202/4.
[6] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 207/4.

للبار والفاجر في الدنيا لا يصح؛ لأن أكل البار والفاجر في الدنيا يحتاج للاستئناف والتفريق. فالحذف أنسب وأبلغ.

ثانيًا: حذف الاسم

1 . حذف المبتدأ أوالخبر

اختلف العلماء أيهما أولى بالحذف، المبتدأ ام الخبر، قال السيوطي: "الأولى كون المحذوف المبتدأ؛ لأن الخبر محط الفائدة"[1].

وقد ورد حذف المبتدأ في **الخطب الأموية** في المواضع الآتية:

قول معاوية بن أبي سفيان: "فسلكتُ بها طريقًا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة، ومشاربة جميلة"[2]

والمبتدأ محذوف تقديره: هي مؤاكلة حسنة، وانزاح بحذف الضمير (هي) تقليلًا للكلام وقد دلت على الضمير قرينة التأنيث وهي مؤاكلة.

وقول عبد الملك بن مروان: "فإنك على العقوبة بعد التوقف عنه، أقدرُ منك على ردها بعد إمضائها"[3] وتقدير المبتدأ أنت بقرينة "فإنك" فمن الأقدر إلا "أنت".

وقول عمر بن عبد العزيز: "إن الدنيا ليست بدار قرار، دارٌ كتب الله عليها الفناء"[4] وتقدير المبتدأ المحذوف: هي دارٌ كتب الله عليها الفناء.

---

[1] **همع الهوامع**، 334/1.
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/4.
[3] ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 529/3.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 205/2.

وقول زياد بن أبيه : "فالحمد لله الذي رفع منا ما وضع الناس، وحفظ منا ما ضيعوا، فأما عُبَيْدٌ فإنما هو والدٌ مبرور أو ربيب"[1] وتقدير المبتدأ المحذوف فأما هو عُبيْدٌ فإنما هو والد مبرور أو هو ربيب.

وقول قتيبة بن مسلم: يا أهل خراسان، انسبوني تجدوني عراقي الأم، عراقي الأب"[2] أي أصلي عراقي الأم وأصلي عراقي الأب وانزاح بحذف المبتدأ "أصلي أو نسبي" لوجود قرينة "انسبوني".

وقول الحجاج: "أيها الناس، **محمّدان في يوم واحد!** أما والله لقد كنت أحبّ أنهما معي في الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة"[3] وتقدير المبتدأ المحذوف هما محمدان. وسر الانزياح بالحذف في المبتدأ يذكرنا بما قاله ابن حيان: "ومتى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار كان أفضل"[4].

2 . حذف الخبر (خبر المبتدأ).

وإنْ علم الخبر جاز حذفه، قال ابن يعيش: "كما حذف المبتدأ حذف الخبر، وأكثر ذلك في الجوابات"[5].

وقد ورد حذف خبر المبتدأ في المواضع الآتية:

قول معاوية: "وإن معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى"[6] وتقدير الخبر المحذوف: وإن معروف زماننا هذا مثلُ منكر زمان قد مضى. والمعنى هذا مثل معروف الزمان الحالي ولكنه منكر في الزمان الذي انقضى.

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 202/4.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 309/2.
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**،210/4.
[4] **البحر المحيط**، 160/1.
[5] **شرح المفصل**، 94/1.
[6] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 183/2.

وقول يزيد بن معاوية: "الحمد لله ما شاء صنع، من شاء أعطى ومن شاء منع"[1]

الحمد لله: لفظ الجلالة متعلق بمحذوف خبر المبتدأ تقديره ثابت أو واجب أو الحمد مستقر[2].

والحمد بالرفع يخبر أن الحمد منه ومن جميع المخلوقات لله تعالى، قال العكبري: "والرفع للحمد أجود"[3].

وقول عبد الملك: " ابسط بشرك، وألن كنفك، وآثر الرفق في الأمور، فإنه أبلغ بك، وانظر حاجبك، فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه، **لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده،** وإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ بالسلام، يأنسوا بك، وتثبت في قلوبهم محبتك"[4] وتقدير الخبر المحذوف: أنت القويُّ الذي تأذن له أو ترده. وانزاح بحذف الخبر مع إبقاء قرائن تدل على أن لفظ الخبر المحذوف يحمل أي صفة ممدوحة من القوة والشجاعة...

وقول زياد بن أبيه: "وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة"[5] والتقدير وايم الله قسمي وهنا وجب حذف حذف الخبر لكونه معلومًا.

وقول قتيبة: "وخصمه فيما تغلب عليه" وتقدير الخبر المحذوف: خصمه ضعيفٌ فيما تغلب عليه.

فانزاح بحذف الخبر وترك لنا قرائن نُقدّر فيها الخبر المناسب واللائق لسياق الجملة.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 189/2.**
[2] ينظر: أبو محمد، مكي القيسي، **مشكل إعراب القرآن، 14/1.**
[3] **التبيان في إعراب القرآن، 5/1.**
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 198/2.**
[5] الجاحظ، **البيان والتبيين، 42/2.**

وقول الحجاج: " يا أهل العراق: إني لم أجد دواء أدوى لدائكم، من هذه المغازي والبعوث، **لولا طيب ليلة الإياب**، وفرحة القفل؛ فإنها تعقب راحة، وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم، ولا الراحة بكم"[1] والتقدير: لولا طيب ليلة الإياب حاضرٌ.

وإذا وقع المبتدأ بعد لولا الامتناعية فهو معلوم بمقتضاها، إذ هي دالة على امتناع لوجود، فالمدلول على امتناعه هو الجواب، والمدلول على وجوده هو المبتدأ نحو: لاولا زيد لأكرمتُ عمرًا، لم يُشك في أن المراد وجود زيد منع من إكرام عمرو، وجاز الحذف لتعيين المحذوف[2].

فانزاح الخطيب باستغنائه عن إظهار الخبر لدلالة الكلام عليه.

3 . حذف الفاعل

يحذف الفاعل لأمور منها: الخوف عليه، كقولك: قُتل زيد، وترك ذكره لجلالته كقوله تعالى: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ)[3]، أو لدناءته نحو قولك: كنس السوق، وقد يكون للجهالة به، وقد يترك ذكر الفاعل إيجازًا واختصارًا؛ لأن غرض المتكلم الإخبار عن المفعول لا غير[4].

وقد يحذف الفاعل مع فعله، وقد يحذف وحده ومن أمثلته:

قول معاوية: " فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرّة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، **ولقد رضت لكم نفسي** على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارا شديدًا وأردتها مثل سنيّات عثمان، فأبت عليّ؛ فسلكت بها طريقًا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة، ومشاربة

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 297/2.
[2] ينظر: حسن، عباس، **النحو الوافي**، 519/1.
[3] **الذاريات**، 10/51.
[4] ينظر: عطية، مختار، **الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز**، 286.

جميلة"[1] وهنا حذف الفاعل وسد مكانه نائب الفاعل وهو الضمير المتصل ضمير الرفع المتحرك، وأصلها روّضتُ لكم نفسي، ولكنه انزاح بالحذف والإيجاز وجاء بالفعل المبني للمجهول.

وقول يزيد بن معاوية: " فإني أحذّركم الدنيا فإنها حلوة خضرة، **حفّت بالشهوات،** وراقت بالقليل، وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال، وتزينت بالغرور"[2] وتقدير الكلام: حفّ الله الدنيا بالشهوات، فحذف الفاعل وجاء بالفعل المبني للمجهول وسد مكان الفاعل نائب الفاعل وهو الضمير المتصل، ولعل حذف الفاعل هنا وهو لفظ الجلالة تنزيهًا له فلا يليق باسم الجلالة أن يقترن بالشهوات التي يبغضها.

وقول عمر بن عبد العزيز: **" إني قد ابتليت بهذا الأمر** عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم"[3] أي الخلافة.

وتقدير الكلام: ابتلاني اللهُ عز وجلّ، وقد حذف الفاعل سدّ عنه نائب فاعل وهو ضمير متصل، والعلة من حذف الفاعل هنا؛ لأنه معلوم فلا يكون الابتلاء إلا من الله سبحانه وتعالى ولو ذُكر لكان من باب التطويل المذموم.

وقول زياد بن أبيه: " ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم، ارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم، فقد نظرت في أمور الناس منذ قتل عثمان، وفكرت فيهم، فوجدتهم كالأضاحي في كل عيد يذبحون، ولقد أفنى هذان اليومان: يوم الجمل وصفين ما ينيف على مائة ألف، كلهم يزعم أنه طالب حق، وتابع إمام، وعلى بصيرة من أمره، فإن كان الأمر هكذا، فالقاتل والمقتول في الجنة، كلا: ليس كذلك **ولكن أشكل الأمر، والتبس على**

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 182/2.**
[2] الجاحظ، **البيان والتبيين، 86/2.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 203/2.**

القوم"[1] وتقدير الكلام والتبس الأمر على القوم، ولكنه انزاح بحذف الفاعل لأنه معلوم وقد ذُكر قبله مباشرة ولا حاجة لذكره مرة ثانية تخفيفًا للكلام.

4 . حذف المفعول به:

والأغلب أن يؤدي المفعول معنى ليس أساسيًا في الجملة، فالاستغناء عنه وارد من غير إحداث فساد في تركيب الجملة أو اختلال في معناها، ولهذا يسميه العلماء فضله[2].

قال ابن مالك عن حذفه:

وحذفُ فضلةٍ أجزْ إنْ لمْ يضِرْ كحذفِ ما سيقَ جوابًا أو حُصرْ[3]

ومن أمثلة حذف المفعول به، قول معاوية: " أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رُضْتُ لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارًا شديدًا، **وأردتها على سُنَيات عثمان،** فأبت علي، فسلكت بها طريقًا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة "[4] أي ولايته على الناس.

وحذف مفعول الفعل المتعدي، والتقدير: أردتها حكمًا على سنيات عثمان". اختصارًا واقتصارًا.

وقول يزيد في حديثه بعد موت معاوية: " إن أمير المؤمنين كان حبلا من حبال الله، ومدّه ما شاء أن يمده"[5] والتقدير: ومدّه قوةً أو صلابةً أو حكمةً.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 268/2.**
[2] ينظر: حسن، عباس، **النحو الوافي، 179/2.**
[3] **متن الألفية، 19.**
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 182/2.**
[5] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 177/4.**

وقول عبد الملك: "فإن أسوأ الناس حالًا من استكدّ الملوك بالباطل"[1] وتقدير المفعول به المحذوف: استكدّ الملوك طرقهم بالباطل. ومن سياق الكلام يُفهم المحذوف ويقدّر موقعه الإعرابي والدلالي.

وقول الحجاج: "ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم"[2] والتقدير: ولولا ما أُريد الأجرَ من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم. فانزاح بالحذف اختصارًا؛ لكونه معلومًا.

وقول أبي حمزة الشاري: " ثم ولي عثمان بن عفان فسار ستّ سنين بسيرة صاحبيه، وكان دونهما **ثم سار في الست الأواخر بما أحبط به الأوائل،** ثم مضى لسبيله"[3] إيجاز بالحذف، حذف المفعول به، وتقديره: أحبط أعمال الأوائل.

وقوله: " تعالوا نحن وأنتم إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم، وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما أنزل الله نناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم، ليختار المسلمون لأنفسهم، فقلتم: **لا يفعلون،** فقلنا لكم، تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم"[4].

وهنا حذف المفعول به، وتقدير الكلام: لا يفعلون شيئًا.

5 . حذف الموصوف والصفة

حق الصفة أن تصحب الموصوف، إلا إذا ظهر أمره ظهورًا يستغنى عن ذكره، فحينئذ يجوز تركه وإقامة الصفة مقامه[5].

وقد ورد حذف الموصوف في **الخطب الأموية** ومنها:

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 198/2.
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 207/4.
[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 84/2.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 468/2.
[5] ينظر: البغدادي، **خزانة الأدب**، 68/5.

قول معاوية: " أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا، **وَقَدْ يُجْزِي عَنْكَ الْحَكِيمُ بِغَيْرِ التَّعْلِيمِ**، وَقَدْ أَرَدْتُ إِيصَاءَكَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ أَنَا تَارِكُهَا اعْتِمَادًا عَلَى بَصَرِكَ"[1] أي الإنسانٌ الحكيم.

وقول يزيد: "نسأل الله ربّنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا **وإياكم من فزع يومئذ آمنين**"[2] أي قومٍ آمنين.

وقول عبد الملك: "ما أنا بالخليفة المستضعف، يعني عثمان"[3] وقصد عثمان بن عفان، وتقدير المحذوف (الموصوف) ما أنا بالخليفة عثمان المستضعف.

وقول عمر بن عبد العزيز: "إنكم لم تخلقوا عبثًا ولم تتركوا سدى"[4] أي تخلقوا خلقًا عبثًا.

وقول زياد: " إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: **لين في غير ضعف**، وشدة في غير عنف"[5] أي لا يصلحهم إلا سياسة لين في غير ضعف.

وقول الحجاج: **"ثم وليكم البازل الذكرالذي جربته الأمور**، وأحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة، واللين لأهل الحق، والوطء لأهل الزيغ"[6] أي ثم وليكم الحجاج البازل الذكر.

وأما **حذف الصفة**، فمنه:

قول معاوية: **"ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة**، ولقد رضت لكم نفسي"[7] وحذف الصفة والتقدير: بسيفي هذا مجالدة صعبة.

---

[1] ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 69/3.
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 178/4.
[3] ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 434/3.
[4] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 82/2.
[5] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 41/2.
[6] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 210/4.
[7] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 182/2.

وقول عبد الملك: " وليكن أهل الطاعة يدًا على أهل الجهل من سفهائكم، **واستديموا النعمة** التي ابتدأتكم برغيد عيشها، ونفيس زينتها، فإنك من ذلك بين فضيلتين: عاجل الخفض والدعة، وآجل الجزاء والمثوبة "[1] أي استديموا النعمة المباركة.

وقول عمر بن عبد العزيز: **"لولا سنة أحييتها، أو بدعة أمتُها** لم أبال أن لا أبقى في الدنيا إلا فواقًا"[2] والتقدير: لولا سنة مهديةٌ أو بدعة ضالةٌ.

وقول زياد: " أيها الناس، لا يمنعنّكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا"[3] أي لا يمنعنكم سوءٌ كبيرٌ ما تعملون...

وقول الحجاج: "حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر"[4] أي رمتم المكر الشديد أو الكبير.

وقول قتيبة: " يا أهل خراسان، **قد جربتم الولاة قبلي** أتاكم أمية فكان كاسمه أمية الرأي وأمية الدين"[5] أي الولاة الضالين.

6 . حذف الحال

والحال قد يُحذف ما فيها عملْ وبعضُ ما يحذف ذكره حُظِلْ[6]

وحذف الحال لا يحسن، ذلك أن الغرض فيها إنما هو توكيد الخبر بها، وأما طريقة التوكيد غير لائق به الحذف؛ لأنه ضد الغرض ونقيضه. ويجوز حذفه إن دلت عليه قرينة الحال أو المقام[7].

وقد ورد حذف الحال في بعض الخطب، ومن أمثلة ذلك:

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 194/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 206/2.**
[3] الجاحظ، **البيان والتبيين، 221/1.**
[4] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 205/4.**
[5] الجاحظ، **البيان والتبيين، 91/2.**
[6] ابن مالك، **متن الألفية، 24.** وحظل: قصر في مشيته، وحظل عليه ضيق عليه ومنعه. ينظر: **المعجم الوسيط 183.**
[7] ينظر: ابن جني، **الخصائص، 378/2.**

قول معاوية: " وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون"[1] أي ينظرون وينتظرون مرتقبين.

وقول: عبد الملك: "ولا تجهد نفسك في نظر صوابي"[2] أي ولا تجهد نفسك قائمًا في نظر صوابي.

وقول عمر: "وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم"[3] أي اختلفوا متناثرين متفرقين لاحقين.

وقول زياد: "وفكرتُ فيهم، فوجدتهم كالأضاحي"[4] اي فوجدتهم مذبوحين كالأضاحي.

وقول الحجاج: "وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق"[5] أي أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى مرقرقةً نازلةً.

وقول قتيبة: "فاحمدوا الله على النعمة"[6] أي احمدوا الله ساجدين شاكرين الله على النعمة.

7 . حذف المضاف:

وقد ورد حذف المضاف في خطب الأمويين ومن الأمثلة على ذلك:

قول معاوية بن أبي سفيان: "ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة"[7] أي بعمل أهل الآخرة.

8 . حذف الجار والمجرور:

ومن أمثلة حذف الجار والمجرور، قول أبي حمزة الشاري: "وشرع له فيه الشرائع، وبيّن له فيه ما يأتي وما يذر"[8] إيجاز بحذف الجار والمجرور وتقدير الكلام: وبيّن له فيه ما يأتي فيه وما يذر فيه.

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/4.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 197/2.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 203/2.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 268/2.
[5] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 208/4.
[6] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 153/4.
[7] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 39/2.
[8] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 469/2.

وقوله: "يصبرون للضراء رجاء ثوابها"[1] أي من أجل الرجاء.

9 . أما **حذف التمييز** فقليل ومن الأمثلة عليه، قول أبي حمزة الشاري: "وجلد في الخمر ثمانين"[2] أي ثمانين جلدة.

ثالثًا: حذف الفعل والجملة الفعلية

ويجوز **حذف الفعل في الجملة الفعلية** إذا دلّ عليه دليل، يقول الجرجاني: "وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون، فقد يضمرون الفعل فينصبون"[3].

وقد ورد هذا النوع من الحذف في الخطب الأموية ومن أمثلته:

قول معاوية: " وإياكم والفتنة"[4] أي ارهبوا إياكم والفتنة. وإياي مفعول به منصوب لفعل محذوف وفسره أي ارهبوا إياي[5].

وقول يزيد: "ثم إني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حفت بالشهوات"[6] أي **وأحذركم** فقد حفت بالشهوات.

وقول الحجاج: "وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الراحة بكم"[7] أي ولا أريد الراحة بكم.

وقول قتيبة: "ووعد نبيه ﷺ النصر بحديثٍ صادق وكتابٍ ناطق"[8] أي ووعده بكتابٍ ناطق.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 478/2.**
[2] الجاحظ، **البيان والتبيين، 84/2.**
[3] **دلائل الإعجاز، 147.**
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 183/2.**
[5] ينظر: الأخفش، **معاني القرآن، 83/1.**
[6] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 178/4.**
[7] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 297/2.**
[8] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 304/2.**

وقول زياد: **"فإياي ودلج الليل"**[1] أي ارهبوا إياي ودلج الليل.

والحذف في الخطب قد يكون لاسم أو فعل أو جملة أو حرف، والاسم المحذوف قد يكون مبتدأ أو خبرًا أو فاعلًا أو مفعولًا به أو مضافًا أو مضافًا إليه... والفعل المحذوف قد يكون فعل قول أو فعل شرط... أما الحرف المحذوف فأكثره حرف جر.

وقد جاء الحذف في الخطب لأغراض التعميم والإيجاز والاختصار وتخفيفًا لطول الكلام.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير:

أولًا . مخالفة الترتيب في الجملة الاسمية

1 . تقديم شبه الجملة على خبر الناسخ:

مثل قول **معاوية**: **"فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ"**[2].

وظهر الانزياح في تركيب الجملة بفصل اسم كان عن خبرها بشبه الجملة "في أعينكم"، فلم يقل: " فلتكن الدنيا أصغر من حثالة القرظ في أعينكم" وكان الفصل بين اسم كان عن خبرها بشبه جملة له دلالات، واقتضى تقديم شبه الجملة على الخبر، كي يشد السامع نحو موضع تصغير الدنيا أي في أعينكم، أي اختص التصغير في الأعين، وتأخير شبه الجملة يفسد الحسن في نظم الكلام، واختصاصه للأعين مفهوم من طبيعة المعنى، ومن ملامح تقديمه كذلك إعطاء السامع موضع الدنيا ومكانتها قبل الخبر؛ لأن الخبر معلوم لدى السامع.

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 41/2.

[2] حثالة القرظ: نفاياته ويعني الزمان وأهله، وخصَّ اللحياني بالحثالة رديء الحنطة وبقيتها، والحثالة هي الرديء من كل شيء، ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: حثل.

2 . تقدم شبه الجملة والمفعول فيه على خبر إن

مثل قول عبد الملك: "فإنك على العقوبة بعد التوقف عنه، أقدرُ منك على ردها بعد إمضائها"[1].

وهذا من حسن النظم في الكلام، ووضع كل كلمة في موضعها البلاغي اللائق، ويفهم التقديم والتأخير عن طريق الوظيفة الدلالية وجمال الترتيب ويفهم كذلك بعد فهم السياق العام وما يحوي من كلمات مرتبطة ببعضها، فكل تقديم له مغزى في نفس الخطيب، ويفهم التقديم والتأخير في الجملة كالآتي:

تأخير العقوبة جاء مرتبًا من حيث التوقف عن السخط والغضب، ثم تنفيذ العقوبة بعد إقرارها وردها والنظر في كيفيتها، فالتوقف عن الغضب والسخط يسبق القدرة على تنفيذ العقوبة وتطبيقها.

3 . تقدم شبه الجملة على خبر المبتدأ، كقول **عمر بن عبد العزيز**: **"إنما الناس في هذه الدنيا أغراضٌ، تنتضل فيهم المنايا"**[2].

وأسند هذا الكلام لعلي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-، جاء في شرح نهج البلاغة ما نصه: " أيها الناس، إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا، مع كل جرعة شرق، وفى كل أكله غصص، لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر معمر منكم يومًا من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولتجدد له زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر، ولا يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له جديد ولا تقوم له نابته إلا وتسقط منه محصودة، وقد مضت أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله"[3].

وأصل الترتيب: **"إنما الناس أغراض في هذه الدنيا"** ولكن تأخير خبر المبتدأ احتاجه السياق حتى يخاطب الناس في وقتهم الحالي وهم في الدنيا، أي وهم على قيد الحياة، وزاد في شبه الجملة اسم الإشارة

[1] صفوت، أحمد زكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 198/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 202/2.**
[3] ابن أبي الحديد، 91/9.

(هذه) تحقيرًا لها ولدنو مكانتها، وذكر مكان إقامة الناس أهم من ذكر الخبر؛ لأن الخبر معلوم وهو (أغراض) أي مصيرهم الموت، وهذا التقديم فيه إثبات مكان الناس في الوقت الحالي، وكأنه أضمر في التقديم هذا التحذير من الغفلة ونسيان الآخرة وتذكير الناس أين هم الآن وما سيجري لهم.

4 . تقدم خبر ليس على اسمها

كقول **عمر بن عبد العزيز**: **"وليس من تقوى الله عزّ وجلّ خلفٌ"**[1].

الاهتمام بوصيته الالتزام بتقوى الله وإظهار قصده المعتنى به، فقدمها للأهمية الكبرى، وعنايته بالتزام الناس بها، فهي الأساس وعليها تكون نتائج الملتزم بها من غير الملتزم، والتقديم كذلك أعطى المعنى الصحيح والفائدة المرجوة مع أسلوب النفي وإلا لتعارض معنى الجملة واختل القصد والفهم.

5 . تقدم شبه الجملة (الخبر) على اسم أنّ

في قول **الحجاج**: **"وأنَّ لي الدنيا وما فيها"**[2].

وتقديم حرف الجر الذي أفاد الملكية مع ضمير المتكلم أهم من تقدم (الدنيا) عند الحجاج، فالحجاج كما هو معلوم عظيم في نظر نفسه، فقدّم هنا (لي) ؛ لأن سياق الكلام احتاج ذلك، فأعطى التقديم هنا معاني ملكية الأرض وتخصيصها له ومعاني العظمة وتفخيم النفس، فكان لائقًا لما في نفس الحجاج من تكبر وتعالٍ، وكون التقديم كشف عن نفسية الحجاج المتسلط وكأنه امتلك الأرض وما عليها.

6. تقدم خبر ما زال على اسمها (ما الموصولة)

كقول **زياد بن أبيه**: **"فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام"**[1].

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 2/203.**
[2] صفوت، أحمد زكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 2/300.**

جاء هذا الكلام في سياق التشنيع والتحذير، وهنا اعتنى الخطيب بالمخاطب وأتى به إيجازًا وقدّمه على ما الموصولة لأهمية المخطاب، فهو حريصٌ عليهم يريد وضعهم في صورتهم وأين وصلوا وأين موقعهم، فالتقديم جاء للتخصيص والاهتمام ولو أخّر شبه الجملة ضمير المخاطب (بكم) لفهمنا أنه أهملهم ولم يعطهم القيمة ولم تظهر لنا معاني الحرص، وتقديم (بكم) جاء بحرف الجر (الباء) الذي أفاد الظرفية المكانية أي فلم يزل حالكم ولم تزل مكانتكم ومنزلتكم.

7 . تقدم شبه الجملة على خبر أصبح

كقول زياد أيضًا: "إنا أصبحنا لكم ساسة"[2]

وتقديم شبه الجملة (لكم) على خبر أصبح (ساسةً) جاء من باب التلطف وحسن الكلام مع المخاطب، والغاية من هذا التقديم (الانزياح) إثبات حسن سياسة الناس وكسب قلوبهم، فوقت إلقائه الخطبة كان حين ولي البصرة، فاستلزم الأمر العناية بالألفاظ، واستخدامه لحرف الجر الملاصق لضمير المخاطب (لكم) لم يفد التطلف فقط، بل جاوزه إلى أننا تحت طوع أمركم وملككم فنحن لكم نسوسكم بأمر الله وسلطانه ونذود عنكم، وهذا التقديم أوجز كثيًرا من معاني الحماية والمنعة والرعاية، وهذا من جماليات التقديم والتأخير من ناحية دلالية.

8. كذلك تقديم شبه الجملة على خبر كان

ومثاله قول عبد الملك بن مروان: " كونوا أولادًا أبرارًا، **وفي الحروب أحرارًا، وللمعروف منارًا،** وعليكم السلام"[3].

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 41/2.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 273/2،.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 199/2.

ففي قوله: **"وفي الحروب أحرارًا وللمعروف منارًا"**

وهنا مظهر من مظاهر التقديم والتأخير وهو تقديم الجار والمجرور على خبر كان وفي دلالة هذا التقديم اعتبارات بلاغية كثيرة وسر في انزياح وسهولة التنقل بين عناصر الجملة. لقد آثر الخطيب تقديم المَواطن التي يحب أن يرى الناس فيها وركز عليها، وهذه المواطن في الحروب وفي أماكن المعروف الكثيرة أي أبواب الخير، وأفاد هذا التقديم توكيد الاختصاص والحصر.

ثانيًا . مخالفة الترتيب في الجملة الفعلية

1 . تقدم شبه الجملة على المفعول به وأمثلته:

قول معاوية: **"رضتُ لكم نفسي"**[1]

وقدَّم معاوية شبه الجملة (لكم) على المفعول به (نفسي) مراعاة للطرف المقابل وهم الناس وتادبًا وتلطفًا في الخطاب، ومن دلالات التقديم، كذلك تأكيده على جهوزيته على الحكم والقيام بشؤون الناس.

فلابّد من دقة ترتيب الكلمات في الجملة حتى يتسنى لنا كشف الدلالات وجماليات البلاغة داخل النصوص.

وقول عمر بن عبد العزيز: **"كتب الله عليها الفناء"**[2]

والتقديم ظاهرٌ هنا بحرف الاستعلاء (على) مع الضمير (ها) العائد على الأرض، وأفاد تقديم حرف الجر الذي أفاد الاستعلاء والحصر، أي حصر الفناء على الأرض بالتحديد والتخصيص، ولو قدّم المفعول

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/4.
[2] صفوت، أحمد زكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 205/2.

به (الفناء) على حرف الجر (عليها)، لكن الكلام عامًا مفتوحًا لم يفد التخصيص الذي قصده عمر، فالفناء للأرض وهذا ما أراد عمر إيصاله، فأحسن التقديم؛ لأن المقام اقتضى ذلك.

وقول أبي حمزة الشاري: **"لاستعملتُ في طاعة الله أبدانكم"**[1] وهنا قدّم شبه الجملة (في طاعة الله) على المفعول به، إذا فصلت شبه الجملة الفعل والفاعل (لاستعملتُ) على المفعول به (أبدانكم)، والمراد في هذا التقديم والتأخير الاقتصار على استعمال الابدان في طاعة الله، فيريد جعل المتلقي في أن يصبّ كل تركيزه على طاعة الله فقط، فكان التقديم حسنًا بليغًا حقق مراد الخطيب.

2 . تقديم شبه الجملة على الفاعل، وأمثلته:

قول معاوية: **"فإنْ أتاكم مني خيرٌ، اقبلوه"**[2]

وهنا انزياح في تركيب الجملة وقدّم شبه الجملة (مني) على الفاعل (خيرٌ)؛ لأن السياق العام تطلب ذلك إكمالًا لما بدأ به وتوجيه الخطاب للمتكلم، وهذا ما عني به معاوية، فهو الفاعل والآتي بالخير، وحصر الخير على أنه وصلهم منه لا من غيره وكأنه الآتي به وحده.

وقول عبد الملك: **"تثبت في قلوبهم محبتُك"**[3]

وأصل الترتيب (**تثبت محبتك في قلوبهم**)

وكلامه عن ثبات المحبة، ومكان المحبة في القلب، فهو مركز الشعور، والحب مرتبط بالناحية القلبية للإنسان، وهنا قدّم شبه الجملة وألحق الضمير بها، الضمير العائد على الناس، وهنا أظهر عنايته

[1] صفوت، أحمد زكي، جمهرة **خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 478/2.**
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد،** 171/4.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 198/2.**

بكسب قلوب الناس، والثبات في القلوب من ناحية الشعور، تثبت في القلوب تشويقًا للسامع وهي المحبة، والتقديم كذلك أفاد الحصر والقصر.

وقول الحجاج: **"ألا وإن الآخرة أجل مستأخر يحكم فيها ملكٌ قادر"**[1]

وأفاد الانزياح في تركيب الجملة حصر الحكم يوم القيامة على الملك القادر وهو الله تعالى، والحصر في الحكم أفاد توكيد التخصيص، فالأجل المستأخر له حاكم واحد وهو الله والفصل بين الناس يوم القيامة من اختصاص الله -جلّ وعلا-، ومن دواعي التقديم والتأخير في اللغة، الحصر والتخصيص والتوكيد.

3 . تقديم المفعول به على الفاعل، في الخطب الأموية:

قول معاوية: **"غضّ أبصارَهم ذكرُ المرجع"**[2].

ومخالفة الترتيب ظهرت حين قدّم المفعول به أبصارهم على الفاعل (ذكرُ المرجع) فالأصل: "غضّ ذكر المرجع أبصارهم"، فالغضّ خاص بالبصر والطرف وظهر التقديم هنا للملاءمة اللفظية للكلام.

وقول عبد الملك: **"تطأ رقابَكم بثقلها العقوبة"**[3]

وهنا قدَّم المفعول به (الرقاب) على الفاعل (العقوبةُ)، وذلك لأهمية ما تقع عليه العقوبة، وهي الرقاب، ففي قول عبد الملك إذلال للمعاقب فقرينته الوطء والموطوء، فمن العادة أن الأرض هي التي توطأ فما بالك بوضع النعال والأقدام التي بها يكون الوطء على الرقاب، فالعقوبة لفظ عام غير محدد، ولكن

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 296/2.**
[2] الجاحظ، **البيان والتبيين، 39/2.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 193/2.**

معرفة موضع العقوبة هو الذي يحدد مصير المعاقَب، فاستعجل وقدّم موضع العقوبة وهي الرقاب على العقوبة نفسها.

والضرب على الرقاب قاتل ويزهق الأرواح ومنه قوله تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ)[1] فضرب الرقاب تحمل في طياتها الإهانة والإذلال، فكيف إذا كانت الأعناق توطأ ويداس عليها فهذا أشد وأفظع من النيل منهم وانحطاطهم.

وقول الحجاج: **"أفسدكم ترنيقُ[2] ولاتكم"**[3]

وهذه المخالفة المشروعة في ترتيب الجملة اقتضاها ضمير المخاطب (كم) الذي خصص الفئة التي وقع عليها الفساد، فذكر الفئة التي فسدت والتركيز عليها أهم عند الحجاج من ذكر السبب؛ لأن نقمته على رعيته متكررة فيقدمها دائمًا عند توبيخه إياها ويجعلها في صدارة الكلام عند الذم، وأكد على الفئة الفاسدة بالضمير المتصل الذي أفاد الجمع مع التحديد والتخصيص أي كل رعيته.

4 . تقديم الفاعل على الفعل:

ومنه قول عمر بن عبد العزيز: **"من أطاع الله وجبت طاعته"**[4]

وجاء تقديم (من) الشرطية على الفعل والمفعول به في الجملة، كي يؤكد على مكانة الفاعل وعظمة فعله وهو طاعة الله في صدارة الكلام ولتوكيد وقوع الفعل منه لا من غيره، وكذلك حصر الطاعة فيه وقصرها عليه؛ لأن سياق الكلام يركز على الطاعة ومن يقوم بها.

---

1 محمد، 47/4.
[2] الترنيق: الضعف في الأمر، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ملدة: (رنق).
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 292/2.**
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 204/2.**

وقول **قتيبة بن مسلم الباهلي**: "يا أهل خراسان، قد جربتم الولاة قبلي، أتاكم أمية؛ فكان كاسمه أمية الرأي، وأمية الدين، فكتب إلى خليفته: إنّ خراج خراسان وسجستان، لو كان في مطبخه لم يَكْفِه، ثم أتاكم بعده أبو سعيد، فدوخ بكم البلاد، لا تدرون أفي طاعة الله أنتم أم في معصيته، ثم لم يجبِ فيئًا، ولم ينكأ عدوًّا، ثم أتاكم بنوه بعده، مثل أطباء الكلبة؛ منهم ابن الرحمة (يريد به يزيد بن المهلب)، **حصان يضرب في عانةٍ**[1]، ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده، ثم أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد، وأمن لكم السبل، حتى إن الظعينة لتخرج من مروٍ إلى سمرقند في غير جوار"[2].

وقصد بالحصان يزيد بن المهلب، ولو أخّر الحصان بعد الفعل وقال: "يضرب حصان في عانة" لاختل نظم الجملة ولبَدَتْ غير مفهومة، ولما عرفنا من قصد بالحصان، فقدم الفاعل؛ لأنه الأقرب للكلام السابق وحتى يظل الكلام مرتبطًا ببعضه، وتأخير الفعل المضارع عن فاعله يفيد الاستمرارية في الحدث كأن ديدنه وعادته الضرب، فهو يضرب ويضرب إلى ما لا نهاية.

5 . تقديم الفاعل والمفعول به على الفعل ومنه قول الحجاج: **"وأنا والله لرؤيتكم أكرهُ"**[3].

وتقدير الكلام: **"أكرهُ أنا والله رؤيتَكم"** ولكن عظمة الحجاج واستعلاء نفسه لتحقيق ذلك تكون في صدارة كلامه، ليبين للمخاطب استعلاء نفسه على رعيته، وتقديم الفاعل كذلك جاء بصيغة الأنا كي يحقق أعلى مستويات الاستعلاء وتفخيم النفس وتعظيمها، وتقديم المفعول به هنا لتخصيص الكره وحصره في الرؤية البصرية، وأكد هذه النفسية بالقسم الذي توسط بين المبتدأ (الفاعل في المعنى) والفعل.

---

[1] العانة: الأتان، وتطلق على قطيع الوحش، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (أتن).
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 311/2.**
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 297/2.

وقول أبي حمزة الشاري: **"حتى إذا رأوا سهام العدو وقد فوقت، ورماحهم وقد أشرعت، وسيوفهم وقد انتضبت"**[1]

إذ تقدم الفاعل والمفعول به (رأوا سهامَ)، (رماحهم)، و(سيوفهم) على الفعل (فوقت)، و(أشرعت)، و(انتضبت)

وهنا انزاح الخطيب في ترتيب الألفاظ عن مكانها الأصلي وقصد إظهار وإبراز الأسلحة (سهام العدو والرماح والسيوف) فكانت زحزحة الترتيب الأصلي فيه دلالة كبيرة قصدها وركز عليها مثيرًا انتباه السامع واهتمامه، والأفعال (فوقت وأشرعت وانتضبت) واقعة لا محالة في المعارك وقدّمت الأفعال (سهام العدو ورماحهم وسيوفهم) لتوكيد وقوع الفعل وحصوله، فكان تقديم الفاعل إعلامًا للمتلقي وتحقيقًا لحدوث الفعل.

وهذا يذكرنا بقول فاضل صالح السامرائي: "إن النحاة قد جعلوا للكلام رتبًا بعضها أسبق من بعض، فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير، وإن وضعت الكلمة بغير مرتبتها في باب التقديم والتأخير"[2].

6 . تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، وأمثلته:

قول يزيد بن معاوية: **"مَن يهدِ اللهُ فلا مضلّ له"**[3]

وكلام يزيد عن هداية الله، وقدم المفعول به (مَنْ) للتعريف به في صدارة الكلام، وكي يحقق جملة الشرط بتمامها وكمالها بالترتيب المعروف، فتقديم المفعول به على الفعل والفاعل للأسبقية في ترتيب الجملة وتصديره للكلام وأهميته أي على من ستقع الهداية؛ لأن الكلام يُعنَى بالمهدي وتركيز مضمون الجملة عليه.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 475/2.
[2] **الجملة العربية: تأليفها وأقسامها**، 37.
[3] ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، 87/2.

وقول عمر بن عبد العزيز: **"ما أحلَّ الله على لسان نبيه فهو حلال"**[1].

وهنا قدّم المفعول به بما الموصولة على الفعل والفاعل، وكان التقديم فيه تنظيم للكلام وإحكام في الصياغة، فلو قال: "أحل الله ما على لسان نبيه فهو حلال" لقبُحت الجملة من ناحية الترتيب ولكانت ركيكة في القول والصياغة، وتقديم المفعول به للأهمية في الكلام، فهناك المهم والأهم، والمفعول به هنا له الأولوية واستحق التقديم.

قول الحجاج: " يا أهل العراق، إن الشيطان قد استبطنكم، فخالط اللحم والدم والعصب، والمسامع والأطراف، والأعضاء والشغاف، ثم أفضى إلى المخاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعشش، ثم باض وفرخ، فحاشكم نفاقًا وشقاقًا، وأشعركم خلافًا، اتخذتموه دليلًا تتبعونه، **وقائدًا تطيعونه، ومؤامرًا تستشيرونه؛** "[2]

وكلام الحجاج في "وقائدًا تطيعونه" عن الشيطان وقدّم المفعول به على الفعل والفاعل وذلك لغرض التناسب المعنوي في الكلام مع سابقه من الكلام: "اتخذتموه دليلًا تتبعونه"، وهذا التقديم جعل للمقدم ميزة ظاهرة وهي القيادة، أي أظهر وظيفة المقدّم وخصه بالقيادة، وكذلك في قوله: "ومؤامرًا تستشيرونه".

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 204/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 293/2.**

ثالثًا: مخالفة الترتيب التشريفي

كقول عمر بن عبد العزيز: **"أصلحوا آخرتكم، تُصلَح لكم دنياكم"**[1]

والترتيب الزمني لأحداث الإنسان في حياته، الدنيا ثم الآخرة، فالدنيا تسبق الآخرة في الزمن، والعيش في الدنيا يسبق العيش في الآخرة، وما يقوم به الإنسان من أعمال في حياته الدنيا يلقى نتيجتها في الآخرة، إن خيرًا فمأواه الجنة، وإن شرًّا فمصيره إلى النار.

والإصلاح يتمثل في تحسين الأعمال وتعديل الأخطاء والانحرافات والسلوكيات نحو ما طلبه الله تعالى، والسؤال لماذا لم يقل أصلحوا دنياكم تصلح لكم آخرتكم؟ أي لماذا لا يكون إصلاح الدنيا مترتب على إصلاح الآخرة؟ جاء التقديم هنا للشرف والأفضلية، فشرف الآخرة أبقى وأفضل ومكانتها أعلى وأرفع؛ لأنها الدائمة الباقية والدنيا الفانية المؤقتة، وبالتالي الآخرة هي الأهم في الرتبة، وهي الأولى بالاهتمام من ناحية الإصلاح وتحسين الأعمال والانشغال برضا الله تعالى.

وفي خطابه كذلك، الانشغال بإصلاح الآخرة أولى من الانشغال بالدنيا وإغراءاتها، فمهما انشغل الإنسان في دنياه وغضَّ طرفه عن الآخرة فلن تنفعه دنياه؛ لأنها زائلة والإنسان يعرف في قرارة نفسه أنها زائلة وذاهبة ولا عودة إليها بعد الموت، فتقديم الآخرة في كلام عمر للاهتمام بها فجاءت قبل الدنيا؛ لأنها دار القرار والبوصلة التي يرنو إليها كل تقي.

وقوله: **"إنه مَنْ يُقدَّر له رزقٌ برأس جبل، أو بحضيض أرض يأته"**[2].

الكلام عن الرزق وطلبه والسعي له ولو بشقّ الأنفس، وضرب أمثلة على مساعي الرزق، وبدأ بالبعيد وهو رأس جبل، ورأس الجبل يتضمن البعد والتعب ومضاعفة الجهد لتحصيل الرزق، ثم ضرب

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 201/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 205/2.**

مثال (حضيض الأرض) أي أدنى الجبل ويتضمن معنى القرب، وطبيعة الرزق إما أن يكون بعيدًا صعبًا أو قريبًا سهلًا، ولأن الرزق بحاجة إلى مثابرة وهمة ونشاط، وجلبه يحتاج غالبًا إلى مشقة وتعب، كان لفت النظر إلى رأس الجبل البعيد، ثم أسفله القريب، وهذه خيارات الرزق لدى الإنسان، قد يكون صعبًا شاقًا أو سهلًا ميسورًا. فالذي يستطيع أن يكسب رزقه ببذل الجهد الكبير يسهل عليه أن يحصل عليه بقليل من الجهد.

وقول عبد الملك: " أيها الناس إن الحرب صعبة مرة، وإن السلم أمن ومسرة، وقد زبنتنا الحرب وزبناها فعرفناها وألفناها **فنحن بنوها وهي أمنا"**[1].

حديث عبد الملك عن الحرب، وبدأ في الوصف بالأبناء ثم الأم، ويقتضي الأمر- من ناحية زمنية الوجود - أن يبدأ بالأم ثم بأبنائها، وسر التقديم هو التناسب مع ضمير المتكلم (نحن) ثم الانتقال لصيغة الغائب (هي)، ولا يشمل التقديم والتأخير هنا معاني الحب ومراتبه، بل تقديم الأبناء؛ لأنهم الأقدر على الحرب وأعبائها، فهي للرجال وليست من واجبات النساء، وقصد بوصف الأم (الحرب) أي تربينا في أكنافها وتعلمنا الضراوة والشدة والبأس؛ لأن الأم هي الأساس في التربية والنشء، وقد تشارك النساء في الحرب لمساعدة الرجال فيما لا يحتاج إلى كبير جهد بما يتناسب مع أنوثتها فهي تسعف الجرحى وتعدُّ الطعام...

ولو قال نحن بنوها واكتفى لكان الكلام ناقصًا، واستكماله بـ (هي أمنا) كان جميلًا وأكمل للكلام.

ونحن حين نقدّم ما لا حق له في التقديم نكون قد أحدثنا تفسيرًا في المواقع وفي الصلاحيات وفي الأضواء وفي الأثر النفسي؛ لأن المقدّم يحتل مركزًا ممتازًا، فهو أول ما تقع عليه العين وأول ما تتأثر به

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 194/2.**

وأول ما تعجب به وأول ما تقع النفس تحت أضوائه فتنشغل به؛ لأنه يستحق هذا؛ ولأنه في غير مكانه الذي تعودنا أن نراه فيه، ثم تأتي الألفاظ الأخرى فتكون الشحنة التي استحوذ عليها اللفظ المقدّم[1].

وقول زياد بن أبيه: " العجب من ابن آكلة الأكباد، وقاتلة أسد الله، ومظهر الخلاف، ومسرّ النفاق، ورئيس الأحزاب، ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله، **كتب إلي يرعد ويبرق"**[2].

ولمعان البرق علميًا يسبق صوت الرعد وإنْ كان بينهما تزامنٌ في الحدوث؛ لأن سرعة الضوء تسبق سرعة الصوت، فلم يقل يبرق ويرعد، بل قدّم الرعد على البرق؛ لأن الحدث فيه تهديد ووعيد والتناسب مع الحدث والموقف يتطلب ذكر الرعد الذي ينبثق عنه الصوت بينما يصدر عن البرق الضوء والنور، وصوت الرعد مخيف ينتج عنه الرعب والخوف لما يسببه أحيانًا من صواعق وويلات أكثر من شدة ضوء البرق، وسياق الكلام العام هو التهديد فكان التناسب لائقًا في تقديم الرعد وربطه بالتهديد على البرق الذي لا صوت فيه. ولم يكتف بالسماع بل أردفه بما يُرى واستخدم هنا حاستي السمع والبصر ليثير الخوف لدى السميع والبصير أو الأكمه والأعمى على حدٍّ سواء، وكذلك تقدّم الرعد على البرق في قوله تعالى: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)[3]. فالرعد يلج صوته بحاسة السمع إلى الإنسان، والبرق يخطف الأبصار ويؤذيها لشدة وهجه وصوت الرعد قوي بل أقوى من طاقة الأذن، ولذلك عندما يسمعه الإنسان يفزع ويحاول أن يسدّ مجرى الصوت بيديه أو يضع أنامله في أذنيه مبالغة في تأثير الرعد على السامع، ليحمي نفسه من أذى الصوت المخيف.

---

[1] ينظر: سلطان منير، **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**، 138.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 266/2.
[3] **البقرة**، 19/2.

وقول الحجاج: " هذه الشمس التي طلعت على التبابعة والأكاسرة، وخزائنهم السائرة بين أيديهم، وقصورهم المشيدة، ثم طلعت على قبورهم، أين الملوك الأولون؟ أين الجبابرة المتكبرون؟ المحاسب الله، والصراط منصوب، **وجهنم تزفر وتتوقد**، وأهل الجنة ينعمون، في روضة يحبرون"[1]

والزفير صوت لهيب النار بعد الاشتعال وتوقد النار إشعالها، وإشعال النار وتوقدها يسبق صوتها أي نار جهنم، ولفظ تزفر أشد وقعًا في النفس من لفظ تتوقد، فلو اكتفى بلفظ جهنم تتوقد لما أحدث رهبة في نفوس السامعين، وزفير النار وحده لا يكفي من ناحية التعبير، فلا زفير للنار إلا بوقودها، ووقود النار يتبعه صوتها أي زفيرها، إذًا فزفير النار يأتي بعد وقود النار أي بعد إشعالها، وقدّم لفظ تزفر لإحداث التخويف والترهيب أكثر ما يكون. والنار وهي مشتعلة ومتوقدة لا ترعب إلا إذا صدر عنها صوت زفيرها.

وقول معاوية بن أبي سفيان: "إني من زرع قد استحصد، وقد طالت عليكم إمرتي، **حتى مللتكم ومللتموني**، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي"[2].

كلام معاوية كناية عن الإمارة وطولها، وطول المدة يسبب الملل، ولكنه قدَّم مله من الرعية، على ملل الرعية منه. فلم يقل مللتموني ومللتكم.

وهنا صيغة ضمير المتكلم سبقت صيغة ضمير المخاطب، ولم يرد خطاب من الرعية على مللهم منه، بل كان خطابه سابقًا للرعية من حيث الملل، وفترة الحكم للخليفة في الإسلام غير محددة أو مؤقتة، بما أن الخليفة يطبق الإسلام وعلى اتفاق مع رعيته التي يحكمها فلا داعي لتركه للإمارة أو عزله عنها، وسر التقديم في ملل الحاكم من رعيته، يكمن في طول مدة إمارته، وهنا استدعى التجديد للحاكم، والسياق العام لكلام معاوية هو إحساسه بتعب المسؤولية أو شعوره بدنو أجله فغلب على الكلام تقديم صيغة التكلم ثم الانزياح للمخطاب.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 301/2.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 185/2.

وقول قتيبة بن مسلم الباهلي: "إن عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم، وتأييده إياكم في مزاحفتكم ومكاثرتكم، كل ذلك يفلجكم الله عليهم، فأجمَعُوا على أن يحتالوا غِرّتكم وبَيَاتَكم، **اختاروا دهاقينهم[1] وملوكهم**، وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم"[2]

ولفظ اختاروا أي صوبوا نحوهم واقتلوهم، ولكن قتل الملوك أولى من قتل الدهاقين؛ لأن الملوك أعلى منصبًا من الدهاقين، فالدهاقون بطانة للملوك، ولكن تقديم الدهاقين على الملوك جاء على احتمالية غيابهم عن خوض المعارك، واحتمالية حضور الدهاقين أقوى من احتمالية حضور الملوك، والدهاقون يأتون بعد الملوك مرتبة، فقدّمهم كي يتم التركيز على قتلهم وتصويب الضربات تجاههم في أرض المعركة.

وقوله: " يا أهل العراق انسبوني، تجدوني عراقي الأم، عراقي الأب، عراقي المولد"[3]

وكلامه عن النسب وقدَّم نسب الأم على نسب الأب والمولد والهوى والرأي والدين، وبهذا التنسيق اللفظي قد غيّر في الترتيب المنطقي، فالإنسان في الشرع الإسلامي يُنسب لأبيه وعائلة أبيه، وهنا أخذت الأم مكانها الأليق في النسب لأنها تُنجب وتلد فبدأ بها في النسب تشريفًا لها، مع أن الأب أحقّ في التقديم في النسب ومتعارف عليه بين الناس، ولكن الرتبة والعاطفة القلبية ساعدت في عملية التقديم. وعليه ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: (أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك)[4].

وخلاصة القول إن التقديم والتأخير من السمات البارزة في الخطب الأموية استخدمه الخطباء في تعبيرهم المقصود، فما قدّم لفظ في الغالب ولا أُخّر إلا لغرض بلاغي وحكمة في الأسلوب، اقتضى من الخطباء التأثير في نفس المتلقي.

---

[1] الدهاقون: وهو بالفارسية رئيس الفلاحين أو رئيس القرية. ينظر: قلعجي، محمد. وقنيبي، حامد، **معجم لغة الفقهاء**، 30.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 306/2.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 306/2.
[4] مسلم، **صحيح مسلم**، 244/3.

المبحث الثالث: الالتفات

أولًا: الانزياح في الضمائر

للضمائر أثرٌ بارز في السياقات المنزاحة، فالانزياح من ضمير لآخر يحقق انعطافًا واعيًا، ويعطي النص جرعة دلالية مكثفة يستدعيها التتابع السياقي[1].

1 . الانزياح عن صيغة **التكلم** إلى صيغة **الخطاب**

وقد ظهرت هذه الصيغة في الخطب الأموية، كقول **معاوية**: " أيها الناس **إنا قدمنا عليكم**، وإنما قدمنا على صديق مستبشر، أو على عدو مستتر، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون "[2]

وهذه الصيغة اللفظية في كلامه تُظهر انزياحًا في إحداث التفات في تركيب الضمائر من التكلم (قدمنا) إلى المخاطب (عليكم)، وأفاد الالتفات حرصه على جميع رعيته، أي أنه قدم على رعتيه وبيّن في خطابه أنه الحاكم عليهم، فكان الالتفات مظهرًا لعملية القدوم أي توليه منصب رئاسة الأمة، وفي صيغة الجمع (إنا) إشارة إلى التفخيم والاعتزاز بالنفس.

وقول **عبد الملك بن مروان**: "حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف"[3]

وكلام عبد الملك جاء في سياق التهديد والوعيد، وأحدث انزياحًا في التركيب، وساعد الانزياح في زيادة كلمات الجملة، فلم يقل: "حتى اجتمعنا عند السيف"، بل زاد ضمير التكلم والخطاب اجتمعنا وأنتم.

والانزياح في التركيب والتحول من صيغة لصيغة في الضمائر لم يكن عبثًا، بل أعطى معانيَ، منها: ضمير التكلم أفاد الجمع والمتحدث مفرد هو عبد الملك بن مروان، ولكن ضمير الجمع هنا تحدث به

---

[1] ينظر: داود، عشتار، **الأسلوبية الشعرية قراءة في شعرمحمود حسن اسماعيل**، 164.
[2] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/4.
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 150/5.

باسم الدولة والقضاء، وأفاد التعظيم والهيبة والسيطرة، وجاء بضمير المخاطب (أنتم) وكان قادرًا على أن يحذف، واكتفى بقوله: "حتى اجتمعنا عند السيف" ولكن ذكر ضمير المخاطب كان ضرورة في كشف المخاطب وإظهاره وتحديده، وهم الناس، وقبل تهديده ووعيده، قد بيّن لهم الحدود والفروض وحذرهم من الوقوع في الذنب وبالتالي كانت هي العقوبة، فكان جريان السياق والتفاته مكملًا لما بدأ به في خطابه وقد أضفى في خاتمة خطابه تساوي في التفات الضمائر وما يصدر من تنوع الالتفات من تأثير على المعاني وتحقيق لطائف بلاغية.

وقول **عمر بن عبد العزيز**: "وإني قد خلعتُ ما في أعناقكم من بيعتي"[1]

والالتفات كان نتيجة لتعدد ضمائر التكلم في بداية الخطبة، وصيغة التكلم لابد أن تنتقل إلى غيرها من صيغ الضمائر، فالمتكلم يوجه حديثه للناس إما بصيغة الخطاب أو الغيبة، وخطاب الخليفة عمر عن توليه الخلافة، فلابد من جمع الناس، واستعمال صيغ التكلم والخطاب، والانزياح هنا أحدث توجيهًا لطيفًا في خطاب عمر لرعيته، فالمتكلم أصبح مخاطبًا ينصح ويوجّه ويرشد ويضع أمته أمام خيارين: خيار أن يحكمهم أو لا يحكمهم، وألصق ضمير المخاطب (كم) بالجمع؛لأن المخطابين هم جماعة المسلمين وكذلك تنصيب الخليفة بيد الأمة ولها الخيار والقرار.

وقول أبي حمزة الشاري: "تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم، فإنْ نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا وفيكم كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ" وهنا التفت أبو حمزة الشاري من ضمير التكلم (نحن) إلى ضمير المخاطب (أنتم) وكلا الصيغتين جاءتا بالجمع، إذ أحدث الانزياح في تركيب الجملة دلالة الجمع ولِمّ الشمل وتقرير المصير، فساهم ذلك في حث الناس على جمع الكلمة وتوحيد الصف والوصول إلى الغاية العظمى وهي العيش تحت ظلال الجماعة والوحدة.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 203/2.

2 . الانزياح عن صيغة التكلم إلى صيغة الغيبة

ظهر في كلام **عمر**: "يعيننا على الخير بجهده"[1]

ومقتضى السياق أن عمر بحاجة إلى من يعينه في قضاء حوائج الناس ورعايتهم، وضمير الغيبة جاء مفردًا (بجهده) ؛ لأن الإعانة ليست من الضرورة أن تكون من كل الناس، وهنا أشار بضمير الغيبة (بجهده) على الاستطاعة، فكل له طاقته وجهده، وفي خطابه ندرك تمامًا تفاوت الناس في جهودهم وقدرتهم على إعانة حاكمهم في قضاء حوائج الناس.

وفي الانزياح من **الغيبة إلى التكلم** ظهر في كلام **عبد الملك**: "فمن قال برأسه كذا قلنا له بسيفنا كذا"[2]

والالتفات ظهر في فعلي القول (قال، قلنا)، والقول ليس بمعنى الحديث والتكلم بل المخالفة والتمرد وعدم الطاعة، واقتران ضمير التكلم بالقول أفاد العقوبة وتنفيذها، والتحول لها دلالة اقتضاها سياق الجملة العام، والإخبار بضمير الغيبة أفاد احتمالية عصيان الخليفة والإخبار بضمير التكلم أفاد وقف حد من تسول له نفسه معصية الخليفة وإحداث أي خلل في الدولة.

وفي قول **معاوية**: "كما لم يأتكم قبلي إلا من كان خيرًا مني"[3]

وضمير الفعل (كان) ضمير غيبة عائد على من حكم الناس قبله، وفي ضمير الغيبة كذلك إخبارٌ على أن حكام الأمة السابقين خيرٌمن اللاحقين وممن يأتون بعده، وهنا ظهرت الحاجة إلى مغايرة في الضمائر من الغيبة التي أفادت أخبار عن الماضي وأحوال الخلفاء وحال الناس، إلى ضمير التكلم (مني)،

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 204/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 205/2.**
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 185/2.**

وهنا أراد معاوية أن يقرّ للناس ويطلعهم على حقيقة مفادها أن الخير فيمن سبقوني وفيّ كذلك، أي أن ضمير التكلم أفاد الخيرية، إذ ضمّ معاوية نفسه للأخيار من الخلفاء.

3 . الانزياح عن صيغة الغيبة إلى صيغة الخطاب

قول **معاوية**: "ما وليتها بمحبة علمتها منكم"[1]

وحديثه عن توليه إمارة الدولة والناس، وفي كلامه القليل اختصر معاوية لما جرى من أحداث قبل استلامه ولاية الناس، واستعماله لضمائر الغيبة والخطاب أحدث إيجازًا وتقليلًا للكلام، فالمقام ليس بحاجة إلى التطويل وسرد مجريات الزمن الماضي، والالتفات كذلك ساعد في الإيجاز وتوجيه الخطاب، ووضع المخاطب في الوضع العام لحال الحاكم الجديد، وكيف أخذ الحكم عنوة، ورسم بخطابه سياسته المقبلة للدولة، وبالتفاته نستنتج تمكنه من قبضة الحكم (ولايتها) أي الدولة، وكان انزياحه للخطاب لازمًا لإخبار الناس أن ولايته أخذها منهم عنوة، وكان في توجيه خطابه تأكيدًا على ذلك.

ومن **الخطاب إلى الغيبة** قول **يزيد**: "أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه"[2]

ونلاحظ ربط ضمير المخاطب (كم) بالفعل المضارع دلالة على استمرارية الوصية، وضمير المخاطب جاء بصيغة الجمع تشريفًا وتعظيمًا لقدر رعيته، ثم جاء بضمير الغيبة الذي يعود إلى الله -عز وجل- (ابتدأ) ليشير لهم أن الذي ابتدأ الأمور هو نفسه الذي أوصيكم بتقواه، فضمير المخاطب ارتبط بضمير الغيبة من حيث لفت نظر الموصى بتقوى الله إلى عظمته فهو المبتدئ للأمور والخلق كله.

وقول **معاوية**: "فارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم"[3]

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/2.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 190/2.
[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 40/2.

وينسب هذا القول -أيضًا- للإمام علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه-، إذ قال: "واتعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، وارفضوها ذميمة، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم"[1]

وعلق عليها الرضي قائلًا: "وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهي من كلام أمير المؤمنين -عليه السلام- الذي لا يشك فيه"[2].

وعلق عليها الجاحظ قائلًا: "وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب: منها أن الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، ومنها أن هذا المذهب تصنيف الناس، وفي الأخبار عما هم عليه من القهر والاذلال، ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي رضي الله عنه ومعانيه وحاله منه بحال معاوية. ومنها أنّا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ولا يذهب مذاهب العباد.

وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه، والله أعلم بأصحاب الأخبار، وبكثير منهم"[3].

وذكرت في العقد وعيون الأخبار وجمهرة الخطب، لكن دون بحث وترجيح في سندها ونسبها، إنما نسبوها لمعاوية بن أبي سفيان، وأرجح أنها للإمام علي –كرم الله وجهه-؛ لأن حجج وتراجيح الشريف الرضي والجاحظ أقنع وهم من بحثوا في سندها ونسبها أمّا غيرهم ممن نقلوها فلم يعلقوا عليها.

وضمير الخطاب جاء على شكل واو الجماعة وكذلك اشتمل ضمير الخطاب على ضمير عائد على الدنيا (ها) ونلاحظ اتباع الذم لضمير الخطاب، ثم أعطى حقيقة ظاهرة للناس وهي: "فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم" ودل الانزياح من الخطاب إلى الغيبة على الحث على الرفض مع الإقناع، إذْ استعمل صيغة الغيبة في إقناع المخاطب وحملت صيغة الغيبة الاستبعاد لمن كان للدنيا شغوفًا.

---

[1] ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، 175/2.
[2] ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، 175/2.
[3] **البيان والتبيين**، 40/2.

ثانيًا: الانزياح في العدد

هناك انزياحات في العدد تتمثل في الانتقال من التعبير بصيغة الإفراد أو التثنية أو الجمع إلى التعبيربصيغة أخرى مع إبقاء المعنى المراد بكل صيغة على ما هو عليه أي وضعها الأصلي، وهنا تتحقق فائدة الانزياح، أي الانتقال بين الصيغ، وهناك أسلوب لافت في الانزياح بالعدد وهو التعبير بإحدى صيغ المفرد، أو المثنى، أو الجمع والمراد معنى الصيغة الأخرى[1]. وهذا ما سنتناوله في الانزياح في العدد.

والانزياح في العدد له مظاهر، منها:

1 . من الجمع إلى المفرد

قول **معاوية**: " ولست تاركا إيصاءك بخصلة: لا تَتَحَمَّ عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان، والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه، والإدناء لهم، والاستماع منهم"[2]

ألصق لفظ شيعة لعثمان ودعا برضوان الله على عثمان وحده ولم يقل: "وبإطراء شيعة عثمان رضي الله عنهم"، والظاهر أن تخصيص عثمان -رضي الله عنه- بالدعاء لمعرفته بعثمان على وجه التحديد، وقلة أو عدم معرفته بشيعته وأتباعه ككل، وكذلك الدعاء بـ(رضي الله عنه) هو الدارج والمشهور والملحق دائمًا مع اسمه رضي الله عنه، وكذلك نكاية بعلي وأصحابه، فقد ذكر علي دون أي دعاء وذكر شيعته، فكان الدعاء برضوان الله لعثمان بالتخصيص والتحديد.

وقول **يزيد**: "أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه"[3]

---

[1] ينظر: السيوطي، جلال الدين، **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**، 31.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 2/184.**
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 177/4.

وهنا انزاح عن الجمع إلى المفرد في كلمة "الأمور" و"بعلمه"، ولم يقل: "ابتدأ الأمور بعلومه"، واللفظ الواحد وهو "علم" من باب نسبه إلى الله تعالى، وهذا من حسن اللفظ والاختيار، وذلك تعظيمًا لله وحده لأن موضوع الكلام عن بداية الخلق وعلم الله بما كان؛ لأنه تعالى كان قبل الخلق كله، والأمور كثيرة منها خلق السماوات والأرض والجنة والنار... ولفظ المفرد (العلم) يفيد عظمة الله، وأن علمه الواحد لا يوازن بعلوم غيره كلها، فهو واحد أحد وعلمه عند ابتداء الخلق واحد ثابت.

وقول **عمر بن عبد العزيز**: "خلعت ما في أعناقكم من بيعتي"[1]

وهنا أحسن في بنية الانزياح، وأعطى توافقًا دقيقًا في توجيه الخطاب من حيث العدد، والالتفات عن الجمع للمفرد، وحديثه عن البيعة، وأي بيعة؟ وهي عقد بين الأمة والحاكم، ولو قال: "خلعت ما في عنقكم من بيعتي" لاختلت شروط البيعة، فعنق واحد من الأمة لا يكفي لتنصيب خليفة، فالخليفة لا يحكم واحدًا فقط، بل أمته كلها، فوجبت البيعة من كل الأمة، أي أعناق الأمة كلها، يعطون عهدهم وميثاقهم أي بيعتهم إلى خليفة واحد.

وقول **عبد الملك**: "لا تزدادون بعد الموعظة إلا شرًّا"[2]

وهنا أسلوب توبيخ مع وصف حالهم، أي أن موعظة واحدة لا تردع جماعة الناس، ولم يقل: "لا تزدادون بعد المواعظ إلا شرًا" والموعظة الواحدة التي يريدها عبد الملك أن تردع الناس هي قتل عبد الملك لمصعب بن الزبير، وهي موعظة بالكف عن القتل وإراقة الدماء، وكأنه يقول لهم: ألا تكفي موعظة واحد يا جموع الناس، كي لا تزدادوا شرًا، فموعظة قتل مصعب بن الزبير وهي موعظة واحدة كفيلة لردع كل الناس، وكذلك وكأنه يقول لهم هل تحتاجون لغير موعظة واحدة كي تكفوا عن شركم، وعدم استقامتكم على سبل الهدى!

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 2/203.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 1/365.**

وهنا وافق بين خطابه للناس بقوله: "تزدادون" ولفظ "الموعظة" بين الجمع والمفرد.

وقول **الحجاج**: "لا تشكرون نعمة"[1]

وهنا يخطاب الحجاج أهل العراق مهددًا لهم وواصفًا إياهم ومظهرًا لعيوبهم، وقد التفت عن الجمع إلى المفرد، "تشكرون" و "نعمة" ولم يقل: تشكرون النعم، والتفاته له دلالات في نفسه يقرأها المتلقي عن طريق العلاقة بين الحجاج وأهل العراق وهي علاقة العداء، والسر في الالتفات اختصار من الكلام، وكأنه يريد القول: أنتم يا أهل العراق لا تشكرون النعم وأنا أطلب منكم شكر نعمة واحدة أي أنه استيأس منهم فهم ليسوا مستعدين لشكر نعمة واحدة، فخاطبهم بـ(لا تشكرون نعمة)، وذلك تحقيرًا لهم وإظهار تقصيرهم وعيوبهم.

وقول **زياد**: "كلهم يزعم أنه طالب حق"[2]

ولم يقل: "كلهم يزعمون"، فما السر؟

فلفظ كل يدل على الجمع، وعندما انزاح إلى المفرد عن طريق الفعل المضارع (يزعم) كان ذلك أنسب للفظ من (يزعمون) وصيغة المفرد (يزعم) لها دلالتها في تخصيص الزعم، أي أن كل واحد منهم فردًا فردًا يزعم، فالانزياح إلى المفرد شمل الجميع في الزعم ولم يستثنِ أحدًا.

2 . من المفرد إلى الجمع:

قول **يزيد**: "ضرب فيه الأمثال"[3]

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 245/2
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 268/2.
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 177/4.

وكان مقتضى السياق أن يقول: "ضرب فيه المثل" ولكنه انزاح من المفرد إلى الجمع، دلالة على كثرة الأمثال في القرآن وغزارتها، ودلالة على تعظيم القرآن، ولو قال ضرب فيه المثل لما أظهر تعظيمًا للقرآن الكريم، فالانزياح إلى الجمع أفاد أن القرآن كتاب واحد ولكن الأمثال فيه كثيرة، وكذلك أفاد الجمع التعظيم لهذا الكتاب الذي يحوي أمثالًا كثيرة.

وقول **عمر**: "إلا نظر قطيعًا من ماله، يجعله للفقراء والمساكين واليتامى والأرامل"[1]

وتمثل الانزياح في كلمة (ماله) إلى صيغ الجمع (الفقراء، المساكين، اليتامى، الأرامل)، ولم يقل: من أمواله، والخطاب عام، والالتزام بما جاء في الخطاب لا يكون من كل الناس، أي لا يكون من الجميع، فيكون من فئة معينة قادرة أغناها الله بالمال، وكذلك نصيب الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل لا يكون من كل أموال الأغنياء بل أجزاء من أموالهم، فلفظ مال دل على المفرد، وهذا المال يُوزع على هذه الأصناف وطبيعة هذه الأصناف تكون جمعًا، فالفقراء والمساكين والأرامل واليتامي كُثُر والمال يبقى واحدًا يوزع على هذه الأصناف من بعض أموال الأغنياء المقتدرين.

وقول **الحجاج**: "تأكل من لحومنا"[2]

وانزاح هنا من صيغة المفرد: (تأكل) أي الأرض إلى صيغة الجمع (لحومنا) ولم يقل: (من لحمنا) وهذا فيه دقة في اختيار الكلمات وربطها في السياق، فلحوم البشر كل البشر عرضة للأكل في باطن الأرض، ولو جاء بصيغة المفرد (لحمنا) لخالف ما جرى ويجرى للحوم الأموات في قبورهم، أي أن جميع لحوم الناس بعد الموت مصيرها واحد، كذلك في هذا الانزياح إشارة إلى لحومنا جميعًا أي لا تفريق بين البشر بعد موتهم لا باللون ولا بالغنى والفقر... فالأكل يشمل جميع اللحوم ولا يفرق بينها.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 206/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 207/2.**

3 . من **المثنى إلى المفرد والعكس**

كقول زياد بن أبيه: **"**فوجدتُ أحمد العاقبتين العافية**"**[1]

والعاقبة نهاية الشيء[2]، ونجده استعمل اسم التفضيل في كلامه وانزاح من صيغة المثنى (العاقبتين) إلى صيغة المفرد (العافية) ولم يذكر من العاقبتين إلا عاقبة واحدة وهي العافية، وهذا الانزياح ساعد في إهمال العاقبة غير المذكورة والتركيز على عاقبة العافية وهنا ظهرت براعة الانزياح إلى المفرد، أي إهمال أحد العاقبتين وعدم ذكرها والتركيز على عاقبة واحدة ألا وهي العافية وهي الأهم.

ولعله يقصد بالعاقبة الأخرى دفع البلاء المفهوم من قوله السابق في أول الخطبة: " ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم..."

4 . من المثنى إلى الجمع

قول عبد الملك: **"**إنما هي المصافحة والمكافحة، بظبات[3] السيوف وأسنة الرماح**"**[4]

وصيغ المثنى المستعملة داخل السياق، جاءت على شكل خيارات، أي أنه حصر خيارات الحرب بالمصافحة أي المواجهة ولقاء السيوف وقصد بذلك الهجوم، والمكافحة أي الردع والدفاع، ثم انتقل بانزياحه إلى صيغة الجمع الذي أفادت التهويل في الدلالة وصيغة الجمع (السيوف) هي المناسبة لأحداث الحرب، فالجمع يفيد الكثرة، ويجب أن تكون أسلحة المصافحة والمكافحة كثيرة، منها للهجوم ومنها للدفاع والصد والردع.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 2/268.**
[2] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: عقب.
[3] والظبة: حد السيوف وما شابهها. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (ظبب).
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 2/193.**

قال السموءل:

تسيلُ على حدّ الظّبات نفوسنا وليست على غير السيوف تسيلُ[1]

والمعنى: إن دماءنا تراق على السيوف والرماح، ويريد أنهم يفضلون الموت قتلًا بحد السيف أو بسنان الرمح، كناية عن شجاعتهم وإقدامهم.

ثالثًا: الانزياح في صيغ الأفعال

كثيرًا ما يخرج الخطباء في تعبيراتهم عن النمط المألوف للغة من حيث التصرف في أزمنة الفعل في السياق الواحد، كأن ينزاح عن الماضي إلى المضارع والعكس، أو عن الماضي إلى الأمر وغيرها من صور الانزياح في صيغ الأفعال، التي تكشف عن تصادم الأزمنة على مستوى البنية السطحية، مما يدفع المتلقي إلى الانتباه والتفاعل مع النص، ومحاولة إعادة التوافق بين صيغ الأفعال وأزمنتها في البنية العميقة[2].

1 . من صيغة المضارع إلى صيغة الأمر

ومن أمثلته قول معاوية: "وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه"[3]

تضمن السياق انزياحًا من صيغة المضارع (أقومُ) إلى صيغة الأمر (فاقبلوا) وذلك طلبًا من المخاطب بقبول ما سيقوم به معاوية، فاقتضى الانزياح ذلك، فهو مستعد القيام بحق الرعية حسب استطاعته، وصيغة الأمر (فاقبلوا) مضمون الأمر والطلب وتضمن كذلك صيغة المأمور وهم الرعية أن يقبلوا قيامة بأعباء الحكم الموكولة لمعاوية، وتضمن الأمر كذلك التلطف في الخطاب.

---

[1] **الديوان**، 46.
[2] ينظر: الخرشة، أحمد غالب، **أسلوبية الانزياح في النص القرآني**، 141، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، مؤتة، 2008م.
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 171/4.

وقول قتيبة: "كل ذلك يفلجكم[1] الله عليهم، فأجمعوا على أن يحتالوا غرتكم وبياتكم"[2]

وهنا هيّأ معاوية من يخاطبهم نفسيًا وانزاح من المضارع (يفلجكم) الذي تضمن نصر الله إلى طلبه بالاستعداد والانتباه، وارتبطت صيغ الأفعال في الزمن الحاضر والمستقبل، واستلزم طرح صيغة الأمر تهيئة للمخاطب بحجم الحدث الذي سيحصل فكان انزياحًا بارعًا في صيغ الأفعال من المضارع للأمر؛ لأن الموقف والحدث تطلبا ذلك.

2 . من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي

قول يزيد بن معاوية بعد موت أبيه: "وخيرًا ممن يأتي بعده، ولا أُزكيه عند ربه وقد صار إليه"[3]

وتمثل الانزياح في تزكية الخليفة معاوية (ولا أُزكيه)، ثم تمثل بصيغة الماضي (صار إليه)

وفي البحث في دلالات هذا الانزياح في الصيغ نجد أن الفعل الماضي قد مضى وتحقق، ومقتضى السياق عن الموت أي أن معاوية قد صار وانتهى إلى الله، وقبل أن ينزاح من صيغة المضارع (أزكيه) كان مقتضى السياق المدح والثناء وعندما اقترب من نهاية المدح والثناء تطلب الخطاب الانزياح من صيغة المضارع إلى الماضي الذي دلّ على التحقق وانقضاء زمنه.

وقول عمر بن عبد العزيز في بعض خطبه: "وإنما يفرح مَنْ أمِنَ من أهوال يوم القيامة"[4]

وهنا ارتبط الانزياح من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي بالزمن، وصيغة الفعل (يفرح) زمنها المستقبل، وهي مرتبطة ارتباطًا حتميًا بسببها، لماذا الفرح؟ ومتى يكون؟ والسبب في ذلك يكون الشعور

[1] يفلجكم: يظفر لكم وينصركم. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: فلج.
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 306/2.
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 177/4.
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 209/2.

بالأمان وتحقق فعل الأمن يوم القيامة، فنلاحظ ارتباط صيغة المضارع بصيغة الماضي لربط الحاضر بالماضي، فكان الانزياح لافتًا للنظر وله قيمة في دلالات السياق العام.

3 . من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع

قول زياد: "كتب إليّ يُرعد ويبرق"[1]

وتجسّد الانزياح عن صيغة الماضي (كتب) إلى صيغة المضارع (يرعد ويبرق)؛ لأن رسالة التهديد مكتوبة وقد تحقق زمنها من حيث الكتابة، أما تنفيذها فلم يحن بعد حسب سياق الجملة، فتطلب الأمر الإتيان بصيغة المضارع الذي يدل على الاستمرارية المرتبط بالزمن المستقبل، وصيغة المضارع ساعدت في استحضار عملية الرعد والبرق أي التهديد والوعيد، فيصم الأذنين بارتفاع صوته ويعمي البصر بوهجه.

وقول قتيبة: "إن الله أحلكم هذا المحل ليعزّ دينه ويذب بكم عن الحرمات"[2]

وكلام قتيبة عن الحرب والمعركة، ولو أحدثنا التوافق بين صيغتي الماضي والمضارع وربطنا بين الصيغتين لوصلنا إلى الانزياح في الجملة، فإعزاز دين الله متوقف على الحلول في أرض المعركة أي المثول في ساحات القتال والنزال، وبالتالي الانتصار وبعدها يحل زمن إعزاز دين الله والذب عن الحرمات.

قول يزيد: "أوصيكم بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه، وإليه يصير معادها"[3]

وكلام يزيد عن بداية خلق الله للأمور أي البداية، ولكل بداية نهاية، فانزاح من الماضي بعد أن تحقق الفعل وانتهى وبعد أن أعطى الخطيب الخبر في بداية الخلق (ابتدأ الأمور)، وانزاح إلى صيغة المضارع (يصير معادها) كي يكشف لنا النهاية وأحداثها، فكان الانزياح متوافقًا من حيث الزمن ومرتبطًا

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 189/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 304/2.**
[3] ابن عبد ربه، **العقد الفريد، 177/4.**

ببعضه فلكل بداية نهاية فاستلزم الخطاب الانزياح من الماضي إلى صيغة المضارع التي حملت دلالات المستقبل والنهاية المقبلة.

قول عبد الملك: **"فمن شاء منكم أن يعود لمثلها فليعد"**[1]

وصيغة الفعل الماضي (شاء) دلالتها اتخاذ القرار، واتخاذه يكون في قرارة النفس، ويكون القرار معروفًا حسب اختيار الإنسان وميله له، ولكن تنفيذه على أرض الواقع بشكل علمي يختلف، فالمشيئة جاءت بصيغة الماضي وتكون غير مطبقة بعد، ولكن صيغة المضارع المقترن بلام الأمر يقلب المضارع الخبري إلى صيغة الإنشاء الأمري (فليعد) لم توجد عمليًا؛ لأن السياق يتحدث عن المستقبل وتبقى الاحتمالية واردة، فصيغة الماضي أفادت التحقق والانزياح لصيغة المضارع المتضمنة للأمر أفاد الطلب والتخيير.

4 . من صيغة الماضي إلى صيغة الأمر

قول زياد: **"اللهم كما زدتنا نعمًا فألهمنا شكرًا"**[2]

وكلام زياد عن الزيادة في النعم، وقد حصل الفعل بزيادة النعم وتحقق، والزيادة في النعم يستوجب زيادة في الشكر، فانزاح زياد عن صيغة الماضي إلى صيغة الأمر؛ لأن السياق يتطلب الإتيان بصيغة الأمر (فألهمنا)، وكان الانزياح ناجحًا كي يتم التوافق اللفظي من أول الجملة لآخرها، وصيغة الأمر (ألهمنا) دالة على ضرورة الطلب والدعاء والابتهال إلى الله أن يلهمنا الشكر على نعمه حتى تدوم، وبالشكر تدوم النعم وإلا فالنعم لن تزداد؛ لأن صيغة الماضي مترتبة على صيغة الأمر. وفي كلتا الصيغتين جاء الضمير (نا) للدلالة على أن النعم شملتنا جميعًا وبالتالي علينا أن نشكرها.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 194/2.**
[2] الجاحظ، **البيان والتبيين، 40/2.**

قول معاوية: "اللهم إني قد أحببتُ لقاءك، فأحببْ لقائي"[1]

كلام معاوية العام في سياقه يكشف عن شعوره باقتراب موته وعن حبه للقاء الله، وبشعوره من دنو أجله ورحيله عن الإمارة، قد وقع حب لقاء الله في قلبه فعبّر عنه، ولم يتوقف كلامه بصيغة الماضي المتحققة، بل انزاح إلى صيغة الأمر والطلب (فأحبب لقائي) فتشكلت الصياغة بشكل مناسب ولائق، فلو اكتفى بصيغة الماضي ولم ينزح إلى الأمر لكانت الصياغة غير مكتملة، وقد أحدث الانزياح في الجملة رغبة معاوية في لقاء الله وهو راضٍ عنه.

قول عبد الملك: "والإحسان مبذول لمن عرف رشده وأبصر حظه، فانظروا لأنفسكم"[2]

وصيغة الماضي (**عرف** رشده **وأبصر** حظه) تتحدث عن غير الذين يخاطبهم عبد الملك، وجاء بصيغة الماضي وانزاح بعدها إلى صيغة الأمر، وحث المخاطبين على اتباع من قد عرفوا رشدهم وأبصروا حظوظهم، فأعطى نموذجًا عن الرشد بصيغة الماضي، وجاء بصيغة الأمر مباشرة (فانظروا لأنفسكم) يوصي من يخاطبهم باتباع من ذكرهم في صيغة الماضي. فمن باب ذكر النموذج المثالي الذي قد تحقق وانقضى وضرورة الاتباع والاقتداء.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 185/2.**
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 194/2.**

خاتمة

. تعددت مصطلحات الانزياح إلى انحراف واتساع وعدول وغيرها وتعددها يدل على أن لكل مصطلح دلالة خاصة به، وكذلك تعددت أنواعه.

. الانزياح الدلالي يتجلى في الأنواع التي درسها علم البيان من: البنية والدلالة والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض والمجاز.

. الانزياح التركيبي يربط بين الدلالات في التركيب وأهم مظاهره: التقديم والتأخير والحذف والالتفات.

. غاية الانزياح جذب انتباه المتلقي وإثارته وإضفاء صور جمالية خفية في النص.

. الانزياح بأشكاله يكاد لا يخلو من كل خطبة من خطب الأمراء والحكام، وظهر الانزياح بنوعيه في هذه الخطب وكان لكل منها دوره الفعّال في النص النثري.

. يتبع الخطباء الكناية بالثنائيات كالمقابلة والعكس والتبديل.

. نلحظ الأسلوب الإنشائي الطلبي بكثرة في الخطاب الفني مثل الاستفهام والأمر والنداء والنهي، وكذلك قلة ورود أسلوب القسم في الخطب الأموية الذي جاء في سياق الإقناع والتأثير والتأكيد.

. تكرار نداء الحجاج لأهل العراق عدة مرات في خطبه، وكان النداء بـ (يا) يا أهل العراق، فهو يشير إلى غفلة أهل العراق وأنهم في سبات عميق.

. ورد التشبيه في الخطب الأموية لترتيب المعنى ومقارنة الألفاظ التي تمتلك صفة مشتركة وتوضيح الفكرة لدى السامع.

. كثر الاقتباس والتضمين في الخطب الأموية للتقرير والتأكيد وتقوية الأسلوب.

. يعدّ أسلوب القسم الإلهي من الظواهر النادرة في خطب الأمراء الأمويين.

. تهدف خطب الأمراء والملوك إلى التأثير في المتلقين وإقناعهم بالاعتماد على الحجج والبراهين.

. اعتماد الخطب الأموية الضرب على الوتر النفسي الحساس للترهيب والتخويف والترغيب.

. اعتمدت الخطب الأموية كغيرها من الخطب على الأسلوبين الخبري والإنشائي، مع تشابه معاني هذين الأسلوبين في المعاني المجازية كالنصح والإرشاد والتحذير وغيرها، وتكاد تخلو الخطب من أسلوب التمني.

. كثر الحذف في الخطب؛ لأن العرب تميل إلى الحذف طلبًا للتخفيف سواء كان حذف جملة أو كلمة أو حرف، ولابدّ من مصاحبة قرينة أو أكثر تدل على المحذوف.

. كثر الالتفات في الخطب الأموية، وكشف عن تحولات مفاجئة داخل النصوص، سواء كان الالتفات في الضمائر أم الأفعال أم العدد.

. كان الحجاج غالبًا يعمد إلى افتتاح خطبه بالتهديد والوعيد لتنبئ عن غضب الخطيب وترهيب السامعين بشديد عقابه.

. حملت الجملة الواحدة في نصوص الخطب أكثر من أسلوب بياني والذي حمل دلالات بلاغية متعددة، موجود الكناية والاستعارة معًا.

. أسلوب الأمر في الخطب الأموية أكثر ما يخرج إليه هو معنى الوعظ والإرشاد وهو غاية الغايات المنوطة بالخطب خاصة الخطب الدينية.

. غلبَ على إنهاء الخطب الأموية الجمل الدعائية.

الملاحق

خطب زياد بن أبيه:

كان الإمام علي عليه السلام ولى زيادًا فارس -أو بعض أعمال فارس- فضبطها ضبطًا صالحًا، وجبى خراجها وحماها، فلما قُتِل الإمام بقي زيادٌ في عمله، وخاف معاوية جانبه، وعلم صعوبة ناحيته، وأشفق من ممالأته الحسن بن علي، عليه السلام، فكتب إليه يتهدده، فغضب زياد غضبًا شديدًا، وجمع الناس، وصعد المنبر، فحمد الله، ثم قال:

العجب من ابن آكلة الأكباد، وقاتلة أسد الله، ومظهر الخلاف، ومسرّ النفاق، ورئيس الأحزاب، ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله، كتب إلي يرعد ويبرق،عن سحابة جفل لا ماء فيها، وعما قليل تصيرها الرياح قزعًا، والذي يدلني على ضعفه تهدده قبل القدرة، أفمن إشفاق علي تنذر وتعذر؟ كلا، ولكن ذهب إلى غير مذهب، وقعقع لمن رَوِيَ بين صواعق تهامة، كيف أرهبه وبيني وبينه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن ابن عمه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار؟ والله لو أذن فيه أو ندبني إليه، لأرينه الكواكب نهارًا، ولأسعطنه ماء الخردل دونه، الكلام اليوم، والجمع غدًا، والمشورة بعد ذلك إن شاء الله" ثم نزل.

وخطبته وقد بعث معاوية إليه المغيرة بن شعبة يستقدمه:

وكتب إلى معاوية يرد عليه ردًّا شديد اللهجة، فغم ذلك معاوية وأحزنه، وأوفد إليه المغيرة بن شعبة بكتاب يتلطف به فيه ويستدنيه منه، ويستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان، وجعل المغيرة يترفق به، وينصح له أن يصل حبله بحبله، ولا يقطع رحمه، فتريث زياد يومين أو ثلاثة يروي في أمره، ثم جمع الناس، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس: ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم، ارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم، فقد نظرت في أمور "
الناس منذ قتل عثمان، وفكرت فيهم، فوجدتهم كالأضاحي في كل عيد يذبحون، ولقد أفنى هذان اليومان: يوم الجمل وصفين ما ينيف على مائة ألف، كلهم يزعم أنه طالب حق، وتابع إمام، وعلى بصيرة من أمره، فإن كان الأمر هكذا، فالقاتل والمقتول في الجنة، كلا: ليس كذلك ولكن أشكل الأمر، والتبس على القوم، وإني لخائف أن يرجع الأمر كما بدأ، فكيف لامرئ بسلامة دينه، وقد نظرت في أمر الناس، فوجدت أحمد العاقبتين العافية، وسأعمل في أموركم ما تحمدون عاقبته ومغبته، فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله" ثم نزل.

خطبته وقد استلحقه معاوية ولما أراد معاوية استلحاق زياد، وقد قدم عليه الشام، جمع الناس وصعد المنبر، وأصعد زيادًا معه؛ فأجلسه بين يديه على المرقاة التي تحت مرقاته، وحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس: إني قد عرفت نسبنا أهل البيت في زياد، فمن كان عنده شهادة فليقم بها"، فقام ناس، "
فشهدوا أنه ابن أبي سفيان، وأنهم سمعوا ما أقر به قبل موته؛ فلما انقضى كلام معاوية ومناشدته، قام زياد وأنصت الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس: هذا أمر لم أشهد أوله، ولا علم لي بآخره، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم، وشهدت الشهود بما سمعتم؛ فالحمد لله الذي رفع منا ما وضع الناس، وحفظ منا ما ضيعوا، فأما عبيد فإنما هو والد مبرور، أو ربيب مشكور" ثم نزل.

خطبته حين ولي البصرة "وهي البتراء"

وقدم زياد البصرة "غرة جمادى الأولى سنة 45هـ" واليًا لمعاوية بن أبي سفيان، وضم إليه خراسان وسجستان، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر؛ فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها، وقيل بل قال:

الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه، اللهم كما زدتنا نعمًا فألهمنا شكرًا

أما بعد: فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموفى بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرءوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول، أتكونون كمن طرفت عينَه الدنيا، وسدت مسامعُه الشهواتُ، واختار الفانيةَ على الباقيةِ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدثَ الذي لم تسبقوا إليه، من تركككم للضعيف يُقهر ويؤخذ مالُه، هذه المواخير3 المنصوبة، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر، والعددُ غيرُ قليل، ألم يكن منكم نُهاةٌ، تمنعُ الغُوَاةَ عن دَلَج الليل، وغارةِ النهار؟ قربتم القرابة، وباعدتم الدين! تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيه، صنيعَ من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادًا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء؛ فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم، كُنُوسًا في مكانسِ الرّيب حرامٌ عليَّ الطعام والشراب، حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا.

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه، فيقول: "انج سعد فقد هلك سعيد" أو تستقيم لي قناتكم، إن كذب المنبر بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علَيّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في، واعلموا أن عندي أمثالها، من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه فإياي ودلج الليل، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبرُ الكوفة ويرجعُ إليكم، وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحدًا دعا بها إلا قطعتُ لسانه، وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غَرَّقَ قومًا غرقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه، ومن نقب بيتًا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرًا دفناه حيًّا فيه، فكفوا عني أيدكم وألسنتكم، أكفف عنكم يدي ولساني، ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه

عامتكم إلا ضربت عنقه، وقد كانت بيني وبين أقوام إحن؛ فجعلت ذلك دَبْرَ أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنًا فليزدد إحسانًا، ومن كان منكم مسيئًا فلينزع عن إساءته، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السلُّ من بغضي لم أكشف له قناعًا، ولم أهتك له سترًا، حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سيُسرُّ، ومسرورٌ بقدومنا سيبتئس.

أيها الناس: إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أني مهما قصرت عنه، فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجبًا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقًا بليل، ولا حابسًا عطاء ولا رزقًا عن إبانة، ولا مجمرًا لكم بعثًا، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرًّا لكم. أسأل الله أن يعين كلا على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر، فأنفذوه على أذلاله، وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة؛ فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي"

فقام إليه عبد الله بن الأهتم فقال: "أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب"، فقال له: "كذبت ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه؛ فقام الأحنف بن قيس، فقال: "إنما الثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنا لن نثني حتى نبتلى" فقال له زياد: صدقت، فقام أبو بلال مرداس بن أدية وهو يهمس ويقول: أنبأنا الله بغير ما قلت. قال الله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} وأنت تزعم أنك تأخذ البريء بالسقيم، والمطيع بالعاصي والمقبل بالمدبر، فسمعها زياد، فقال: "إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضًا.

خطبة له في الكوفة، "ولي الْمُغِيرَة الْكُوفَة سنة إحدى وأربعين فِي جمادى، وهلك سنة إحدى وخمسين، فجمعت الْكُوفَة والبصرة لزياد بن أَبِي سُفْيَانَ، فأقبل زياد حَتَّى دخل القصر بالكوفة، ثُمَّ صعد المنبر فحمد اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فإنا قَدْ جربنا وجربنا، وسسنا وساسنا السائسون، فوجدنا هَذَا الأمر لا يصلح آخره إلا بِمَا صلح أوله، بالطاعة اللينة المشبَّه سرها بعلانيتها، وغيب أهلها بشاهدهم، وقلوبهم بألسنتهم، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلا لين فِي غير ضعف، وشدة فِي غير عنف، وإني وَاللَّهِ لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته عَلَى أذلاله، وليس من كذبة الشاهد عَلَيْهَا من اللَّه والناس أكبر من كذبة إمام عَلَى الْمِنْبَر ثُمَّ ذكر عُثْمَان وأَصْحَابه فقرظهم، وذكر قتلته ولعنهم.

خطبته بالكوفة يتهدد الشيعة، رجع زياد إلى البصرة، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث فبلغه " أن حجرًا يجتمع إليه شيعة عليّ رضى الله عنه، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه، وأنهم حصبوا عمرو بن حريث. فشخص إلى الكوفة، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وحجر جالس، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ غبّ البغى والغىّ وخيم، إن هؤلاء جمّوا فأشروا، وأمنونى فاجترءوا على الله، لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم، ولست بشىء إن لم أمنع الكوفة من حجر وأدعه نكالا لمن بعده! ويل امّك يا حجر، سقط العشاء بك على سرحان".

وخطب زياد فقال:

استوصوا بثلاثة خيرًا: الشريف، والعالم، والشيخ، فوالله لا يأتيني شريف بوضيع استخفّ به إلا " انتقمت له منه، ولا يأتيني شيخ بشاب استخف به إلا أوجعته ضربًا، ولا يأتيني عالم بجاهل استخفّ به إلا نكلت به". "

وفي رواية ابن عبد ربه: " استوصوا بثلاث منكم خيرا: الشريف، والعالم، والشيخ، فوالله لا يأتيني شيخ بحدث استخفّ به إلا أوجعته، ولا يأتيني عالم بجاهل استخفّ به إلا أثكلت به ولا يأتيني شريف بوضيع استخفّ به إلا ضربته".

خطبته عند موت معاوية، " ولما مات معاوية "سنة 60هـ" خرج الضحاك بن قيس الفهري -وكان صاحب شرطته- حتى صعد المنبر، وأكفان معاوية على يديه تلوح؛ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

إن معاوية كان عمود العرب، وحد العرب، قطع الله عَزَّ وَجَلَّ به الفتنة، وملكه على العباد، وفتح به البلاد، ألا إنه قد مات، فهذه أكفانه، فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره، ومخلون بينه وبين عمله، ثم هو في البرزخ إلى يوم القيامة؛ فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحصرْ عند الأولى".

خطب معاوية بن أبي سفيان:

خطبته بالمدينة عام الجماعة، قدم معاوية المدينة عام الجماعة "سنة 41هـ" فتلقاه رجال قريش، فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرك، وأعلى كعبك، فما رد عليهم شيئًا حتى صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رُضْتُ لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارًا شديدًا، وأردتها على سُنَيات عثمان، فأبت علي، فسلكت بها طريقًا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم، فإني خير لكم ولاية، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذني، وتحت قدمي، وإن لم تجدوني

أقوم بحقكم كله، فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا جاد يثرى؛ وإذا قل أغنى، وإياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة ثم نزل.

خطبة أخرى له بالمدينة:

أما بعد، أيها الناس، إنا قدمنا عليكم، وإنما قدمنا على صديق مستبشر، أو على عدو مستتر، وناس " بين ذلك ينظرون وينتظرون فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إذا هُمْ يَسْخَطُونَ

ولست واسعًا كلّ الناس؛ فإن كانت محمدة فلا بدّ من مذمة، فلومّا هونًا إذا ذكر غفر؛ وإياكم والتي إن أخفيت أو بقت، وإن ذكرت أوثقت".

خطبة له بالمدينة، " صعد منبر المدينة، فحمد الله وأثنى، ثم قال: يا أهل المدينة، إني لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق؛ يعيبون الشيء وهم فيه، كل امرىء منهم شيعة نفسه، فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شرّ لكم، وإن معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت، ولو قد أتى فالرّتق خير من الفتق، وفي كلّ بلاغ، ولا مقام على الرزية".

خطبته حين ولى المغيرة بن شعبة الكوفة:

أَمَّا بَعْدُ فإن لذي الحلم قبل الْيَوْم مَا تقرع العصا، وَقَدْ قَالَ المتلمس:

لذي الحلم قبل الْيَوْم مَا تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

وَقَدْ يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وَقَدْ أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتمادًا عَلَى بصرك بِمَا يرضيني ويسعد سلطاني، ويصلح بِهِ رعيتي، ولست تاركًا إيصاءك بخصلة: لا تتحم عن شتم علي وذمه، والترحم عَلَى عُثْمَانَ والاستغفار لَهُ، والعيب عَلَى أَصْحَاب علي، والإقصاء لَهُمْ، وترك الاستماع مِنْهُمْ، وبإطراء شيعة عُثْمَان رضوان الله عَلَيْهِ، والإدناء لهم، والإسماع منهم.

آخر خطبة لمعاوية بن أبي سفيان:

كَانَ آخِرُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنْ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَى " لِحْيَتِهِ، وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي مِنْ زَرْعٍ قَدِ اسْتَحْصَدَ، وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْكُمْ إِمْرَتِي حَتَّى مَلِلْتُكُمْ وَمَلِلْتُمُونِي، وَتَمَنَّيْتُ فِرَاقَكُمْ وَتَمَنَّيْتُمْ فِرَاقِي، وَإِنَّهُ لا يَأْتِيكُمْ بَعْدِي إلا مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي، كَمَا لَمْ يَأْتِكُمْ قَبْلِي إلا مَنْ كَانَ خَيْرًا مِنِّي، وَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ لِقَاءَكَ فَأَحْبِبْ لِقَائِي، ثُمَّ نَزَلَ فَمَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ حَتَّى مَاتَ".

خطبته وقد حضرته الوفاة.

لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له: من بالباب؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك. فقال: ويحك، ولم؟ قال: لا أدري، قال: فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوؤهم. وأذن للناس فدخلوا، فحمد وأثنى عليه وأوجز ثم قال:

أيها الناس، أنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يعدّ فيه المحسن مسيئا، ويزداد فيه الظالم عتوا، ولا ننتفع بما علمناه، ولا نسأل عما جهلناه، ولا نتخوف قارعة حتى تحلّ بنا. فالناس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه، وكلال حدّه، ونضيض وفره. ومنهم المصلت لسيفه، المجلب بخيله ورجله، المعلن بسره، قد أشرط لذلك نفسه، وأوبق دينه، لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده، أو منبر يفرعه، ولبئس المتجر أن تراها لنفسك ثمنا، ومما لك عند الله عوضًا

ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه، وزخرف نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية. ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه، وانقطاع من سببه، فقصرت به الحال عن أمله. فتحلى باسم القناعة، وتزين بلباس الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى. وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم

خوف المحشر، فهم بين شريد نادّ، وخائف منقمع، وساكت مكعوم، وداع مخلص، وموجع ثكلان، قد أخملتهم التقية، وشملتهم الذلة، فهم في بحر أجاج، أفواههم ضامزة، وقلوبهم قرحة، وقد وعظوا حتى ملوا، وقهروا حتى ذلوا، وقتلوا حتى قلوا. فلتكن الدنيا في عيونكم أصغر من حثالة القرظ، وقراضة الجلمين. واتعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتعظ بكم من يأتي بعدكم. فارفضوها ذميمة، فإنها رفضت من كان أشغف بها منكم".

خطبته الوعظية:

خطب معاوية بدمشق، فقال:

أيها الناس: سافروا بأبصاركم في كر الجديدين، ثم ارجعوها كليلة عن بلوغ الأمل، فإن الماضي " عظة للباقي، ولا تجعلوا الغرور سبيل العجز عن الجد، فتنقطع حجتكم في موقفٍ اللهُ سائلُكم فيه، ومحاسبُكم فيما أسلفتم، أيها الناس: أمس شاهد فاحذروه، واليوم مؤدب فاعرفوه، وغدًا رسول فأكرموه".

خطب يزيد بن معاوية:

خطبته بعد موت معاوية

الحمد لله الذي ما شاء صنع، من شاء أعطى ومن شاء منع، ومن شاء خفض ومن شاء رفع. إن " أمير المؤمنين كان حبلًا من حبال الله، مدّه ما شاء أن يمده، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه؛ وكان دون من قبله، وخيرًا مما يأتي بعد، ولا أزكّيه عند ربه وقد صار إليه؛ فإن يعف عنه فبرحمته، وإن يعاقبه فبذنبه؛ وقد وليت بعده الأمر، ولست أعتذر من جهل، ولا أشتغل بطلب علم؛ وعلى رسلكم إذا كره الله شيئا غيره؛ وإذا أحب شيئا يسّره".

خطبة أخرى له

الحمد لله أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات " أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله اصطفاه لوحيه، واختاره لرسالته، بكتاب فصله وفضله، وأعزّه وأكرمه، ونصره وحفظه، ضرب فيه الأمثال، وحلل فيه الحلال، وحرم فيه الحرام، وشرع فيه الدين؛ إعذارًا وإنذارًا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ويكون بلاغا لقوم عابدين. أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه، وإليه يصير معادها، وانقطاع مدتها، وتصرم دارها، ثم إني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حفت بالشهوات، وراقت بالقليل، وأينعت بالفاني، وتحببت بالعاجل، لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجيعتها، أكالة غوالة غرارة، لا تبقى على حال، ولا يبقى لها حال. لن تعدو الدنيا إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزع يومئذ آمنين، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله، يقول الله: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ (رَحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ".

وجزء كبير من كلامه هذا مقتطف من كلام لقطري بن الفجاءة، ونصه: "أما بعد فإني أحذّركم الدنيا فإنها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال، وتزينت بالغرور، لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها، غرّارة ضرارة، خوّانة غدّارة، حائلة زائلة، نافذة بائدة، أكّالة غوّالة، بدّالة

نقالة، لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها، والرضا عنها، أن تكون كما قال الله: "كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً".

خطب عبد الملك بن مروان:

خطب بمكة فقال: "أيها الناس إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف- يريد عثمان بن عفان- ولا بالخليفة المداهن- يريد معاوية بن أبي سفيان- ولا بالخليفة المأفون - يريد يزيد بن معاوية- فمن قال برأسه كذا، قلنا بسيفنا كذا! ثم نزل".

خطبة له موجزة

أيها الناس: إن الله حدّ حدودًا، وفرض فروضا؛ فما زلتم تزدادون في الذنب ونزداد في العقوبة، " حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف".

خطبته حين قتل عمرًا الأشدق بن سعيد بن العاص

ارموا بأبصاركم نَحْو مصَارِع أهل الْمعْصِيَة، وَاجْعَلُوا سلفهم لمن غبر مِنْكُم غظة، وَلَا تَكُونُوا " أغفالاً من حسن الِاعْتِبَار، فتنزل بكم جَائِحَة السطوة، وتجوس خلالكم بَوَادِر النقمَة، وَتَطَأ رِقَابكُمْ بثقلها الْمعْصِيَة، فتجعلكم همداً، رفاتاً، وتشتمل عَلَيْكُم بطُون الأَرْض أَمْوَاتًا. وإياي من قَول قائلٍ، وسفه جَاهِل، فَإِن مَا بيني وَبَيْنكُم أَن أسمع النعرة، فأصمم تصميم الحسام المطرور، وأصول صيال الحنق الموتور، إِنَّمَا هِيَ المصافحة والمكافحة بظبات السيوف، وأسنة الرماح، فَتَابَ تائب، أَو هلك خائب، والتوب مَقْبُول، وَالْإِحْسَان مبذول لمن أبْصر حَظه، وَعرف رشده. فانظروا لأنفسكم، وَأَقْبلُوا على حظوظكم، وَليكن أهل الطَّاعَة مِنْكُم يدا على ذَوي الْجَهْل من سفهائكم، واستديموا النِّعْمَة الَّتِي ابتدأتكم برغد عيشها، ونفيس زينتها، فَإِنَّكُم من ذَاك بَين قضيتين: عَاجل الْخَفْض والدعة، وآجل الْجَزَاء والمثوبة. عصمكم الله من الشَّيْطَان، وفتنته ونزغه،

وأيدكم بِحسن معونته وَحفظه. انهضوا - رحمكم الله - لقبض أعطياتكم غير مَقْطُوعَة عَنْكُم، وَلَا مَمْنُوعَة مِنْكُم، وَلَا مكدرة عَلَيْكُم إِن شَاءَ الله".

خطبته لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير

أيها الناس، إن الحرب صعبة مرة، وإن السلم أمن ومسرة، وقد زبنتنا الحرب وزبناها، فعرفناها " وألفناها، فنحن بنوها وهى أمنا.

أيها الناس فاستقيموا عَلَى سبل الهدى، ودعوا الأهواء المردية، وتجنبوا فراق جماعات المسلمين، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين، وأنتم لا تعملون أعمالهم، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شراً، ولن تزداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة، فمن شاء منكم أن يعود بعد لمثلها فليعد".

وخطب بالمدينة فقال: "يا معشر قريش، وليكم عمر بن الخطاب فكان مغلظا لكم مضيّقا عليكم فسمعتم له وأطعتم، ثم وليكم عثمان فكان سمحا كريما فقتلتموه، وبعثنا إليكم مسلمًا فقتلكم يوم الحرة، فنحن نعلم أنكم لا تحبوننا أبدًا وأنتم تذكرون يوم الحرة، ونحن لا نحبكم أبدا ونحن نذكر مقتل عثمان".

خطبته وقد علم بخروج ابن الأشعث على الحجاج

خرج إلى الناس فقام فيهم فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغوا " رضاك، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سخطك".

وأوصى عبد الملك أميرًا سيّره إلى أرض الروم، فقال: " أنت تاجر الله لعباده، فكن كالمضارب الكيّس، الذي إن وجد ربحا تجر، وإلا احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة وكن من إحتيالك على عدوك أشدّ خوفا من احتيال عدوك عليك".

وصيته للشعبي

لما أفْضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه إلى محادثة الرجال والإشراف على أخبار " الناس، فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشَّعْبي، فلما حُمِل إليه ونادمه وحَظِيَ عنده قال له: يا شعبي لا تساعدني على ما قبح، ولا تردَّ علي الخطأ في مجلسي، ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة، ولا جواب السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى، وكلمني بقدر ما أستطعمك واجعل بدل المدح لي صوابَ الاستماع مني، واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول، وإذا سمعتني أتحدث فلا يفوتنك منه شيء، وأرني فهمك في طرفك وسمعك، ولا تجهد نفسك في تَطْرِية جوابي، ولا تَسْتَدْع بذلك الزيادة في كلامي، فأن أسوأ الناس حالا من استكَدَّ الملوك بالباطل، وإن أسوأ حالا منهم من استخف بحقهم، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان، ويسقط حق الحرمة، فان الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه، وعند إصابته فرصة".

وأوصى عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز حين ولاه مصر فقال:

ابسط بشرك، وألن كنفك، وآثر الرفق في الأمور، فإنه أبلغ بك، وانظر حاجبك، فليكن من خير " أهلك، فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه، لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده، وإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ بالسلام، يأنسوا بك، وتثبت في قلوبهم محبتك، وإذا انتهى إليك مشكل، فاستظهر عليه بالمشاورة، فإنها تفتح مغاليق الأمور، وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته، فإنك على العقوبة بعد التوقف عنه أقدر منك على ردها بعد إمضائها".

وصيته لولده عند وفاته

نظر عبد الملك إلى ابنه الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه، فقال يا هذا أحنين الحمامة؟ إذا أنا متُّ فشمرْ واتَّزِرْ، والبسْ جلد نمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك، فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه، ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا، قال: "إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل، وإن كنا منك لفي غرور". ثم أقبل على جميع ولده فقال: "أوصيكم بتقوى الله، فإنها عصمة باقية، وجنة واقية، فالتقوى خير زاد، وأفضل في المعاد، وهي أحصن كهف، وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حق الكبير، مع سلامة الصدور، والأخذ بجميل الأمور، وإياكم والبغي والتحاسد، فبهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المكين، يا بنيّ: أخوكم مسلمة نائبُكم الذي تفرون عنه، ومِجَنِّكُم الذي تستجنون به، أصدروا عن رأيه، وأكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم هذا الأمر، كونوا أولادًا أبرارًا، وفي الحروب أحرارًا، وللمعروف منارًا، وعليكم السلام".

خطبته الوعظية:

خطب عبد الملك بن مروان، فقال:

أيها الناس: اعملوا لله رغبة ورهبة، فإنكم نبات نعمته، وحصيد نقمته، ولا تغرس لكم الآمال، إلا " ما تجتنيه الآجال، وأقلوا الرغبة فيما يورث العطب، فكل ما تزرعه العاجلة، تقلعه الآجلة، واحذروا الجديدين، فهما يكران عليكم، إن عقبى من بقي لحوق بمن مضى، وعلى أثر من سلف، يمضي من خلف، (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى).

الحجاج بن يوسف الثقفي

خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير

فأمرَ الْحجَّاج بِالنَّاسِ، فجمعُوا إِلَى الْمَسْجِد، ثمَّ صَعدّ المنبرَ، فَحَمدَ الله وأثْنى عَلَيْهِ، ثمَّ قَالَ: يَا أهل " مَكَّة. بَلغنِي إكْباركم واستفْظاعُكم قتل ابْن الزُّبير. أَلا وَإِن ابْن الزبير، كَانَ منْ أخُيار هَذِه الْأمة، حَتَّى رغب فِي الْخلَافَة، وَنَازع فِيهَا أهْلها، فَخلع طَاعَة الله، واستكنَّ بحرَم الله. وَلَو كَانَ شيءٌ مَانِعا للعُصاة لمنعتْ آدمَ حُرْمَة الْجنَّة، لِأَن الله تَعَالَى خلقه بِيَدِهِ، وَنفخ فِيهِ من روحه، وأسجَدَ لَهُ مَلَائكَته، وأباحه جنته، فَلَمَّا أَخطَأ أخرجَه من الْجنَّة بخطيئته. وآدَم على الله تَعَالَى أكُرمُ من ابْن الزبير، وَالْجنَّة أعظُم حُرْمَة من الْكَعْبَة".

خطبته حين ولي العراق

صعد المنبر وهو ملثّم بعمامة خزّ، فقال:

عليّ بالناس، فحسبوه وأصحابه خوارج، فهمّوا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد، قام، ثم كشف عن وجهه، ثم قال:

أنا ابن جلا وطلاع الثّايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

صليب العود من سلفي رياح ... كنصل السيف وضّاح الجبين

وماذا يبتغي الشّعراء مني ... وقد جاوزت حدّ الأربعين

أخو خمسين مجتمع أشدّي ... ونجّذني مداورة الشّئون

وإني لا يعود إليّ قرني ... غداة العبء إلا في قرين

أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله؛ وإني لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها؛ وإني لأنظر الدّماء بين العمائم واللّحى تترقرق.

ثم قال:

هذا أوان الشدّ فاشتدّي زيم ... قد لفّها الليل بسوّاق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ... ولا بجزّار على ظهر وضم

ثم قال:

قد لفها الليل بعصلبيّ ... أروع خرّاج من الدويّ

مهاجر ليس بأعرابيّ

ثم قال:

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا ... ما علّتي وأنا شيخ إد

والقوس فيها وتر عردّ ... مثل ذراع البكر أو أشدّ

إني والله يأهل العراق، ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوى الأخلاق، لا يغمز جانبي كتغماز التّين، ولا يقعقع لي بالشنان؛ ولقد فررت عن ذكاء. وفتّشت عن تجربة، وأجريت إلى الغاية القصوى؛ وإنّ أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه ثم عجم عيدانها، فوجدني أمرّها عودا وأشدّها مكسرا، فوجهني إليكم، ورماكم بي، فإنكم قد طالما أوضعتم في الفتن وسننتم سنن الغيّ؛ وايم الله لألحونّكم لحو العصا، ولأقرعنكم قرع المروة ، ولأعصبنكم عصب السّلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، أما والله لا أعد إلا وفيت؛ ولا أخلق إلا فريت؛ فإياي وهذه الشفعاء، والزرافات والجماعات، وقالا وقيلا. وما يقولون؛ وفيم أنتم وذاك؟ والله لتستقيمنّ على طريق الحق، أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلا في جسده! من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله وهدمت منزله".

خطبته وقد سمع تكبيرًا في السوق

" يا أهل العراق، ويا أهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، إني سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترغيب ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب. وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف فتنة. أي بني اللكيعة وعبيد العصا، وأبناء الإماء، والله لئن قرعت عصًا عصًا لأتركنكم كأمس الدابر".

خطبته وقد قدم البصرة يتهدد أهل العراق ويتوعدهم:

" أيها الناس، من أعياه داؤه، فعندى دواؤه؛ ومن استطال أجله، فعلىّ أن أعجّله، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله؛ ومن استطال ماضى عمره قصّرت عليه باقيه؛ إن للشّيطان طيفًا. وللسّلطان سيفا؛ فمن سقمت سريرته، صحّت عقوبته؛ ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه، ومن لم تسعه العافية، لم تضق عنه الهلكة؛ ومن سبقته بادرة فمه، سبق بدنه بسفك دمه؛ إني أنذر ثم لا أنظر، وأحذّر ثم لا أعذر، وأتوعّد ثم لا أعفو، إنما أفسدكم ترنيق ولاتكم، ومن استرخى لَببه ساء أدبه، إنّ الحزم والعزم سلبانى سوطى، وأبدلانى به سيفي، فقائمه فى يدى، ونجاده فى عنقي، وذبابه قلادة لمن عصاني، والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيحرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه"

خطبته بعد وقعة دير الجماجم

يا أهل العراق، إنّ الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والشغاف، ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعشّش، ثم باض وفرّخ، ثم دب ودرج، فحشاكم نفاقا وشقاقا، وأشعركم خلافا، فاتخذتموه دليلا تتبعونه، وقائدا تطيعونه، ومؤامرا تشاورونه. فكيف تنفعكم تجربة،

وتعظكم نصيحة، أو يحجزكم إسلام أو ينفعكم بيان؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر، وأجمعتم على الكفر، وظننتم أنّ الله يخذل دينه وخلافته، وأنا أرمقكم بطرفي: تتسللون لواذا، وتنهزمون سراعا. ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية، بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم، وبراءة الله منكم، ونكوص وليّكم عنكم، إذ ولّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيه، حين عضكم السلاح، وقصمكم الرماح. ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم؟ بها كانت المعارك والملاحم، بضرب يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله. يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات. إن بعثتم إلى ثغوركم غللتم وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم. لا تتذكرون نعمة، ولا تشكرون معروفا. هل استخفكم ناكث، أو استغواكم غاو، أو استنفركم عاص، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع إلّا لبّيتم دعوته، وأجبتم صيحته، ونفرتم إليه خفافا وفرسانا ورجلانا. يا أهل العراق هل شغب شاغب، أو نعب ناعب، أو زفر زافر، إلّا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل العراق ألم تنهكم المواعظ، ألم تزجركم الوقائع، ألم يشدد الله عليكم وطأته، ويذيقكم حرّ سيفه وأليم بأسه ومثلاته"

وفي جمهرة خطب العرب تكملة ونصها: " ثم التفت إلى أهل الشام وهم حول المنبر، فقال: "يا أهل الشام؛ إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه، ينفي عنها المدر، ويباعد عنها الحجر، ويُكنّها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب، يا أهل الشام؛ أنتم الجنة والرداء، وأنتم العدة والحذاء".

خطبة أخرى له في أهل الكوفة وأهل الشام:

يا أهل العراق، إنّ الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى، وتحصد بالسيف، أما والله لئن أبغضتموني فما تضرّوني، ولئن أحببتموني فما تنفعوني، وما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريح لمودّتكم

زعمتم أني ساحر وقال الله تعالى: "وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى"

وزعمتم أني أحسن الاسم الأعظم ، فلم تقاتلون من يعلم ما لا تعلمون؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال: لأرواحكم أطيب من ريح المسك، ولدنوّكم آنس من الولد، وما مثلكم إلا كما قال أخو ذبيان:

إذا حاولت في أسد فجورا ... فإنّي لست منك ولست منّي

هم درعي التي استلأمت فيها ... إلى يوم النّسار وهم مجنّي

ثم قال: يا أهل الشام بل أنتم كما قال الله عزّ وجلّ: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ).

خطبة الحجاج في البصرة

اتقوا الله ما استطعتم، فهذه لله وفيها مثوبة. ثم قال: «وأسمعوا وأطيعوا» . فهذه لعبد الله وخليفة الله " وحبيب الله عبد الملك بن مروان، والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره، لكانت دماؤهم لي حلالا من الله، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لي حلالا. عذيري من هذه الحمراء، يرمي أحدهم بالحجر إلى السماء ويقول: يكون إلى أن يقع هذا خير. والله لأجعلنّهم كأمس الدابر؛ عذيري من عبد هذيل، إنه زعم أنه آمن عند الله، يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب؛ والله لو أدركته لقتلته".

خطبة أخرى له بالبصرة

حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

إن الله كفانا مئونة الدنيا، وأمرنا بطلب الآخرة؛ فليته كفانا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا، ما لي " أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يعلمون، وشراركم لا يتوبون؟ ما لي أراكم تحرصون على ما كفيتم،

وتضيعون ما به أمرتم؟ إن العلم يوشك أن يرفع، ورفعه ذهاب العلماء؛ ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس، الذين لا يقرءون القرآن إلا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا؛ ألا وإن الدنيا عَرَضٌ حاضر، يأكل منها البر والفاجر؛ ألا وإن الآخرة أجل مستأخر، يحكم فيها ملك قادر ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذي أحسنوا بالحسنى، ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة، ألا وإن الشرَّ كله بحذافيره في النار، ألا وإن {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} ، وأستغفر الله لي ولكم ".

خطبته في أهل العراق يصارحهم بالكراهية

وخطب أهل العراق فقال: " يأهل العراق إني لم أجد لكم دواء أدوى لدائكم من هذه المغازي والبعوث، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفل، فإنها تعقب راحة وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الرّاحة بكم؛ وما أراكم إلا كارهين لمقالتي، أنا والله لرؤيتكم أكره، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حمّلت نفسي مقاساتكم والصبر على النظر إليكم؛ والله أسأل حسن العون عليكم! ثم نزل ".

خطبته لما مات عبد الملك بن مروان

ولما مات عبد الملك بن مروان، قام فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال

أيها الناس، إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى نعى نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى نفسه فقال: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} ، وقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} ؛ فمات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم تبعهم معاوية، ثم وليكم البازل الذكر، الذي جربته الأمور، وأحكمته التجارب، مع

الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة، واللين لأهل الحق، والوطء لأهل الزيغ؛ فكان رابعًا من الولاة المهديين الراشدين، اختار الله له ما عنده، وألحقه بهم، وعهد إلى شبهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته، فاسمعوا له وأطيعوه

أيها الناس، إياكم والزيغ، فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله، ورأيتم سيرتي فيكم، وعرفت خلافكم وطيبكم، على معرفتي بكم، ولو علمت أن أحدًا أقوى عليكم مني، أو أعرف بكم ما وليتكم؛ فإياي وإياكم، من تكلم قتلناه، ومن سكت مات بدائه غمًا ثم نزل".

خطبته حين أراد الحج

أيها الناس، إني أريد الحج، وقد استخلفت عليكم ابني محمدا هذا، وما كنتم له بأهل، وأوصيته فيكم " بخلاف ما أوصى به رسول الله صلّى الله عليه وآله في الأنصار. إن رسول الله صلّى الله عليه وآله أوصى أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، ألا وإني قد أوصيته ألا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم. ألا وإنكم ستقولون بعدي مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتي. ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحابة! ألا وإني معجل لكم الإجابة، لا أحسن الله عليكم الخلافة» . ثم نزل".

خطبته حين أصيب بولده محمد وأخيه محمد في يوم واحد:

أيها الناس، محمّدان في يوم واحد! أما والله لقد كنت أحبّ أنهما معي في الدنيا مع ما أرجو لهما " من ثواب الله في الآخرة؛ وايم الله ليوشكن الباقي مني ومنكم أن يفنى، والجديد مني ومنكم أن يلي، والحيّ مني ومنكم أن يموت؛ وأن تدال الأرض منا كما أدلنا منها؛ فتأكل من لحومنا؛ وتشرب من دمائنا؛ كما مشينا

على ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشربنا من مائها؛ ثم يكون كما قال الله: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ)، ثم تمثّل بهذين البيتين:

عزائي نبيّ الله من كلّ ميّت ... وحسبي ثواب الله من كلّ هالك

"إذا ما لقيت الله عني راضيا ... فإنّ سرور النفس فيما هنالك

خطبته وقد أرجف أهل العراق بموته

أرجف الناس بموت الحجّاج، فخطب فقال

إنّ طائفة من أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق، نزغ الشيطان بينهم، فقالوا: مات الحجاج ومات الحجاج! فمه! وهل يرجو الحجّاج الخير إلا بعد الموت! والله ما يسرّني ألّا أموت وأنّ لي الدنيا وما فيها! وما رأيت الله رضي بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس. ولقد دعا الله العبد الصالح فقال: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، فأعطاه ذلك إلا البقاء، فما عسى أن يكون أيها الرجل! وكلكم ذلك الرجل!. كأنّي والله بكلّ حيّ منكم ميّتا، وبكل رطب يابسا، ونقل في ثياب أكفانه إلى ثلاث أذرع طولا في ذراع عرضا، وأكلت الأرض لحمه ومصّت صديده، وانصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله؛ إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول، ثم نزل".

خطبته بعد قتل ابن الزبير:

صعد المنبر بعد قتله متلثّما، فحطّ اللثام عن وجهه وقال: "موج ليل التطم فانجلى بضوء صبحه. يا أهل الحجاز، كيف رأيتموني؟ ألم أكشف عنكم ظلمة الجور وطخية الباطل بنور الحقّ؟ والله لقد وطئكم الحجاج وطأة مشفق عطفته رحم ووصل قرابة. فإياكم أن تزلّوا عن سنن ما أقمناكم فأقطع عنكم ما وصلته لكم بالصارم البتّار، وأقيم من أودكم ما يقيم المثقّف من أود القنا بالنار، إليكم! ثم نزل وهو يقول:

"أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها ... وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

:خطبه الوعظية

وخطب الحجاج يومًا فقال

أيها الناس، قد أصبحتم في أجل منقوص، وعمل محفوظ، رُبَّ دائبٍ مضيع، وساعٍ لغيره، والموتُ " في أعناقكم، والنارُ بين أيديكم، والجنةُ أمامكم، خذوا من أنفسكم لأنفسكم، ومن غناكم لفقركم، ومما في أيديكم لما بين أيديكم؛ فكأن ما قد مضى من الدنيا لم يكن، وكأن الأموات لم يكونوا أحياء، وكل ما ترونه فإنه ذاهب، هذه شمس عاد وثمود وقرون كثيرة بين ذلك، هذه الشمس التي طلعت على التبابعة والأكاسرة، وخزائنهم السائرة بين أيديهم، وقصورهم المشيدة، ثم طلعت على قبورهم، أين الملوك الأولون، أين الجبابرة المتكبرون؟ المحاسب الله، والصراط منصوب، وجهنم تزفر وتتوقد، وأهل الجنة ينعمون، في روضة يحبرون، جعلنا الله وإياكم من (الذين إِذَا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)". .

:قال مالك بن دينار:غدوت للجمعة، فجلست قريبا من المنبر، فصعد الحجاج ثم قال

امرؤ حاسب نفسه؛ امرؤ راقب ربه؛ امرؤ زوّر عمله امرؤ فكر فيما يقرؤه غدا في صحيفته ويراه " في ميزانه: امرؤ كان عند همه آمرا، وعند هواه زاجرًا؛ امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله، فإن قاده إلى حق تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفّه. إننا والله ما خلقنا للفناء، وإنما خلقنا للبقاء، وإنما ننتقل من دار إلى دار". .

:وخطب يومًا فقال

اقطَعوا هَذِه الأنْفسَ فَإنَّهَا أسْأَل شيءٍ إذا أعطيتْ، وأعصي شيءٍ إذا سُئِلت. فرحمَ الله امْرأ جعل " لنَفسِهِ خطاماً وزماماً، فقادَها بخطامها إلَى طَاعَة الله، وعطفها بزمامها عَن مَعصية الله، فَإنّي رَأَيْت الصبرَ عَن مَحَارمه أيسر من الصَّبْر على عَذَابه ."

وخطب يومًا فقال: "اللهم أرني الغيَّ غيًّا فأجتنبه، وأرني الهدى هدًى فأتبعه، ولا تكلني إلى نفسي فأضل ضلالًا بعيدًا، والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء ."

:ومن كلامه"

إنَّ امرأ أتت عليه ساعة من عمره، لم يذكر فيها ربه، ويستغفر ربه من ذنبه، ويفكر في معاده، " لجدير أن يطول حزنُه، ويتضاعف أسفُه، إنّ الله كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء؛ فلا بقاء لما كُتب عليه الفناء، ولا فناء لما كُتب عليه البقاء، فلا يغرنكم شاهد الدنيا، عن غائب الآخرة، واقهرُوا طول الأمل، بقصر الأجل ."

:خطب قتيبة بن مسلم الباهلي

ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج

وفي هذه السنة قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها من قبل الحجاج، فذكر علي بن مُحَمَّد أن كليب بن خلف، اخبره عن طفيل ابن مرداس العمي والحسن بن رشيد، عن سُلَيْمَان بن كثير العمي، قال:

أخبرني عمي قال: رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ست وثمانين، فقدم والمفضل يعرض الجند، وهو يريد أن يغزو أخرون وشومان، فخطب الناس قتيبة، وحثهم على الجهاد، وقال:

" إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه، ويذب بكم عن الحرمات، ويزيد بكم المال استفاضه، والعدو وقما، ووعد نبيه ص النصر بحديث صادق، وكتاب ناطق، فَقَالَ: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)

ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب، وأعظم الذخر عنده فقال:

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ، إلى قوله: (أَحْسَنَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ) ثم أخبر عمن قتل في سبيله أنه حي مرزوق، فقال: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى اثر وأمضى ألم، وإياكم والهوينى ".

خطبته وقد تهيأ لغزو بلاد السُّغْد

ولما صالح قتيبة أهل خوارزم، وسار إلى السغد سنة 93هـ خطب الناس؛ فقال:

" إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقتٍ الغزُو فيه ممكنٌ، وهذه السغد شاغرة برجلها، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا، ومنعونا ما كنا صالحنا عليه طَرْخُون، وصنعوا به ما بلغكم، وقال الله تعالى: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)، فسيروا على بركة الله، فإني أرجو أن يكون خوارزم والسغد كالنضير وقريظة، وقال الله تعالى: (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) ".

خطبته وقد سارت إليه جيوش الشاش وفرغانة

وأتى قتيبة السغد فحصرها شهرًا، وخاف أهلها طول الحصار؛ فكتبوا إلى ملك الشاش وفرغانة "إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب، فإن وُصِلَ إلينا كنتم أضعفَ وأذلَّ، فمهما كان عندكم من قوة فابذلوها. فجمعوا جموعهم، وولوا عليهم ابنًا لخاقان، وساروا وقد أجمعوا أن يُبيّتوا عسكر قتيبة، ونمى ذلك إليه، فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس، وخطبهم فقال

إن عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم، وتأييده إياكم في مزاحفتكم ومكاثرتكم، كل ذلك يفلجكم الله " عليهم، فأجمَعُوا على أن يحتالوا غِرّتكم وبَيَاتَكم، واختاروا دهاقينهم وملوكهم، وأنتم دهاقينُ العرب وفرسانُهم، وقد فضلكم الله بدينه؛ فأبلوا لله بلاء حسنًا تستوجبون به الثواب، مع الذب عن أحسابكم ."

خطبه حين دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك

وقام بخراسان حين خَلَع سليمان بن عبد الملك، ودعا الناس إلى خلعه فقال للناس

إني قد جمعتكم من عين التمر، وفيض البحر؛ فضممت الأخ إلى أخيه، والولد إلى أبيه، وقسمت " بينكم فيئكم، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكدرة ولا مؤخرة، وقد جربتم الولاة قبلي، أتاكم أمية3؛ فكتب إلى أمير المؤمنين: إن خراج خراسان لا يقوم بمطبخي، ثم جاءكم أبو سعيد فدوَّم بكم ثلاث سنين، لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية؛ لم يَجْبِ فيئًا، ولم ينكأ عدوًّا، ثم جاءكم بنوه بعده، يزيد فحلٌ تَبَارَى إليه النساء؛ وإنما خليفتكم يزيد بن ثروان هَبَنّقة القيسي" فلم يُجِبْهُ أحدٌ فغضب، فقال: "لا أعزَّ الله من نصرتم، والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنها، يا أهل السافلة، ولا أقول أهل العالية. يا أوباش الصدقة، جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب. يا معشر بكر بن وائل، يا أهل النفخ والكذب والبخل، بأي يوميكم تفخرون: بيوم حربكم، أم بيوم سلمكم؟ فوالله لأنا أعزُّ منكم يا أصحاب مسيلمة. يا بني ذميم، ولا أقول تميم.

ياأهل الخور والقصف والغدر: كنتم تسمُّون الغدر في الجاهلية "كيسان" يا أصحاب سجاح، يا معشر عبد القيس القساة، تبدلتم بأبر النخل أعنة الخيل، يا معشر الأزد، تبدلتم بقُلُوسِ السفن، أعنة الخيل والحصن، إن هذا لبدعة في الإسلام، والأعراب، وما الأعراب؟

لعنة الله على الأعراب، يا كناسة المصرين، جمعتكم من منابت الشيح والقيصوم، ومنابت القلقل، تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان؛ حتى إذا جمعتكم كما يُجمع قَزَع الخريف قلتم: كيت وكيت، أما والله إني لابن أبيه وأخو أخيه، أما والله لأعصبنكم عصب السلمة، إنّ حول الصلِّيان الزمزمة، يا أهل خراسان، هل تدرون من وليكم؟ وليكم يزيد بن ثروان، كأني بأمير مزجاء، وحكمٍ قد جاءكم؛ فغلبكم على فيئكم وأطلالكم، إن هاهنا نارًا، ارموها أرم معكم، ارموا غرضكم الأقصى، قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات، إن الشأم أبٌ مكفور، حتى متى ينبطح أهل الشأم بأفنيتكم وظلال دياركم؟ يا أهل خراسان انسبوني تجدوني عراقيّ الأم، عراقيّ الأب، عراقي المولد، عراقي الهوى والرأي والدين، وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من المن والعافية، قد فتح الله لكم البلاد، وآمن سبلكم؛ فالظعينة تخرج من مروٍ إلى بَلْخ بغير جِوار، فاحمدوا الله على النعمة، وسلوه الشكر والمزيد". ثم نزل".

وقام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أتدرون من تبايعون؟ إنما تبايعون يزيد بن ثروان- يعني هبنّقة القيسي- كأني بأمير مزجاء وحكم " قد أتاكم يحكم في أموالكم ودمائكم وفروجكم وأبشاركم.

ثم قال: الأعراب! وما الأعراب؟ لعن الله الأعراب! جمعتهم كما يجمع قزع الخريف من منابت الشيخ والقيصوم ومنابت الفلفل، يركبون البقر؛ ويأكلون الهبيد، فحملتهم على الخيل، وألبستهم السلاح حتى منع الله بهم البلاد، وجبى بهم الفيء. قالوا: مرنا بأمرك. قال: غرّوا غيري".

:وخطب مرة فقال

" يا أهل العراق، ألست أعلم الناس بكم: أما هذا الحيّ من أهل العالية فنعم الصدقة. وأما هذا الحي من بكر بن وائل فعلجة بظراء لا تمنع رجليها. وأما هذا الحي من عبد القيس فما ضرب العير بذنبه. وأما هذا الحي من الأزد، فعلوج خلق الله وأنباطه. وايم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم. وأما هذا الحي من تميم فإنهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية

. "كيسان

:كلمات حكيمة لقتيبة بن مسلم الباهلي

" خرجت خارجة بخراسان؛ فقيل لقتيبة بن مسلم: لو وجهت إليهم وكيع بن أبي سود، قال: وكان وكيع رجلًا عظيم الكبر، في أنفه خنزوانة، وفي رأسه نعرة؛ وإنما أنفه في أسلوب، ومن عظم كبرُه اشتد عجبُه، ومن أُعْجِبَ برأيه لم يشاور كفيًّا، ولم يؤامر نصيحًا. ومن تفرد بالنظر لم يكمل له الصواب، ومن تبجح بالانفراد، وفخر بالاستبداد، كان من الصواب بعيدًا، ومن الخذلان قريبًا، والخطأ مع الجماعة، خير من الصواب مع الفرقة؛ وإن كانت الجماعة لا تخطئ، والفرقة لا تصيب، ومن تكبر على عدوه حقره، وإذا حقره تهاون بأمره، ومن تهاون بخصمه، ووثق بفضل قوته قل احتراسه، ومن قل احتراسه كثر عثاره، وما رأيت عظيم الكبر صاحب حرب؛ إلا كان منكوبًا؛ فلا والله حتى يكون عدوه عنده، وخصمه فما تغلب عليه، أسمع من فَرَس، وأبصر من عقاب، وأهدى من قطاة، وأحذر من عقعق، وأشد إقدامًا من الأسد، وأوثب من الفهد، وأحقد من جمل، وأروغ من ثعلب، وأغدر من ذئب، وأسخى من لافظة، وأشح من صبي، وأجمع من ذرة، وأحرس من كلب، وأصبر من ضب؛ فإن النفس تسمح من العناية على قدر الحاجة، وتتحفظ على قدر الخوف، وتطلب على قدر الطمع، وتطمع على قدر السبب"

:ومن كلماته لما قدم خراسان

من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم فلينبذه، وإن كان في فيه فليلفظه، وإن كان في " "صدره فلينفثه" فعجب الناس من حسن ما فصل وقسم

:خطب عمر بن عبد العزيز

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه

:قال العتبي: أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله: أيها الناس

أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم، وأصلحوا آخرتكم تصلح دنياكم، وإن امرأ ليس بينه وبين " . "آدم أب حي لمعرق في الموت

لما أفضى اليه الأمر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال: أيها الناس، إنما نحن من اصول قد " مضت وبقيت فروعها، فما بقاء فرع بعد أصله؟ وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا، وهم فيها نُصب المصائب مع كل جَرعة شَرق، وفي كل أكلة غَصص، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا . "يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله

وفي رواية القالي: " ما الجزع مما لا بد منه، وما الطمع فيما لا يرجى، وما الحيلة فيما سيزول! وإنما الشيء من أصله، فقد مضت قبلنا أصولٌ نحن فروعها، فما بقاء فرعٍ بعد أصله! إنما الناس في الدنيا أغراضٌ تنتضل فيهم المنايا، وهم فيها نهبٌ للمصائب، مع كل جرعة شرقٌ، وفي كل أكلة غصص، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمّر معمر يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله، وأنتم أعوان الحتوف

عَلَى أنفسكم، فأين المهرب مما هو كائن! وإنما نتقلب فِي قدرة الطالب، فما أصغر المصيبة اليوم مع عظيم الفائدة غداً، وأكبر خيبة الخائب فيه! والسلام".

وروي أنه لما دفن سليمان بن عبد الملك، وخرج من قبره، سمع للأرض رجة، فقال: ما هذه؟ فقيل: هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين، قربت إليك لتركبها، فقال: ما لي ولها؟ نحوُّها عني، قربوا إلي بغلتي، فقربت إليه، فركبها. وجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة، فقال: تنحَّ عني، ما لي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين، فسار، وسار معه الناس، حتى دخل المسجد، فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس، فقال:

أيها الناس: إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكمفصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك، فَلِ أمرنا باليمن والبركة، فلما رأى الأصوات قد هدأت، ورضي به الناس جميعًا، حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال:

أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خَلَفٌ من كل شيء، وليس من تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ خَلَفٌ، واعملوا " لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أمر دنياه وأصلحوا سرائركم، يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا ذكرَ الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات، وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أبًا حيًّا لمعرق في الموت، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عَزَّ وَجَلَّ، ولا في نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدنيار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحدًا باطلا، ولا أمنع أحدًا حقًّا، إني لست بخازن، ولكني أضع حيث أمرت، أيها الناس: إنه قد كان قبلي ولاة تجترون مودتهم، بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم".

ولما ولي الخلافة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيّها الناس، من صحبنا فليصحبنا لخمس، وإلّا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده، ويدلّنا على ما لا نهتدى إليه من الخير، ولا يغتابنّ أحدًا، ولا يعترض فيما لا يعنيه".

خطبة أخرى:

صعد المنبر: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

"" أما بعد، أيها الناس، إنه ليس بعد نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي، وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا إني لستُ بقاضٍ، لكني منفذ لله، ولست بمبتدع، ولكني متبع، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله عَزَّ وَجَلَّ، ألا إني لست بخيركم، وإنما أنا رجل منكم، غير أن الله جعلني أثقلكم حملا، يأيها الناس: إن أفضل العبادة أداء الفرائض، واجتناب المحارم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم".

خطبة أخرى:

أيها الناس، إنكم ميتون، ثم إنكم مبعوثون، ثم إنكم محاسبون، فلعمري لئن كنتم صادقين لقد " قصرتم، ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم. يأيها الناس، إنه من يقدر له رزق برأس جبل، أو بحضيض أرض يأته، فأجملوا في الطلب".

خطبة أخرى:

إن الدنيا ليست بدار قرار، دارٌ كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن، فكم عامر "
موثق عما قليل يخرب، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة، بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى

إنما الدنيا كفيء ظلال قَلَصَ فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا منافس، وبها قرير عين، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره وديارة ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسر بقدْر ما تضر، إنها تسر قليلًا، وتجرّ حزنًا طويلًا". "

وخطب يوم عيد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم تلا ثلاث آيات من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ثم قال

يأيها الناس، إني وجدت هذا القلب لا يعبر عنه إلا اللسان، ولعمري -وإن لعمري مني لحقًّا لوددت أنه ليس من الناس عبد ابتلي بسعة، إلا نظر قطيعًا من ماله، يجعله في الفقراء والمساكين، واليتامى والأرامل، بدأت أنا بنفسي وأهل بيتي، ثم كان الناس بعد.

ثم كان آخر كلمة تكلم بها حين نزل: "لولا سنة أحببتُها، أو بدعة أمتُّها، لم أبال أن لا أبقى في الدنيا إلا فواقًا". "

خطبة له:

أما بعد: "أيها الناس، فلا يطولن عليكم الأمد، ولا يبعدن عنكم يوم القيامة، فإن من زافت به منيته، فقد قامت قيامته، لا يَسْتَعْتِبُ من سَيِّءٍ، ولا يزيد في حَسَن، ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تعدون الهارب من ظلم إمامه عاصيًا، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم، ألا وإني أعالج أمرًا لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصُح عليه

الأعجميّ، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه دينًا، لا يرون الحق غيره. ثم قال: "إنه لحبيب إليّ أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها، ولا قوة إلا بالله".

صعد ذات يوم المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

"أيها الناس، إنما يراد الطبيب للوجع الشديد، ألا فلا وجع أشد من الجهل، ولا داء أخبث من الذنوب، ولاخوف أخوف من الموت".

خطبة أخرى:

صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

"" أما بعد: فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا، والله ما كان لهم أن يعطوناها، وما كان لنا أن نقبلها، وإن ذلك قد صار إلي، ليس علي فيه دون الله محاسب، ألا وإني قد رددتها، وبدأت بنفسي وأهل بيتي اقرأ يا مزاحم -وكان مولاه- وقد جيء قبل ذلك بِسَفَطٍ فيه تلك الكتب، فقرأ مزاحم كتابًا منها، ثم ناوله عمر، وهو قاعد على المنبر وفي يده جَلَم، فجعل يَقُصُهُ، واستأنف مزاحم كتابا آخر، فقرأه، ثم دفعه إلى عمر، فقصه، فما زال حتى نودي بصلاة الظهر".

كان يخطب فيقول:

"أيها الناس: من ألمَّ بذنب فليستغفر الله عَزَّ وَجَلَّ وليتُبْ، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرار عليها".

خطبة أخرى:

إن لكل سفر زادًا لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه، فرغبوا ورهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسوا قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد إمسائه، ولا يمسي بعد إصباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغترًا، فأصبح في حبائل خطوبها ومناياها أسيرًا، وإنما تقرُّ عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة، فأما من لا يبرأ من كلْم إلا أصابه جارح من ناحية أخرى، فكيف يفرح؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتَخْسَرَ صفقَتِي، وتَظْهَرَ عورتي، وتَبْدُوَ مسكنتي، في يوم يبدو فيه الغني والفقير، والموازين منصوبة، والجوارح ناطقة، فلقد عُنِيتُم بأمر لو عُنِيَتْ به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، أو الأرض لانفطرت، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وأنكم صائرون إلى إحداهما؟" .

روي أنه قال:

"من وصل أخاه بنصيحة له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه، فاتقوا الله فإنها نصيحة لكم في دينكم، فاقبلوها، وموعظة منجية في العواقب، فالزموها، الرزق مقسوم، فلن يعدو1 المؤمن ما قسم له، فأجملوا في الطلب، فإن في القُنوع سعة، وبُلْغَةً، وكفافًا، إن أجل الدنيا في أعناقكم، وجهنم أمامكم، وما ترون ذاهب، وما مضى فكأن لم يكن وكلٌّ أمواتٌ عن قريب، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق، وبعد فراغه وقد ذاق الموت، والقوم حوله يقولون: قد فرغ رحمه الله، وعاينتم تعجيل إخراجه، وقسمة تراثه، ووجهه مفقود، وذكره منسي، وبابه مهجور كأن لم يخالط إخوان الحفاظ، ولم يعمر الديار، فاتقوا هول يوم لا يُحقر فيه مثقال ذرة في الموازين" .

خطبة أخرى:

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه، "
والرضا قليل، ومعول المؤمن الصبر، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه، فأعاذه مما انتزع منه
."الصبر، إلا كان ما أعاضه خيرًا مما انتزع منه

:آخر خطبة له

خطب عمر بن عبد العزيز بخناصرة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات، رحمه الله. حمد الله وأثني
:عليه، ثم قال

أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثا، ولم تتركوا سدى؛ وإن لكم معادًا يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخسر "
من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم جنة عرضها السموات والأرض، واعلموا أن الأمان
غدا لمن خاف اليوم وباع قليلًا بكثير، وفانيا بباق، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلّفها من بعدكم
الباقون كذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين؛ ثم إنكم في كل يوم تشيّعون غاديا ورائحًا إلى الله، قد قضى
نحبه، وبلغ أجله، ثم تغيّبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير موسّد ولا ممهّد، قد خلع الأسباب،
وفارق الأحباب وواجه الحساب، مرتهنا بعمله غنيا عما ترك، فقيرا إلى ما قدّم؛ وايم الله إني لا أقول لكم
هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي، فأستغر الله لي ولكم، وما تبلغنا عن أحد منكم
حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سددناها، ولا أحد منكم إلا ووددت أن يده مع يدي ولحمتي الذين يلونني، حتى
يستوي عيشنا وعيشكم؛ وايم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا،
.عالما بأسبابه؛ ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، دل فيها على طاعته، ونهى عن معصيته

. "ثم بكى، فتلقى دموع عينيه بردائه؛ فلم ير بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى

:كلامه في مرضه الذي مات فيه

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في المرضة التي مات فيها، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال، وتركتهم عالة. ولا بدّ لهم من شيء يصلحهم، فلو أوصيت بهم إليّ أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مئونتهم إن شاء الله. فقال عمر أجلسوني. فأجلسوه، فقال:

الحمد لله، أبالفقر تخوّفني يا مسلمة؟ أما ما ذكرت أني فطمت أفواه ولدي عن هذا المال وتركتهم عالة، فإني لم أمنعهم حقا هو لهم، ولم أعطهم حقا هو لغيرهم؛ وأما ما سألت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتي، فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين؛ وإنما بنو عمر أحد رجلين: رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا ورزقه من حيث لا يتحسب، ورجل غيرّ وفجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه. ادعوا لي بنيّ- فدعوهم، وهم يومئذ اثنا عشر غلاما، فجعل يصعّد بصره فيهم ويصوّبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع- ثم قال:

بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم! يا بني، إني قد تركتكم من الله بخير، إنكم لا تمرّون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله، يا بنيّ، ميّلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيرا من دخول أبيكم يوما واحدا في النار؛ قوموا يا بنيّ عصمكم الله ورزقكم! قال: فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر".

خطب أبي حمزة الشاري:

خطبته حين دخل المدينة:

ولما دخل أبو حمزة المدينة سنة 130، رقي المنبر؛ فحمد الله، وأثنى عليه، وقال "يا أهل المدينة: سألناكم عن ولاتكم هؤلاء، فأسأتم -لعمر الله- فيهم القول، قلتم والله ما فيهم الذي يعلم، أخذوا المال من غير حله، فوضعوه في غير حقه، وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما أنزل الله، واستأثروا بفيئنا؛ فجعلوه دولة

بين الأغنياء منهم، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء؛ وفروج الإماء1، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم، وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما أنزل الله نناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم، ليختار المسلمون لأنفسهم، فقلتم: لا يفعلون، فقلنا لكم، تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم، فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا وفيكم كتاب الله وسنة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلتم: لا نقوى على ذلك، فقلنا لكم: فخلوا بيننا وبينهم، فإن نظفر نعدل في أحكامكم، ونحملكم على سنة نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقسم فيئكم بينكم؛ فأبيتم وقاتلتمونا دونهم، فقاتلناكم وقتلناكم، فأبعدكم الله وأسحقكم". "

خطبته وقد بلغه أن أهل المدينة يعيبون أصحابه:

وبلغ أبا حمزة أن أهل المدينة يعيبون أصحابه، لحداثة أسنانهم، وخفة أحلامهم، فصعد المنبر، وعليه كساء غليظ، وهو متنكب قوسًا عربية، فحمد الله، وأثنى عليه وصلى على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله، ثم قال:

" يا أهل المدينة، قد بلغتني مقالتكم لأصحابي، ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم، لأحسنت أدبكم، ويحكم! إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنزل عليه الكتاب، وبين له فيه السنن، وشرع له فيه الشرائع، وبين له فيه ما يأتي وما يذر، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله، ولا يحجم إلا عن أمر الله، حتى قبضه الله إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أدى الذي عليه، وعلم المسلمين معالم دينهم، ولم يدعهم من أمرهم في شبهة، وولى أبا بكر صلاتهم؛ فولاه المسلمون أمر دنياهم، حين ولاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر دينهم؛ فعمل بالكتاب والسنة، وقاتل أهل الردة، وشمر في أمر الله، حتى قبضه الله إليه، والأمة عنه راضون رحمة الله عليه ومغفرته، ثم ولي بعده عمر بن الخطاب فسار بسيرة صاحبه، وعمل بالكتاب والسنة، وجند الأجناد، ومصر الأمصار، وجبى الفيء، وفرض الأعطية، وشمر عن ساقه، وحسر عن ذراعه، وجلد في الخمر ثمانين، وجمع الناس في شهر رمضان، وغزا العدو في بلادهم، وفتح المدائن والحصون، حتى قبضه

الله إليه، والأمة عنه راضوان، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان؛ فسار ست سنين بسيرة صاحبيه -وكان دونهما- ثم سار في الست الأواخر بما أحبط به الأوائل، واضطرب حبل الدين بعدها؛ فطلبها كل امرئ لنفسه، وأسر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه، حق مضوا على ذلك، ثم ولي علي بن أبي طالب؛ فلم يبلغ من الحق قصدا، ولم يرفع له منارًا، ثم مضى لسبيله:

ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابن لعينه، وجلف من الأعراب، وبقية من الأحزاب، مؤلف طليق؛ فسفك الدم الحرام، واتخذ عباد الله خولًا، ومال الله دولًا، وبغى دينه عوجًا ودغلًا، وأحل الفرج الحرام، وعمل بما يشتهيه، حتى مضى لسبيله؛ فالعنوه لعنه الله، ثم ولي بعده ابنه يزيد، يزيد الخمور، ويزيد الصقور، ويزيد الفهود، ويزيد الصيود، ويزيد القرود، الفاسق في بطنه، المأبون1 في فرجه؛ فخالف القرآن، واتبع الكهان، ونادم القرد، وعمل بما يشتهيه، حتى مضى على ذلك لعنه الله، وفعل به وفعل، ثم ولى مروان بن الحكم، طريد لعين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله وابن لعينه، فاسق في بطنه وفرجه، فالعنوه والعنوا آباءه.

ثم تداولها بنو مروان بعده، أهل بيت اللعنة، طرداء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله، وقوم من الطلقاء، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا التابعين بإحسان؛ فأكلوا مال الله أكلًا، ولعبوا بدين الله لعبًا، واتخذوا عباد الله عبيدًا، يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر، فيا لها أمة! ما أضيعها وأضعفها! والحمد لله رب العالمين، ثم مضوا على ذلك من سيء أعمالهم، واستخفافهم بكتاب الله تعالى، قد نبذوه وراء ظهورهم لعنهم الله، فالعنوهم كما يستحقون، وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز؛ فبلغ ولم يكد وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله -ولم يذكره بخبر ولا شر-.

ثم ولي يزيد بن عبد الملك، غلام ضعيف سفيه، غير مأمون على شيء من أمور المسلمين، لم يبلغ أشده، ولم يؤنس رشده، وقد قال الله عز وجل: {فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} فأمر أمة محمد

في أحكامها وفروجها ودمائها أعظم عند الله من مال اليتيم، وإن كان عند الله عظيمًا، غلام مأبون في بطنه وفرجه، يشرب الحرام، ويأكل الحرام، ويلبس الحرام، يلبس بردتين قد حبكتا له، وقومنا على أهلهما بألف دينار، وأكثر وأقل، قد أخذت من غير حلها، وصرفت في غير وجهها، بعد أن ضربت فيها الأبشار، وحلقت فيها الأشعار، وهتكت فيها الأستار، واستحل ما لم يحل الله لعبد صالح، ولا لنبي مرسل، ثم يجلس حبابة عن يمينه، وسلامة عن شماله، تغنيانه بمزامير الشيطان، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصا بعينها؛ حتى إذا أخذت منه مأخذها، خالطت روحه ولحمه ودمه، وغلبت سورتها على عقله، مزق حلتيه، ثم التفت إليهما فقال: أتأذنان لي أن أطير؟ نعم، فطر إلى لعنة الله، وحريق ناره، وأليم عذابه، طر إلى حيث لا يردك الله.

ثم ذكر بني أمية وأعمالهم وسيرهم فقال: "أصابوا إمرة ضائعة، وقومًا طغامًا جهالًا، لا يقومون لله بحق، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى، ويرون أن بني أمية أرباب لهم؛ فملكوا الأمر، وتسلطوا فيه تسلط ربوبية، بطشهم بطش الجبابرة، يحكمون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويأخذون بالظنة، ويعطلون الحدود بالشفاعات، ويأمنون الخونة، ويقصون ذوي الأمانة، ويأخذون الفريضة من غير موضعها، ويضعونها في غير أهلها، وقد بين الله أهلها؛ فجعلهم ثمانية أصناف، فقال: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِين وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ} فأقبل صنف تاسع ليس منها، فأخذ كلها: تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله، فالعنوهم لعنهم الله.

وأما إخواننا من هذه الشيعة -وليسوا بإخواننا في الدين؛ لكني سمعت الله عز وجل قال في كتابه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} فإنها فرقة تظاهر بكتاب الله، وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب، قد قلدوا أمورهم أهواءهم، وجعلوا دينهم العصبية لحزب لزموه، وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم، غيًا كان أو رشدًا، ضلالة أو هدى، ينتظرون الدول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة،

ويدعون علم الغيب لمخلوق، لا يعلم أحدهم ما في بيته؛ بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه، أو يحويه جسمه، ينقمون المعاصي على أهلها ويعملون إذا ولوا بها، يصرون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها؛ جفاة في دينهم، قليلة عقولهم، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة، وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

فأي هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون، أم بأي مذاهبهم تقتدون؟ وقد بلغني أنكم تنتقصون أصحابي! قلتم شباب أحداث، وأعراب جفاة، ويحكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله المذكورون في الخير إلا شبابًا أحداثًا؟ أما والله إني لعالم تتابعكم فيما يضركم في معادكم، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة، وأطلاح سهر، باعوا أنفسًا تموت غدًا، بأنفس لا تموت أبدًا، قد نظر الله إليهم في جوف الليل، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقًا إليها، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة، كأن زفير جهنم بين أذنيه، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، ووصلوا كلال الليل بكلال النهار، مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم، من طول القيام، وكثرة الصيام، مستقلون لذلك في جنب الله، موفون بعهد الله، منجزون لوعد الله، حتى إذا رأوا سهام العدو وقد فوقت، ورماحهم وقد أشرعت، وسيوفهم وقد انتضبت، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله، ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتيبة، ولقوا شبًا1 الأسنة، وشائك السهام، وظبات السيوف بنحورهم، ووجوهم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدما، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، واختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه طير السماء، وتمرقته سباع الأرض؛ فطوبى لهم وحسن مآب؛ فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها، طالما اعتمد عليها صاحبها راكعًا وساجدًا، وكم من وجه

رقيق، وجبين عتيق، قد فلق بعمد الحديد، ثم بكى، وقال: آه، آه على فراق الإخوان، رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل أرواحهم الجنان".

ولا بطرًا، ولا عبثًا، ولا لهوًا، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا لثأر قديم نيل منا؛ ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد أطفئت، ومعالم العدل قد عطلت، وكثر الادعاء في الدين وعمل بالهوى، وعنف القائل بالحق، وقتل القائم بالقسط، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن؛ فأجبنا داعي الله ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض؛ فأقبلنا من قبائل شتى، النفر منا على بعير واحد، عليه زادهم وأنفسهم، يتعاورون لحافًا واحدًا، قليلون مستضعفون في الأرض، فآوانا الله وأيدنا بنصره، وأصبحنا والله جميعًا بنعمته إخوانًا، وعلى الدين أعوانًا، ثم لقيَنَا رجالُكم بقُدَيْد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن، ودعونا إلى طاعة الشيطان، وحكم مروان وآل مروان؛ فشتان لعمر الله ما بين الغي والرشد! ثم أقبلوا يهرعون ويزفون، قد ضرب الشيطان بجرانه، وغلت بدمائهم مراجله، وصدق عليهم إبليس ظنه، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب، بكل مهند ذي رونق، فدارت رحالنا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون.

وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، ويشف صدور قوم مؤمنين، يا أهل المدينة إن أولكم خير أول، وآخركم شر آخر، يا أهل المدينة: الناس منا ونحن منهم؛ إلا مشركًا عابد وثن، أو كافرًا من أهل الكتاب، أو إمامًا جائرًا أو شادًا على عضده، يا أهل المدينة: من زعم أن الله تعالى كلف نفسًا فوق طاقها، أو سألها ما لم يؤتها، فهو لله عدو ولنا حرب". .

خطبة له في سب أهل المدينة وتقريعهم:

وخطب المدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

" يا أهل المدينة: مالي رأيت رسم الدين فيكم قيًا، وآثاره دراسة، لا تقبلون عظته ولا تفقهون من أهله حجة، قد بليت فيكم حدته، وانطمست عنكم سنته، ترون معروفه منكرًا، والمنكر من غيره معروفًا، إذا انكشفت لكم العبر، وأوضحت لكم النذر، عميت عنها أبصاركم، وصمت عنها أسماعكم، ساهين في غمرة، لا هي في غفلة، تنبسط قلوبكم للباطل إذا نشر، وتنقبض عن الحق إذا ذكر، مستوحشة من العلم، مستأنسة بالجهل، كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفوقًا، تحملون قلوبًا في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة، أو لم تلن لكتاب الله الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله، يا أهل المدينة، ما تغني عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم، إن الله قد جعل لكل شيء سببًا غالبًا ينقاد له، ويطيع أمره، وجعل القلوب غالبة على الأبدان؛ فإذا مالت القلوب ميلًا، كانت الأبدان لها تبعًا، وإن القلوب لا تلين أهلها إلا بصحتها، ولا يصححها إلا المعرفة بالله، وقوة النية، ونفاذ البصيرة، ولو استشعرت تقوى الله قلوبكم، لاستعملت في طاعة الله أبدانكم، يا أهل المدينة: داركم دار الهجرة، ومثوى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نبت به داره، وضاق به قراره، وآذاه الأعداء وتجهمت له، فنقله الله إليكم، بل إلى قوم لعمري لم يكونوا أمثالكم، متوازرين مع الحق على الباطل، مختارين الآجل على العاجل، يصبرون للضراء رجاء ثوابها، فنصروا الله، وجاهدوا في سبيله، وآووا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وآثروا الله على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. قال الله تعالى لأمثالهم ولمن اهتدى بهداهم: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ، وأنتم أبناؤهم ومن بقي من خلفهم، تتركون أن تقتدوا بهم، أو تأخذوا بسنتهم، عمي القلوب، صم الآذان، اتبعتم الهوى؛ فأرداكم عن الهدى وأسهاكم؛ فلا مواعظ القرآن تزجركم فتزدجرون، ولا تعظكم فتعتبرون، ولا توقظكم فتستيقظون، لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم، ما سرتم بسيرتهم، ولا حفظتم وصيتهم، ولا احتذيتم مثالهم، لو شقت عنهم قبورهم، فعرضت عليهم أعمالكم، لعجبوا كيف صرف العذاب عنكم! " .

وجاء في رواية العقد الفريد:

" يا أهل المدينة: أولكم خير أول، وآخركم شر آخر، إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غير ذي عوج، بتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين؛ فأصبحتم عن الحق ناكبين3، أمواتًا غير أحياء وما تشعرون، يا أهل المدينة: يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ما أصح أصلكم، وأسقم فرعكم! كان آباؤكم أهل اليقين، وأهل المعرفة بالدين، والبصائر النافذة، والقلوب الواعية، وأنتم أهل الضلالة والجهلة، استعبدتكم الدنيا فأدلتكم، والأماني فأضلتكم فتح الله لكم باب الدين فسددتموه، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه، سراع إلى الفتنة، بطاء عن السنة، عمي عن البرهان، صم عن العرفان، عبيد الطمع، حلفاء الجزع، نعم ما ورَّثكم آباؤكم لو حفظتموه، وبئس ما تورثون أبناءكم إن تمسكوا به، نصر الله آباءكم على الحق، وخذلكم على الباطل، كان عدد آبائكم قليلًا طيبًا، وعددكم كثير خبيث، اتبعتم الهوى؛ فأرداكم، واللهو فأسهاكم، ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون، وتعبركم فلا تعتبرون".

خطبته حين خرج من المدينة:

وخطب حين خرج من المدينة، لقتال جيش مروان فقال:

" يا أهل المدينة: إنا خارجون لحرب مروان، فإن نظهر نعدل في أحكامكم، ونحملكم على سنة نبيكم، ونقسم بينكم فيئكم، وإن يكن ما تمنون لنا: فسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ".

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم

1 . الآبي، أبو سعد (421هـ)، **نثر الدر في المحاضرات**، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ - 2004م

2 . الآمدي، أبو القاسم الحسن (370هـ)، **الموازنة بين أبي تمام والبحتري**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1994م

ـــ **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، دار الجيل، ط1، بيروت، 1991م.

3 . إبراهيم، رجب عبد الجواد، **دراسات في الدلالة والمعجم**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة، 2001م.

4 . ابن الأثير، ضياء الدين (637هـ): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1986م.

5 . ابن الأثير، عز الدين (630هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1994م.

ـــ **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1997م.

6 . ابن الأثير، مجد الدين بن محمد الجزري، (606هـ): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وآخر، المكتبة الإسلامية، ط3، 1963م.

7 . الأخفش (215هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1411هـ- 1990م.

8 . الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن (321هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987م.

9 . إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)**، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، (د.ت).

10 . ابن أبي الإصبع المصري (654هـ)، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان الإعجاز**، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ط)، (د.ت).

11 . الأصبهاني، أبو نعيم (430هـ)، **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، ط1، الرياض، 1998م.

12 . الأصفهاني، الراغب (502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط1، دمشق، 1412هـ.

13 . الأعشى، ميمون بن قيس (7هـ)، **ديوان الأعشى الأكبر**، تحقيق: د. محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

14 . الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ.

15 . امرؤ القيس (545هـ)، **الديوان**، دار المعرفة، ط2، بيروت، 1425هـ - 2004م.

16 . الأنباري، أبو بكر (328هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1992م.

17 . الأنصاري، ابن هشام (761هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك وآخر، دار الفكر، ط6، دمشق، 1985م.

18 . أوستن وارين ورينيه ويليك، **نظرية الأدب**، ترجمة: محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب، ط3، 1962م,

19 . البخاري، محمد بن إسماعيل (256هـ)، **صحيح البخاري**، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، 2008م.

20 . بدوي، أحمد، **من بلاغة القرآن**، نهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 2005م.

21 . البغدادي، بهاء الدين (562هـ)، **التذكرة الحمدونية**، دار صادر، ط1، بيروت، 1417هـ.

22 . البغدادي، عبد القادر بن عمر (1093هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1418هـ - 1997م.

23 . بلعيد، صالح، **التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر، 1994م.

24 . بودوخة، مسعود، **الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية**، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2011م.

25 . البيهقي، أبو بكر (458هـ)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2003م.

26 . الترمذي، محمد بن عيسى (279هـ)، **سنن الترمذي (الجامع الكبير)**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامية، ط1، بيروت، 1996م.

27 . التطاوي، عبد الله، **الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد**، دار غريب، (د.ط)، القاهرة، 2002م.

28 . الثعالبي، أبو منصور (429هـ)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1958م.

ـــ **فقه اللغة**، تحقيق: عبد الرازق هادي، إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ - 2002م.

29 . ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ((291هـ)، **قواعد الشعر**، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1995م.

30 . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

ـــ **الحيوان**، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ.

31 . جاد، عزت محمد، **نظرية المصطلح النقدي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة، 2003م.

32 . الجرجاني، عبد القاهر (471هـ)، **أسرار البلاغة**، تحقيق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1991م.

ـــ **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1992م.

33 . الجرجاني، علي بن عبد العزيز، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق وشرح: أحمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، دار القلم، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

34 . جرير (110هـ)، **الديوان**، تحقيق: نعمان أمين محمد طه، دار المعارف المصرية، ط1، القاهرة، 1943م.

35 . ابن جعفر، قدامة ابو الفرج (337هـ)، **نقد الشعر**، مطبعة الجوائب، ط1، قسطنطينية، 1302هـ.

36 . ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

37 . جون كوهن، **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ط)، القاهرة، 1990م.

38 . الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد (393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1407هـ - 1987م.

39 . ابن أبي الحديد (656هـ)، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1959م.

40 . الحريري، أبو محمد القاسم (516هـ)، **مقامات الحريري**، مطبعة المعارف، (د.ط)، بيروت، 1973هـ.

41 . حسان، تمام، **البيان في روائع القرآن "دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، عالم الكتب، (د.ط)، بيروت، 1993م.

42 . حسن، عباس، **النحو الوافي**، دار المعارف، ط15، القاهرة، (د.ت).

43 . حسين، عبد القادر، **القرآن والصورة البيانية**، عالم الكتب، ط2، بيروت، 1985م.

44 . الحطيئة، **ديوان الحطيئة**، شرح: ابن السّكيت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

45 . حمرة العين، خيرة، **شعرية الانزياح (دراسة في جماليات العدول)**، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، ط1، إربد، 2011م.

46 . الحموي، أبو العباس أحمد بن محمد (770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

47 . الحموي، ياقوت (626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م.

48 . الحميري، نشوان بن سعيد (537هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر، ط1، دمشق، 1420هـ - 1999م.

49 . ابن حنبل، أحمد بن محمد (241هـ)، **مسند أحمد**، دار الفكر، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).

50 . الحنفي، أبو البقاء (1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2007م.

51 . أبو حيان، الأندلسي، محمد بن يوسف (754هـ)، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001م.

52 . الخفاجي، أبو محمد بن سنان (466هـ)، **سر الفصاحة**، تحقيق: داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر، ط1، عمان، 2006م.

53 . خليف، يوسف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، مكتبة غريب، (د.ط)، القاهرة، 1981م.

54 . الخنساء، **الديوان**، المكتبة الثقافية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

55 . الداني، أبو همر عثمان بن سعيد (444هـ)، **الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله -عز وجل- وفى المشهور من الكلام**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ط1، دمشق، 1428هـ - 2007م.

56 . داود، عشتار، **الأسلوبية الشعرية : قراءة في شعر محمود حسن اسماعيل**، دار مجدلاوي، (د.ط)، عمان، 2008م.

57 . الدميري، محمد بن موسى (808هـ)، **حياة الحيوان الكبرى**، دارالكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ.

58 . الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (748هـ)، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.

ـــ **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوقيفية، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

59 . ذو الرمة، غيلان بن عقبة بن مسعود (117هـ)، **ديوان ذي الرمة**، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط1، 1964م.

60 . الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس (395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، 1979م.

61 . ربابعة، موسى، **الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها**، دار الكندي، ط1، الأردن، 2002م.

62 . الرجبي، عبد المنعم، **الغربة والحنين إلى الديار في شعر صدر الإسلام والدولة الأموية**، ط1، 2016م.

63 . ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن الأزدي (456هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، 1981م.

64 . الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (384هـ)، **معاني الحروف**، تحقيق: عرفان سليم حسونة، المكتبة العصرية، (د.ط)، بيروت، 1443هـ.

65 . الرماني والخطابي والجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، ط2، مصر، 1976م.

66 . الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (1205هـ)، **تاج العروس**، دار الهداية، (د.ط)، (د.م).

67 . الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط2، بيروت، (د.ت).

68 . الزركلي، خير الدين (1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

69 . الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الفكر، ط1، بيروت، 1977م.

ـــ **المستقصى في أمثال العرب**، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1977م.

70 . الزناد، الأزهر، **دروس في البلاغة العربية**، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1992م.

71 . زهير بن أبي سلمى (13 ق هـ)، **الديوان**، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1988م.

72 . السامرائي، فاضل صالح، **الجملة العربية: تأليفها وأقسامها**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2002م.

73 . السبكي، بهاء الدين (756هـ)، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط1، القاهرة، 2003م.

74 . السد، نور الدين، **الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)**، دار هومة للطباعة والنشر، (د.ط)، (د.ت).

75 . السكاكي، يوسف بن أبي بكر (626هـ)، **مفتاح العلوم**، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1987م.

76 . ابن سلام، أبو عبيد القاسم (224هـ)، **الأمثال**، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط1، 1400هـ.

77 . سلامة بن الجندل، **الديوان**، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، ط2، 1987م.

78 . سلطان، منير، **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**، منشأة المعارف، (د.ط)، الإسكندرية، 1983م.

79 . سليمان، فتح الله أحمد، **الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)**، الدار الفنية للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).

80 . سليمان، محمد، **ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان**، دار اليازوري العلمية، ط1، 2010م.

81 . السموءل، **الديوان**، دار بيروت للطباعة والنشر، (د.ط)، بيروت، 2001م.

82 . السندي، نور الدين محمد بن عبد الهادي، **حاشية السندي على سنن ابن ماجه**، دار الجيل، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

83 . سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1، بيروت، 1991م.

84 . ابن سيده، أبو الحسن (458هـ)، **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1996م.

85 . السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ)، **الأشباه والنظائر**، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م.

ـــ **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

ـــ **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد الحميد هندواي، المكتبة التوقيفية، (د.ط)، مصر، 2003م.

86 **.** شبلنر، برند، **علم اللغة والدراسات الأدبية**، ترجمة: محمود جاد الرب، كلية الآداب جامعة الملك سعود،ط1، الرياض، 1991م.

87 . ابن الشجري، هبة الله بن علي (542هـ)، **أمالي ابن الشجري**، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1992م.

88 . الشريف الرضي، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق: محمد عبد الغني، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، 1955م.

89 . الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار علم الفوائد، (د.ط)، بيروت، 1999م.

90 . الشوكاني، محمد بن علي اليمني (1250هـ)، **فتح القدير**، دار الكلم الطيب، ط1، بيروت، 1414هـ.

91 . صافي، محمود، **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، دار الرشيد، ط4، دمشق، 1418هـ.

92 . الصاوي، أحمد عبد السيد، **فن الاستعارة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، الإسكندرية، 1979م.

93 . الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرين، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000م.

94 . صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ج2 (العصر الأموي)**، المكتبة العلمية، ط1، بيروت، 1933م.

95 . طبانة، بدوي، **معجم البلاغة العربية**، منشورات جامعة طرابلس، ط1، طرابلس، 1977م.

96 . الطبري، محمد بن جرير (310هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1997م.

97 . ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع، (د.ط)، تونس، 1997م.

98 . ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي (1071هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992م.

99 . عبد التواب، رمضان، **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه**، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1997م.

100 . ابن عبد الحكم (214هـ)، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، ط6، بيروت، 1984م.

101 . ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد (328هـ) **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1404هـ.

102 . عبد المطلب، محمد، **البلاغة العربية قراءة أخرى**، مكتبة لبنان، (د.ط)، لبنان، (د.ت).

ـــ **البلاغة والأسلوبية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة، 1984م.

103 . أبو العدوس، يوسف، **الاستعارة في النقد الأدبي الحديث**، الأبعاد المعرفية والجمالية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1997م.

ـــ **الأسلوبية الرؤية والتطبيق**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، 2007م.

104 . عزام، محمد، **الأسلوبية منهجًا نقديًا**، منشورات وزارة الثقافة، (د.ط)، دمشق، 1989م.

105 . العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، 1379هـ.

106 . العسكري، أبو هلال (395هـ)، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، (د.ط)، بيروت، 1419هـ.

ـــ **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة، 1995م.

107 . عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1992م.

108 . العطية، أيوب، **الأسلوبية في النقد العربي المعاصر**، عالم الكتب الحديث، (د.ط)، العراق، 2014م.

109 . عطية، مختار، **الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز**، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 2004م.

ـــ **التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (د.ط)، 2005م.

110 . العكبري، أبو البقاء (616هـ)، **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى الباي الحلبي وشركاؤه، 1989م.

111 . العلوي، يحيى بن حمزة (799هـ)، **الطراز**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2002م.

112 . عيد، رجاء، **البحث الأسلوبي معاصرة وتراث**، منشأة المعارف، (د.ط)، الإسكندرية، 1993.

113 . عيّاشي، منذر، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، مركز الإنماء الحضاري، ط1، حلب، 2002م.

114 . الغذامي، عبد الله، **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، مصر، 1998م.

115 . الغلاييني، مصطفى، **جامع الدروس العربية**، تحقيق: محمد فريد، المكتبة التوقيفية، (د.ط)، القاهرة، 2003م.

116 . ابن فارس، أبو الحسين (395هـ)، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1986م.

ـــ **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، 1979م.

117 . الفراهيدي، الخليل بن أحمد (170هـ)، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، بغداد، (د.ت).

118 . فضل، صلاح، **نظرية البنائية في النقد الأدبي**، دار الشروق، ط1، 1419هـ).

119 . الفكيكي، عبد الهادي، **الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي**، دار النمير للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1996م.

120 . فودة، عبد العليم السيد، **أساليب الاستفهام في القرآن**، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ط1، مصر، 1952م.

121 . الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 2005م.

122 . القالي، أبو علي، (356هـ)، **الأمالي**، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1344هـ.

123 . ابن قتيبة (276هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

ـــ **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1418هـ.

124 . القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: علي بوملحم، مكتبة الهلال، ط2، بيروت، 1991م.

125 . قلعجي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس للطباعة، ط2، (د.م)، 1988م.

126 . القلقشندي، أحمد بن علي (821هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

127 . القيرواني، ابن رشيق (463هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ك3، القاهرة، 1963م.

128 . القيرواني، مكي أبو محمد القيسي (437هـ)، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق: حاتم صالح الضامن،مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1405هـ.

129 . كندي، محمد علي، **الرمز والإقناع في الشعر العربي الحديث**، دار الكتاب الجديد المتحدة، (د.ط)، بيروت، 2003م.

130 . لبيد بن ربيعة (41هـ)، **الديوان**، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، ط1، 2004م.

131 . ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (275هـ)، **سنن ابن ماجه**، بعناية: محمد بربر، المكتبة العصرية، (د.ط)، بيروت، 2007م.

132 . ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله (672هـ)، **ألفية ابن مالك**، دار التعاون، (د.ط)، (د.ت).

133 . المتنبي، أحمد بن الحسين (354هـ)، **الديوان**، دار الجيل، ط2، بيروت، 1996م.

134 . مجاهد، أحمد، **أشكال التناص الشعري** (دراسة في توظيف الشخصيات التراثية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 2006م.

135 . المحبي، محمد أمين، **جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين**، دار الآفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

136 . محفوظ، علي، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، (د.ط)، (د.ت).

137 . مرتاض، عبد الملك، **قضايا الشعريات**، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، أبو ظبي، 2009م.

138 . المسدي، عبد السلام، **الأسلوبية والأسلوب**، الدار العربية للكتاب، ط3، (د.ت).

139 . المسعودي، أبو الحسن (346هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، (د.ط)، 1409هـ.

140 . مسلم بن حجاج، النيسابوري (261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط1، 2006م.

141 . مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د.ط)، العراق، 1986م.

142 . ابن منظور، محمد بن مكرّم الأنصاري (711هـ)، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، ط3، بيروت، (د.ت).

143 . الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري (518هـ)، **مجمع الأمثال**، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، 1962م.

144 . ميويك، دي، سي، **المفارقة وصفاتها (موسوعة المصطلح النقدي)**، ترجمة: عبد الواحد، لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت –لبنان، 1993م.

145 . ابن الناظم، **المصباح في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.

146 . ناظم، حسن، **مفاهيم شعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم**، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994م.

147 . النبهاني، تقي الدين، **التفكير**، دار الأمة، ط3، بيروت، 1990م.

148 . نهر، هادي، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، دار الأمل للنشر والتوزيع، (د.ط)، الأردن، (د.ت).

149 . النووي، يحيى بن شرف الدين (676هـ)، **صحيح مسلم بشرح النووي**، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2001م.

150 . الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة الصرية، (د.ط)، القاهرة، 1994م.

151 . هلال، عبد الناصر، **الالتفات البصري من النص إلى الخطاب**، نادي الجوف الأدبي الثقافي، ط1، 2014م.

152 . هلال، ماهر مهدي، **رؤى بلاغية في النقد والأسلوبية**، المكتب الجامعي الكبير، (د.ط)، 2006م.

153 . أبو الهيجاء، عطية، **معنى المعنى عند عبدالقاهر الجرجاني بين التنظير والتطبيق**، دار الخليج، (د.ط)، 2009م.

154 . ويس، أحمد، **الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية**، مؤسسة اليمامة الصحفية، ط1، الرياض، 2003م.

155 . اليافي، نعيم، **أطياف الوجه الواحد**، منشورات اتحاد الكتاب العربي، (د.ط)، دمشق، 1995م.

156 . ابن يعيش، أبو البقاء الموصلي (643هـ)، **شرح المفصل للزمخشري**، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001م.

الرسائل الجامعية:

1 . الأنصاري، عمر بن عطية، **التشبيهات في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2011م.

2 . بولوحواش، سعاد، **شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2011 – 2012م.

3 . الترك، صفاء حسن، **الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية- 2011م.

4 . الحسنة، نسوة، **التشبيه في سورة الرحمن وسورة النور**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج، 2007م.

5 . الخرشة، أحمد غالب، **أسلوبية الانزياح في النص القرآني**، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 2008م.

الشامي، فادي، **بلاغة الالتفات عند أبي السعود في تفسير وإرشاد العقل السليم**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا – الجامعة الأردنية، 2008م.

6. عباس، سناء هادي، **المفارقة الشعرية (المتنبي أنموذجًا)**، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، العراق، 2004م.

7 . عودة، ميس خليل، **تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي "كتاب مفتاح العلوم للسكاكي نموذجًا"**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2006م.

8 . القواسمي، بسام، **أسلوب الكناية في القرآن**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1405هـ.

9 . لوصيف، صونيا، وسارة كرميش، **الانزياح الدلالي في الألفاظ العربية (معجم العين نموذجًا)**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011م.

10 . مراح، عبد الحفيظ، **ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقاربة أسلوبية**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005-2006م.

المجلات والدوريات

1 . سعدية، نعيمة، **شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي**، مجلة كلية الآداب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة محمد خيضر بمسكرة- الجزائر، 2007م.

2 .عاشور، سلام عبد الله، **مصطلح العدول و الانزياح عند اللسانيين العرب**، مجلة جامعة ابن رشد، العدد السادس، هولندا، 2012م.

3 . بو عمارة، بو عيشة، **الشاعر العربي المعاصر ومثاقفة التراث**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جامعة زيان عاشور، الجزائر، 2007م.

4 .ابن قويدر، مختار، **الانزياح من منظور شجاعة العربية بين المعيار والانزياح**، مجلة الأثر للآداب واللغات، العدد التاسع، جامعة قاصدي مرباح – الجزائر، 2012-2013م.

5 . ملوك، رابح، **النص الأدبي ومقولة الانزياح**، جامعة البويرة، المجلد2/ العدد2، الجزائر، 2008م.

6 .نظري، علي، ويونس ليئى، **ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس**، مجلة دراسات الأدب المعاصر، العدد السابع عشر، الجزائر، 2009م.

7 . وغسلي، يوسف، **مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية الغربية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي**، مجلة علامات، المغرب، مج16،ع64، 2006م.

8 . اليافي، نعيم، **الانزياح والدلالة**، مجلة الفيصل، الجزائر، مج 14، ع4، 2009م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	د
شكر وتقدير	هـ
ملخص	و
مقدمة	1
تمهيد	3
الفصل الأول: مدخل نظري للانزياح	10
المبحث الأول: التعدد الاصطلاحي للانزياح	11
المبحث الثاني: أنواع الانزياح	18
المبحث الثالث: وظائف الانزياح	35
الفصل الثاني: تجليات الانزياح الدلالي في الخطب الأموية	42
المبحث الأول: الكناية	43
المبحث الثاني: التعريض	90
المبحث الثالث: الاستعارة	94
المبحث الرابع: التشبيه	108

المبحث الخامس: المجاز المرسل	120
المبحث السادس: المجاز العقلي	124
المبحث السابع: الانزياح المعجمي	127
الفصل الثالث: تجليات الانزياح التركيبي في الخطب الأموية	141
المبحث الأول: الحذف	142
المبحث الثاني: التقديم والتأخير	160
المبحث الثالث: الالتفات	176
خاتمة	191
الملاحق	194
فهرس المصادر والمراجع فهرس المحتويات ملخص باللغة الإنجليزية	237 250 252

Abstract

The term displacement is one of the modern terms that came from Western critics to the Arab critics. They started studying its definition, importance, origins and types and they apply it to prose and poetry. That is because the study of texts that are characterized by artistic and aesthetic features has an impact on the development of semantics and giving them new dimensions.

This research deals with displacement theoretically in terms of its concept, types and functions. Then practically by studying the speeches of the caliphs and princes in the Umayyad era, namely: Omar Bin Abdul Aziz, Muawiya Bin Abi Sufyan, Yazid Bin Muawiya, Abdul Malik bin Marwan, Ziyad Bin Abi, Qutaiba Bin Muslim Al-Bahili, Al-Hajjaj Bin Yusuf Al-Thaqafi and Abu Hamza Al-Shari. As the prose of that period was mostly represented in sermons that took various forms, including political, military, addresses, guidance, and others.

The research is divided into an introduction, four chapters and a conclusion. The introduction came about the concept of displacement and its origins. The chapters began with a theoretical introduction on displacement, mentioning the idiomatic multiplicity of displacement, its types and functions. The second chapter deals with the practical aspect of semantic displacement in speeches, which included metonymy, exposition, simile, metaphor, sent metaphor, mental metaphor, and

then the lexical shift. Then in the third chapter, the researcher studied the structural shift in sermons, which included: omission, introduction, delay, and anacolutha. Finally, the researcher studied in the fourth chapter the required construction methods in sermons, which included the style of command, prohibition, questioning and appeal.

This showed the ability of these orators and their awareness of the technical and aesthetic aspects of speech and the ability to employ rhetorical arts in their speeches, which was characterized by many features, including the use of proverbs. The research came out with a basic result. It shows that these preachers had messages, either political or military, or to take care of affairs or preach. They employed their cultural heritage in its various forms in their sermons and speeches on the pulpits, and the mobilization of people either to win them over, praise them, vilify them, mobilize them for battles, or advise them and for other purposes.